

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد السادس والسابع – السنة العاشرة – محرم – صفر 1387 – ابريل – ماي 1967

في هـذا العـدد :

صفحة		
1	بحث في ميدان الفكر والثقافة	دعـوة الحـق
	دراسات اسلامية :	
3	هل اصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية ؟	للاستاذ عبد الله كنون
6	في نطاق الحوار حول موضوع : الاسلام في العالم المعاصر	لسماحة الاستاذ نديم الجسر
16	لماذا نريد الاسلام ؟	للدكتور عبد السلام الهراس
18	لامستقبل للانسانية الا في ظل السلام والتعاون الدولي	للاستاذ احمد حسين الحاجي
22	لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب	للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي
	ابحاث ودراسات :	
26	تقويم اللسانين	للدكتور تقي الدين الهلالي
31	تعديل تقويم اللسانين	بقلم الاستاذ صاحب الامضاء
34	مع التواتي في قصيدته	للاستاذ محمد الحلوي
37	نظرة في مجمع الآداب والعلوم	للاستاذ عبد الله كنون
40	الادب العربي في مواجهة شبهات التغريب	للاستاذ انور الجندي
43	نحن والتاريخ	للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
49	القمة والفلسفة الاسلامية	للاستاذ محمد الامري المصمودي
53	التحكيم في الفقه والقانون	للاستاذ الحسن الحجوي
56	الابداع الفني عند ريلكه	للاستاذ محمد السرغيني
61	لغة الشعر بين المنتج والمتلقي	للاستاذ عبد العلي الوزاني
69	محمد كرد علي	للاستاذ عيسى فتوح
72	المؤتمر التاسع والعشرون للتربية والتعليم	للاستاذ عبد اللطيف خالص
77	استفتاء عام في موضوع اللغة العربية	للاستاذ محمد العربي الخطابي
79	الوجـــــدانات	للاستاذ عبد القادر زمامة
	ديوان المجلة :	
82	دمعة على القصر	للشاعر محمد الحلوي
84	ابن زيدون : مسرحية شعرية في اربعة فصول . .	للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي
	دراسات مغربية :	
93	المغرب وفارس عبر التاريخ	للاستاذ محمد بن تاويت
96	رسالة المنصور الذهبي لاحد اقطاب الشرق . . .	للاستاذ عبد الهادي التازي
105	القاضي ابو الوليد محمد بن رشد الفيلسوف الاندلسي	للاستاذ احسان النمر
117	نظرات في ديوان ابي حيان الغرناطي	للاستاذ سعيد اعراب
121	باب الشريعة ، احد مداخل الحمراء الرئيسية . .	للدكتور محمد كمال شبانة
124	الادب الشعبي في الاندلس	للاستاذ محمد المنتصر الريسوني
128	المناهج التعليمية عند ابن خلدون	للاستاذ محمد الامين الدرقاوي
132	الاحوال العقلية في مجالي التخلف والانماء . . .	للاستاذ المهدي البرجالي
140	ادب وفكـــــر	للاستاذ مبارك ربيع
	معرض الكتب :	
145	صفحات مغربية للدكتور نقولا زيادة	تقديم وتعليق الاستاذ محمد حجي
150	الامــام الاوزاعي	تقديم الشيخ طه الولي
157	ابو العلاء عفيفي	للاستاذ محمد اليوسفي
160	تعقيب على تعقيب	للاستاذ محمد بن تاويت

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد السادس والسابع
السنة العاشرة
محرم - صفر 1387
ابريل - ماي 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـاكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة ((دعوة الحق)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد

بعث في ميدان الفكر والثقافة

لقـــي الموسم الثقافي الرائع الذي اقامته كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة ، ومعرض الكتاب العربي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي، وندوات اتحاد كتاب المغرب العربي نجاحا منقطع النظير كان له صدى بعيد فى دنيـــا العلم والادب ، انعش حياتنا الفكرية ، وبدد ما غشيها من ظلام ، واكتنفها من خمود .

والحق ان المغرب شهد فى موسم الربيع لهذه السنة نشاطا ثقافيا متواصلا على مدى بعيد شمل الادب والعلم والاقتصاد والاجتمـــاع .

فقـــد خلع الربيع الطلق الضاحك على حياتنا الثقافية جوا منعشا نشا عنـــه بعث جديد ، ونشور رائع ، اعاد الى الحياة الفكـــرية شبابا نابضا اتسم بالنشـــوة والغبطـــة ، والحركـــة والنشـــاط .

فالدولة وضعت كل امكانياتها للمثقفين من ابناء المغرب ، واعطت الموسم الثقافي الحافل ما يستحقه من الحماس والاهتمام ، حرصا منها على اخصاب حياتنا الفكرية ، واعطاء ثقافتنا القومية دفعات دافقة شابة ، يشع منها رفع المستوى العقلي ، ويعمم التعليم ، ويعرف الجميع حقائق الحياة المتطورة المتجددة التي يريدون ان يحيوهـــا ، حتى لايتخلفوا عن مسايرة ركب الحياة ، ويصموا آذانهم عما يجري فى هـــذا العالـــم الكبير ، ويبدعه العلم من اختراع ، وياتي بـــه من مفاجآت ، ويحققه من معجزات .

وهكـــذا دعـــي عدد من رجال الفكر والادب لالقاء سلسلـــة من المحاضرات ، واقامة شتى الندوات فى المؤسسات الثقافية ، والمراكز العلمية ، كما اقيمت معارض للكتاب العربي فى مختلف مناحيه ايمانا من المسؤولين بمـــا عليهم من رعايـــة قضايـــا الفكـــر والادب فى هذه البلاد ، وثقة منهم بفعالية اللغة العربية ، وقدرتها على البقاء ، ومطاولـــة الزمـــان ، ومغالبة الاحـــداث .

فقـــد قصرنا ـ منذ عهد غير بعيد ـ فى ذات الادب والعلم ، وآثرنا السلامـــة والعافية ، راضين من الغنيمة بثقافة سطحية ضحلة على دراسة عميقة واسعـــة ، كمـــا اتسم سيرنا بالبطء المزمن الذي لا يتسق مع النهضة الفكرية العالمية ، والوثبات العلمية الرائعة ، فتوزعت اتجاهاتنا ، وتبددت قوانا ، مما كـــان سببـــا فى تشتيت الوحدة ، وتبديد الجهود ، فلم نهتد الى العلاج الناجع الحاسم ، والامر القوي الحازم الا بعد لأي ... وتخبطات مضنية فى تحديد المقاصد والغايات .

ومهمـــا تكــن هناك من ملاحظات ، فلا يسعنا الا ان نثني على تلك الجهـــود المبذولة في سبيل العناية بالتعليم ، ورعاية شؤون الفكر وحماته ، والعمل على تحريك الهمم ، وبعث العزائم لتجديد العقلية المغربية ، وتاهيلها للتوجيه الروحي والادبـــي والعلمـــي والفنـــي والاجتماعـــي .

وهـــو توجيه هادف من الدولة ورجال الفكر في ميدان الثقافة ، يجدد الثقـــة في النفوس ، والايمان في القلوب ، والاصالة في العقول ، ان دل على شيء ، فانما يـــدل على ان ثمـــة مرحلة جديدة تمر بها الثقافة المغربية ، وآفاقـــا رحبة الحدود اكثـــر خصوبة ، واجدى نفعا تتراءى امام العاملين ..

انـــا نملك ثـــروات فكرية وعلمية ، وبلادنا غنية بطائفة من العلماء ورجـــال الفكر في كل فرع من فروع المعرفة ، وان هؤلاء اصبحوا اليوم امام مسؤوليات اكثـــر جسامة ، ومواقف اكثر دقة ، ولا مندوحة لهم عن ان يتحملوا رسالتهم المقدسة لبعث حضارة مغربية أصيلة تقوم على الاخذ والعطاء ، وتنبض بالخلجات الانسانية ، وتتطلع للقضاء على المتناقضات ، وتستهدف اولا وقبل كـــل شيء تغذية العقـــل والقلب والـــذوق والوجـــدان .

واملنـــا ــ اذا اردنا حياة متكاملة ــ أن لايبقى نشاطنا الفكـــري مقتصرا في ميدان المعرفة على الادب والعلوم الانسانية بصفة عامة ، بل لابد من العناية باقامـــة مهرجان للبحث العلمي يشمل العلوم التطبيقية والصناعات الحديثـــة حتى نعمـــل على خلق الروح العلمية ، وازدهار حركة البحوث في بـــلادنا على اوسع نطـــاق ، وابعـــد مـــدى .

ولا ريـــب ان توفر الروح العلمية ، وانكباب فئة من الجامعيين المختصين على البحث العلمي في جميع حقول المعرفة ، هما عنصران اساسيان متممان لكل نهضـــة تعليمية وثقافية ، وكل نهضة يعوزها العنصران المذكوران تكون ناقصة المفعـــول ، قليلـــة الجـــدوى .

وقـــد اصبح من الضروري ان نقتدي بالجامعات العالمية التي تتجه من حين لآخـــر في هذا الميدان الى تعميم طريقة تكليف الطلبة بالقيام ببحوث علمية صغيرة ، أو بتجارب معينـــة داخـــل المختبـــرات ...

فكـــم من دراسة علمية ، وبحث علمي قام به طالب في العلوم التطبيقيـــة ادى الى نتائج جديدة هامة مما يساعد على اكتشاف روح البحث عند الطلاب مبكـــرا ، وتركيز الروح الجامعيـــة بيـــن الطلبـــة .

ونوجـــه نـــداء حارا الى كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة والهيآت الثقافية الاخرى التي اسهمت بحظ وافر في هذا الموسم الثقافي الحافل الذي شهدته بـــلادنا لتمديـــد هذا النشاط الفكري ، والمهرجان الثقافي حتى يبقى المواطن المغربي مرتبطا ادبيـــا مع رجال الفكر ، ومساهما في مجتمع راقي الطبقات ، مثقف النواحي .

واننـــا اذ نبارك هذه الجهود الموصولة التي تتآزر وتتعاون على ازدهار الحياة الثقافية وتطوير الحركة الفكرية ، لنرجو مخلصين ان نعمل جميعا على تحديد سياسة مرسومة ، وغاية معينة ، حتى نتخلص من تركة الســـنوات الماضية ، ونمحـــو تلك العبودية العقلية التي غذاها الاستعمار بالامس الدابر ، والتي هـــي أسوأ اثـــرا ، وابعـــد خطـــرا مـــن العبوديـــة الجسميـــة .

دعوة الحق

دراسات اسلامية

هل أصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية

للأستاذ عبد الله كنون

لم يتعرض الدين اي دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، فى جميع العصور الماضية، لمثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بانه خرافة ، وانه افيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة — الى الازراء على اهله ورميهم باقبح التهم ، كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية وما الى ذلك ، هذا على حين ان الاكثرية من الامم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من اتباع الاديان السماوية او من منتحلي الاديان الاخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لان حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فاذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه وقوته والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التي بها يعد الانسان انسانا ، اولى بما يقيم اودها ويذكي شعلتها ، وليس هو الا الدين .

وانك لترى كثيرا من المسرفين على انفسهم فى ساعات الحيرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضي منه العجب ، بل اني لا اشك فى ان اكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، او داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت اذ يستيقنه، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ؛ مما يدل على ان التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا يمكنه ان يتخلص منها ولا ان يتخلى عنها وان انكرها احيانا وتوهم انه يستطيع ان يعيش بدونها ، ولنقرا على سبيل المثال قوله تعالى فى شان فرعون : (فلما ادركه الغرق قال آمنت) ، والامثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الادبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع ان نلم بها هنا .

انما المشكل الذي تحار فيه الاذهان ، هو ان يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملي ، فى الوقت الذي تشن عليه الحرب التي لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التي اعلنت لادينيتها بصراحة ، او التي ما تزال تدعي بانها متدينة رسميا .

والحقيقة ان المعركة ضد الدين ، ليست معركة الامم والشعوب ، وانما هي معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم واخذوا زمام السلطة فيها اما باستعمال القوة والعنف او بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا ان ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد، وان ينشروا افكارهم التي تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لانه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية الحادية .

وبعبارة اخرى هي معركة الشيوعية والماسونية وغيرهما من الحركات المعروفة بمعاداتها للدين وطعنها فى مثله وقيمه ، وخصصت بالذكر هاتين الحركتين لانهما منتشرتان على نطاق عالمي ، ولانهما بواسطة الاستيلاء على مقاليد الحكم بالنسبة الى الاولى ، وتسخير الحكام بالنسبة الى الثانية ، تعملان على بث

سمومها ورفع راية الالحاد فى كل مكان من غير خجل ولا نكير ؛ بخلاف باقي الحركات والمذاهب كالوجودية مثلا ، فانها وان كانت تسهم بنصيب وافر فى نشر الالحاد بين الشباب والتحامل على الدين ، الا ان ذلك انما يكون من طريق التلقين والفتنة . وغير خاف ان وسائل الاعلام فى هذا العصر قد تعددت تعددا لم يعرف من قبل ، وان فن الدعاية قد تقدم تقدما عظيما فى الثلاثين سنة الاخيرة ، اي فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، والذين يسيطرون على وسائل الاعلام ويوجهون الدعاية فى اكثر الدول ، هم ممن يتعارض الدين مع مصالحهم الخاصة ونزواتهم الشخصية ، فهم لذلك لا يدخرون وسعا فى التنديد به سرا وجهرا وبطرق مكشوفة ومستورة ، هذا فى البلاد غير الشيوعية التي تسيطر عليها الماسونية وتنخر مجتمعها الفلسفات المادية الالحادية ، واما فى البلاد الشيوعية فان الدعوة الى الالحاد ومعارضة الفكر الديني هي سياسة الدولة وعليها تقوم فلسفة المذهب الشيوعي ، ففي مثلها يقال من جاء على اصله فلا سؤال عليه . ويفهم من هذا ان البلاد الشيوعية ليست على دين حكامها ، وان سياسة القمع والقهر هي التي تحول بينها وبين الاعلان عن شعورها الديني وممارسة شعائر دينها ، سواء كان هذا الدين اسلاما او مسيحية او بوذية ، الا بقدر ما يسمح به الجهاز الحاكم فى بعض الاحيان ولبعض الناس قصد الدعاية والتضليل .

وهذه حقيقة لا شك فيها ، علمناها من بعض الاخوان الروسيين واليوغوسلافيين المسلمين ، وتحققها بالنسبة الى باقي الشعب الروسي المسيحي وغيره من الشعوب الخاضعة للسيطرة الشيوعية ، بما قدمناه آنفا من كون التدين غريزة انسانية مركوزة فى طبيعة البشر لا معدى لهم عنها لطهارة ارواحهم وسمو انفسهم ، وقد ناخذها من الاية الكريمة المعجزة التي تقول (وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته) فهي أن كانت صادقة على الكتابيين الاحرار الذين لا يخضعون لضغط ولا اكراه ، فلان تصدق على الكتابيين فى روسيا الحمراء مثلا من باب أولى واحرى، وتكون مع ذلك من معجزات هذا القرآن الخالد ، والنتيجة ان الحملة على الدين ، وزحزحة رجاله عن مكان القيادة بسبب تلفيق التهم عليهم ، هي خطة مدبرة من حركات سياسية اهمها الشيوعية والماسونية ، تعززها مذاهب فلسفية كالوجودية ، وليست مما يدل على ان طبيعة العصر الحديث هي عدم التدين ، وان الدين اصبح ظاهرة هامشية لا يلبث ان يتخلى عن مكانه لهذه المذاهب المادية والنزعات الالحادية ، ونقولها للشباب المسلم خاصة ونحذره من الاغترار بما يراه ويسمعه من المظاهر الزائفة والضجة المصطنعة التي توهم السذج والقاصرين ان صبغة الدين قد نصلت عن المجتمعات الراقية ، وان التدين لم يبق له مجال فى عصر الصواريخ والاقمار الصناعية ، ان ذلك كله انما هو من حرب الدعاية ، وليس هو الواقع المعاش فى البلاد التي تصدر عنها تلك الاقوال وتلك المشاهد ، ولنستعرض بعض الحوادث التي وقعت فى الشهور الاخيرة فى البلاد الاوربية والامريكية مما تنعكس عليه روح التدين المتغلغلة فى النفوس هناك .

فقد عقد فى ابريل الماضي بليما عاصمة جمهورية البيرو من جمهورية امريكا الجنوبية ، المؤتمر الخامس للاحزاب السياسية المسيحية باوربا وامريكا ، واتخذ عدة قرارات فى السياسة العالمية ، وانجلى اخيرا عن كارثة الطائرة التي كانت تقل عددا من وفود هذه الاحزاب كما ورد فى الانباء. والاحزاب السياسية المسيحية فى اوربا وامريكا الجنوبية منتشرة بكثرة ولها نفوذ قوي فى سياسة بلادها ، وهي الان الحاكمة فى المانيا وايطاليا وما لا ندري من دول اخرى ، فاذا كانت هذه منظمات سياسية فى بلاد راقية يضرب بها المثل فى التقدم والحضارة ، لم تستنكف ان تنتمي للدين وان تجعل منه شعارا لها ، فكيف يقال ان الدين قد تقلص ظله او كاد، واصبح ظاهرة هامشية فى العصر الحديث ؟ ومما لا شك فيه ان المنظمات السياسية هي آخر ما ياتي فى تصنيف المنظمات التي تنتمي الى الدين كالمنظمات الاجتماعية المختلفة المهام والمنظمات التبشيرية التي نعرف كلنا نشاطها فى بلادنا فاحرى فى بلادها ، وانما قصدنا ان نضرب المثل بالمنظمات السياسية للمغرورين من دعاة التقدمية عندنا الذين يعتبرون الدين من مظاهر الرجعية والتخلف ، ونقارن بين ما يجري فى اوربا وامريكا وما يجري عندنا . . فهذا مؤتمر الاحزاب السياسية المسيحية يعقد للمرة الخامسة بلا جلبة ولا ضوضاء ، ونحن لما قامت الدعوة بيننا لعقد مؤتمر اسلامي للقمة ، كادت السماء تقع على الارض مما قوبلت به هذه الدعوة من تراشق بالتهم وخصومة حادة بين المسلمين .

اما الاحزاب السياسية الدينية فلا نرى لها وجودا فى بلاد الاسلام ، اللهم الا ان يكون فى باكستان والهند لظروف خاصة .

وحادث آخر له مغزاه ، وهو انه لما تقرر ان تجري مباراة فى الملاكمة بين البطل العالمي كلاي

والبطل الانكليزي كولبير ، استدعت الملكة اليزابيت ملكة انكلترا كولبير هذا ، واقامت له مادبة غداء احتفاء به وتشجيعا له على منازلة كلاي ، واعربت لـه عن رغبتها في هزيمة خصمه ، وما ذلك الا لان كلاي مسلم يحمل اسم محمد ويعتز بدينه ويرى ان انتصاراته في معاركه الكاسحة انما هو من بركة الدين الاسلامي ومزاولته لشعائره وخاصة الصلاة بايمان واخلاص .

انه لم يسبق ان استدعت ملكة بريطانيا العظمى لتناول الغداء على مائدتها في مثل هذه المناسبة بطلا رياضيا مهما كان شانه ، وتعبر له عن رغبتها في انتصاره على خصمه ، ولذلك فهم الناس من هذا الاهتمام ان شعورها الديني كان غالبا عليها في هذه الحالة ، وانها انما تصرفت بحسب ايحائه ، وهي معذورة في ذلك وان كان املها لم يتحقق .

لمن نسوق هذا المثل ؟ للرؤساء ام للحكام ام للشباب ؟ وكلهم احرياء ان يعتبروا بمغزاه وياخذوا منه درسا وتعليما ؟ .

وخبر من الفاتيكان ياتي في هذه المدة ، فيملي على المذبذبين موقفا في الزعامة الروحية كيف تكون ؟ وذلك لما عزم كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي اثناء جولته في اوربا على زيارة البابا ، فقال ناطق بلسان هذا الاخير : ان الحديث بين الرجلين سيدور على مسالة السلام العالمي وعلى حالة الكنائس الكاثوليكية في روسيا التي يهتم البابا بها اهتماما خاصا .

وهذا الخبر غني عن التعليق ، فان المجاملة السياسية بين رجل الكنيسة ووزير خارجية الدولة اللادينية الاولى في العالم ، لم تطغ على شعور رجل الدين فتنسيه واجبه في الاطمئنان على مؤسسات رعاياه في بلد السوفيات والتاكد من سلامتها ، ان هذا هو ما يقع في الغرب ، حيث العلم والحضارة قد بلغا اوجهما ، اما عندنا في الشرق الاسلامي فان قادة الفكر وزعماء الاصلاح يجهدون انفسهم في ان يتلمسوا للشيوعية وما اليها جذورا في التعاليم الاسلامية ، ويحرصون كل الحرص على تلاقي الفكر الماركسي والاسلام .

اما السؤال عن حالة المسلمين في الاتحاد السوفياتي ومساجدهم ومدارسهم واوقافهم، ومجابهة المسؤولين الروس بذلك ، فان الديبلوماسية الشرقية الاسلامية لا يمكن ان ترتكب هذا الخطا الذي يدل على عدم اللياقة .

والى هذا احب ان اشير لما شاهدته مرارا في بعض بلاد اوربا كسويسرا وايطاليا من تجهيز غرف الفنادق بكتاب الانجيل ، وكنت لما وجدته اول مرة ظننت انه وضع خطا في الغرفة التي نزلت بها ، او ان احد المسافرين نسيه فيها، ثم تكرر وجودي له مع دليل التليفون في الغرفة التي انزلها من كل فندق تقريبا ، ورايت ان بعض النسخ تكون مجلدة احسن تجليد ، مما يدل على عمق الشعور الديني ويقوي الرغبة في القراءة او التصفح على الاقل عند النزيل .

فهذه ظاهرة اخرى من تدين الغربيين لا نظير لها عندنا ولو في فنادق مكة والمدينة ، افبعد هذا يقال ان الدين اصبح ظاهرة هامشية في العصر الحديث لمناقضته لرقي العلم والحضارة العصرية ؟

نعم ان الدين في البلاد الجاهلة كبلادنا ، يعاني ازمة شديدة من حيث الجهل بمفاهيمه الصحيحة ، ومن حيث اغترار شبابنا بما يقال عنه من افك وبهتان ، ولكنه في البلاد المتعلمة ، على ما راينا له من بسطة وسلطان، ولا يضيره هناك ما يوجه اليه من نقد وتهزيء، لان القوم قادرون على تمييز الصحيح من السقيم والغث من السمين ، ووجود طائفة من الملحدين وغير المومنين في المجتمع الراقي معهود ، كما كان في البلاد الاسلامية على عهد الخلفاء العباسيين وفي العصر الذهبي للحضارة العربية ، ولكنه لم يؤثر قليلا ولا كثيرا على وضعية الدين الاسلامي وسيادته والتمسك بعقيدته والحكم بشريعته ، بل كانت تلك الطائفة دافعا قويا لقيام دراسات اسلامية عظيمة الاهمية في نقض المطاعن التي توجه للدين والتمكين لسلطانه من النفوس ، ولذا فان تاثير المتسللين والعابثين بالقيم والاخلاق الدينية انما يخشى في المجتمع المتخلف وعلى طبقة الشباب التي تحصن بالتربية الاسلامية العالية ولم تزود بالمعلومات الصحيحة عن سمو دينها وعبقريته التي لا يرقى اليها الشك ولا الخلاف .

وهذه هي معركة الدعاة الحقيقيين في العالم الاسلامي اليوم .

طنجة : عبد الله كنون

في نطاق الحوار حول موضوع

الإسلام في العالم المعاصر

لسماحة الأستاذ العلامة نديم الجسر
مفتي طرابلس

عقدت الجامعة الامريكية في بيروت ندوة خاصة فى نطاق الحوار حول موضوع : « الاسلام فى العالم المعاصر » الذي هو سلسلة حوار موضوعه : « الله ، والانسان فى الفكر الاسلامي المعاصر » .

وقد دعت الجامعة الامريكية لهذه الندوة كبار المفكرين فى العصر الحديث ، وكانت المحاضرات الاربع التي اختتمت بها الندوة ، لاربعة اساتذة جامعيين هم :

الاستاذ اشتياق حسين قرشي ارئيس المؤسسة العالمية للخدمات الجامعية فى جنيف) وقد حاضر عن (الفن الاسلامي) والاستاذ تيطس بوركهارت (مدير دار نشر اورس غراف فيرلاغ) وكانت بموضوع « القيم الدائمة فى الفن الاسلامي » والاستاذ جواد نور بخش (استاذ الامراض العقلية فى جامعة طهران) وكانت بموضوع : « الصوفية غايتها وطريقتها » والاستاذ سيد حسين نصر (استاذ فى كلية الآداب في جامعة طهران) وكانت عن : « الصوفية وتحقيق وحدة الانسان »

وقد تلقى سماحة العلامة نديم الجسر مفتي طرابلس الدعوة للكلام فى هذا الموضوع من الرئيس الدكتور صموئيل كوركود

وبما ان فضيلة الاستاذ العلامة نديم الجسر ينتسب « لمجمع البحوث الاسلامية فى الازهر » الذي تاتي فى راس المهام الملقاة على عاتقه «اقامة هذا الحوار « بالتي هي احسن » كما امر القرآن ؛ ولا سيما بعد ان شق ، المجمع المسكوني الاخير باب هذا الحوار ، لاول مرة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية استجاب بسرور رغبة منه فى ايصال اهم الحقائق الجوهرية من التفكير الاسلامي الى اكبر عدد من المفكرين فى اوروبا وامريكا .

و « دعوة الحق » يسعدها ان تشكر فضيلة الاستاذ العالم الكبير الذي اتحفها بهذه المحاضرة القيمة التي تتناول « الاسلام فى العالم المعاصر » .

التحرير

تعجبني ، فى اللغة العربية ، كلمة « **تمهيد أو توطئة** » ، اللتان تستعملان ، احيانا ، فى محل كلمة (مقدمة Préface) ولاسيما فى بحث وحوار كهذا . لان كلمة « مهد الفراش » معناها بسطه ووطاه . وكلمة « وطأ الفراش » معناها دمثه ولينه ؛ حين داس ووطأ برجله كل النواتىء والعقد التي فيه ، ليجعل المستلقي عليه مرتاحا . وهذا ما سأفعله حين امهد واوطىء للكلام . لاجعل السامعين والقارئين فى وضع نفساني مرتاح منشرح لقبوله ، او لاخفف ، على الاقل حدة ما قد يكون عند البعض من نفرة سابقة منشؤها النظرة الجانبية غير المحيطة :

ان القرآن قد امر بهذا الحوار الهادىء الكريم المهذب بين المسيحية والاسلام ، ومهد له بذكر

حقيقة اوضحها لانها بذاتها حقيقة ، ولانها حقيقة ترضي النفوس حين قال :

(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد) .

وسواء كانت حروب الفتوح الاسلامية قد جرت لازالة الموانع الصادة عن نشر الدعوة ، كما يقول المسلمون ، او جرت لايجاد المجال الحيوي للبقاء والانطلاق **«حتى لا يتحول نهر الدعوة الاسلامية الى مستنقع يجف في ارض الجزيرة العربية »** ، كما يقول **«غوته»** ، او جرت لانشاء امبراطورية ، كما يقول خصوم الاسلام ، فان المفكر الغربي المحيط باحداث التاريخ ، لابد له ان يحكم بأن تلك الحروب الاسلامية ، مهما تفسرت بالدواعي الدينية ، او بالدواعي الامبريالية ، لا تخرج ، في اسبابها ، عن ان تشبه بالحروب الطويلة التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت ، لخلاف لايدور في جوهره حول اصل العقيدة ، او ان تشبه بالحروب الاستعمارية التي شنت ، من دول اوربا على الآمنين الضعفاء من سكان امريكا وافريقيا والهند والشرق الاقصى ، من اجل انشاء امبراطوريات ، واستغلال ثروات البلاد المفتوحة ، مع فارق عظيم في التشبيه قال به كثير من علماء الغرب . وهو ان هذه الحروب الاستعمارية كانت اكثر ضراوة وقسوة في معاركها ، واكثر ظلما في نهب البلاد المفتوحة وافقار اهلها ، مما كانت عليه الحروب الاسلامية في معاركها ونتائجها . وهو الفارق العظيم الذي جعل فيلسوفا مسيحيا عظيما ذا نظرة محيطة واضحة الرؤية ، يقول : **« لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب ».**

كذلك لابد للمفكر المسيحي المحيط باحداث التاريخ ، ان يقول ، عن المظالم التي اقترفها بعض حكام المسلمين مع غير المسلمين ، خلافا لحكم القرآن، انها ، عند التشبيه والمقارنة ، لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى ما ارتكب في اوروبا ، باسم الدين وخلافا لحكم الانجيل ، مع المسيحيين انفسهم ، ومع المسلمين واليهود من مظالم تقشعر لها الابدان .

ولست هنا في مقام التفصيل لاذكر الوقائع والكتب والمراجع ، لانها معلومة لدى كل مثقف قرأ التاريخ ، وان كنت احيل على آخر ما قرأته في السنوات الاخيرة وهو **« تاريخ الحضارة »** الكبير للفيلسوف الامريكي **« ويل ديورانت »** ، وكتاب « Les grands courants de l'histoire universelle » **لجان بيرن** الاستاذ في جامعة بروكسيل . ولا لزوم للتذكير **بالافران النازية ، وقنبلة هيروشيما** ، وحرب فيتنام .. وما اقول كل هذا الا لترتاح قلوبنا جميعا ، حين نتذكر انلكل امة اخطاءها بمقادير مختلفة. والتاريخ المقارن ، وحده ، هو الذي يضع في الميزان حسنات كل امة وسيئاتها . وبدون هذه المقارنة سوف تظل كل امة تحتكر لنفسها الحسنات ، وتنسب الى غيرها السيئات ، بحكم التعصب الوطني الذي يعبر عنه ويل ديورانت بقوله الظريف : **«ما من أمة تنهزم في كتب تاريخها »**

غثاء السيل

من اعاجيب اعجاز كلام الرسول العربي انه وصف لنا ما سيكون عليه حال المسلمين في المستقبل ، وصفا ينطبق ، بكل كلمة منه ، على واقع المسلمين في العالم المعاصر من قبيل القرن الماضي الى منتصف القرن العشرين .

ان واقع العالم الاسلامي المعاصر في الفترة المذكورة يتلخص وصفه بما يأتي :

1 — **في العدد** : كتلة هائلة من البشر ، يبلغ عددها الحقيقي ، لو جرى احصاء دقيق ، اكثر من **سبعمائة مليون** اي ما يزيد على ربع سكان الارض .

2 — **في المكان والمركز** : تحتل ، هذه الكتلة العظيمة ، وسط العالم القديم وسرته ، في رقعة واسعة متصلة ، تجمع بين آسيا وافريقيا ، وتشمل اكثر شواطىء البحر الابيض المتوسط ، وجميع البحر الاحمر ، واكثر من ثلث البحر الاسود ، وثلثي بحر قزوين .

وتسلط هذه الكتلة تسلطا تاما على اخطر الممرات والمعابر البحرية في العالم القديم : قناة السويس ، ومضيق جبل طارق ، ومضيق الدردنيل ، ومضيق البوسفور ، ومضيق باب المندب . ومضيق هرمز .

3 — **في الثروة المائية** : تضم هذه الكتلة ، بالاستقلال ، في اراضيها ثلاثة من اعظم انهار الدنيا الخمسة : النيل ، والفرات ، والدجلة ، عدا عن نهر العاصي ونهر السند وغيرهما من الانهروالبحيرات

4 — **في الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية :** تعتبر رقعة الارض الاسلامية ، بحكم اتساعها واتصالها واختلاف اقاليمها وطول شواطئها ، تارة

كاملة تجمع كل انواع الثروات النباتية والحيوانية والبرية والمائية والمعدنية المتنوعة . ولكن ثروتها المعدنية العظمى ، التي تتحكم في صناعة العالم القديم ، وتجارته ، وفي وسائل النقل ، بل تتحكم في مصير العالم عند الحروب الكبرى ، هي الثروة **البترولية** الهائلة التي تبلغ ، في الانتاج اكثر من ربع انتاج العالم ، وعلى مزيد جديد ، وتبلغ ، في احتياطي البترول ، 26 الف مليون طن ، اي 56 في المائة تقريبا ، من احتياطي العالم ، المقدر بثمانية واربعين الف مليون طون .

5 ـ **الوحدة الدينية** : يضاف الى هذه القوى البشرية والطبيعية الهائلة قوة معنوية هي الوحدة الدينية ، التي هي حقيقة لا تزول ، رغما عما يبدو من تفكك الحكومات الاسلامية وتناحرها . **فالحكام شيء ، والشعوب في قلوبها وضمائرها شيء آخر .**

ولكن على الرغم من هذه القوى الهائلة ، فان اكثر العالم الاسلامي : من **المغرب العربي** على الاطلانطيك ، الى اندونيسيا في اقصى الباسفيك ، الى اعالي التركستان والقفقاس ، الى اواسط افريقيا، كان محتلا ومستعمرا الى وقت قريب ، ولا يزال بعضه محكوما ومستثمرا من قبل الدول الغربية والشرقية . فصح وصدق ، بهذا ، ذلك الكلام الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه المسلمين ، في حديث مروى عنه :

(يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها . فسأله احد اصحابه : امن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا . بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل) .

خميرة البقاء

ولكن هذه الامة ، التي اصبحت في عصورها الاخيرة كغثاء السيل ، لا تزال تحمل في باطنها خميرة البقاء .

لقد ظهرت على مسرح التاريخ امم ودول وامبراطوريات حكمت العالم ، ثم طواها الدهر حين دب فيها **الوهن** ، واجتاحتها امم فتية اخرى . فاكلتها وبلعتها وهضمتها حتى لم يبق لها وجود الا في كتب التاريخ . ولكن هؤلاء المسلمين ، الذين حكموا العالم ، ثم صاروا كغثاء السيل ، واجتمع لهم من من اسباب الوهن ما يكفي لزوال الامم وانقراضها ، لا يزالون قائمين .. تداعت عليهم الامم ، واكلت من قصعتهم ، ولا تزال تأكل ، ولكنها لم تستطع أن تأكلهم

يذكرني هذا الصمود بالتقليد الذي كان متبعا عند الاسبارطيين : كانوا يغطسون الطفل منهم عند ولادته في البحر فان مات ذهب غير مأسوف عليه ، وان صمد فهو الصالح للنضال والبقاء .

فما هي الخميرة التي جعلت المسلمين يصمدون ويصلحون للبقاء ، على الرغم من كل تلك الكوارث التي اصابتهم ؟

ان المسلم المؤمن بالقرآن يجد الجواب في قول الله : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .** (سورة الحجر الآية 9) .

والذكر هو القرآن ، وحفظه انما يكون بحفظ الامة التي تذكره وتحفظه ، ولكن المفكر غير المسلم يجد التعليل العقلي الاجتماعي لصمود المسلمين في آيتين اخريين ، يقبلهما عقله ، وان لم يؤمن بالقرآن ، لانهما تكشفان عن ناموس اجتماعي تدركه العقول :

الآية الاولى : **(كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)** ـ سورة الرعد الآية 19 ـ .

والآية الثانية : **(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرن . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ..)** ـ سورة ابراهيم الآية 21 ، 27 ـ .

وما اجملهما مثلين عندنا ، وعند من تذوقوا سحر امثال الانجيل ..

الزبد الرغوة ، لا تلبث ان تتلاشى وتذهب جفاء ...

والمعدن الذهب يمكث في الارض ، ويصمد لتأثير الماء والهواء ، فلا يصدأ ولو تراكم عليه التراب..

والشجرة الطيبة يحافظ عليها الناس ... والشجرة الخبيثة يجتثها الناس لتذهب طعاما للنار ..

اليس هذا هو ناموس بقاء الانسب ؟

وما هو الانسب ؟ اليس هو الذي يتلاءم مع ناموس التطور المستمر ؟

وما هو الزبد ؟ اليس هو الباطل ؟

وما هو الذهب ؟ أليس هو الحق ؟

وما هي الشجرة الطيبة ؟ اليست هي شجرة الحق والخير ؟

وما هي الشجرة الخبيثة ؟ اليست هي شجرة الباطل والشر ؟

لو تصورنا ان الفلك عكس دورته ، ورجع القهقرى الى عهود الظلام العقلي القديم ، لكان ممكنا للشجرة الطيبة ان تجتث بمعول الجهل .. ولكان ممكنا للشجرة الخبيثة السامة ان تعبد على انها الاه مخيف قتال ... ولكن التفكير العقلي للانسانية اخذ يسير في النور .. نحو الحق ، وكلما ازداد النور سطوعا ، ازداد الحق ظهورا .

فخميرة بقاء المسلمين هي هذا **الحق** الذي يرتكز عليه الاسلام ، والذي يزداد ظهورا واشراقا كلما ازداد التفكير الانساني نضوجا وعمقا في ادراك معاني الحق والخير والجمال .

نعمة التحدي

منذ اكثر من عشر سنوات دعيت للكلام مع رهط من الافاضل ، اتذكر منهم صديقي الكاتب العربي المفكر الاستاذ سعيد عقل ، في حفلة اقيمت لتجديد الندب والبكاء على كارثة فلسطين .

وكان اني بدأت الكلام عن الكارثة بقولي : « **انها نعمة وليست بنقمة** » وكان هذا المطلع مفاجأة للسامعين . وكنت اعني «**نعمة التحدي** » التي ايقظت نفوس العرب جميعا ، على اختلاف اديانهم ، من غير ان يخطر ببالي اني الامس جانبا من الفلسفة العميقة التي كشف عنها المؤرخ البريطاني العظيم **ارنولد توميي** ، حينما تكلم عن اثر « **التحدي ورد التحدي** » بين الامم في سير التاريخ .

ولما كنت في القاهرة عام 1965 ، واتيح لي ، بمناسبة زيارة توميي لمصر ، ان اطلع على آرائه الكريمة عن العرب ، وجهت اليه دعوة متواضعة لزيارة لبناننا الجميل في ذلك الصيف . وتلقيت منه كتابا كريما ، فيه الشكر وفيه الاعتذار بانه مرتهن بمواعيد كثيرة في بلاد عديدة . ومع ايماني بصدق المعذرة ، لم اكرر الدعوة في صيف آخر ، لاني خفت ان يكون قد اجفله اسم « المفتي » . ولعله يستجيب لنا اذا تكررت له الدعوة على قاعدة « **6 و 6 مكرر** »..

نعم ايها السادة ، ان التحدي الذي تلقاه المسلمون من الامم يؤلف العنصر الثاني من عناصر صمودهم وبقائهم ، ولذلك سميته «**نعمة**» .

فالتحدي في الحروب الصليبية هو الذي خلق من الضعف قوة في معركة « **حطين** » .

والتحدي من **هولاكو المغولي** ، الذي هدم بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين ، هو الذي خلق من الوهن قوة سحقت الجيوش المغولية في «**عين جالوت**».

والتحدي في خلق اسرائيل هو الذي خلق الثورة العربية الشعبية ، وسيخلق من الخلاف اتحادا في معركة « **الراجعين** » ..

ومن طبيعة التحدي ان تختلف ردة الفعل له ، سرعة وبطأ ، باختلاف مكانة الامة المتحدية وعزتها في التاريخ ، وباختلاف الظروف ، وباختلاف الناحية التي يجرحها التحدي :

فالامة العزيزة قد تصبر ، بعض الوقت ، على التحدي ، اذا كان من امة عظيمة عزيزة مثلها ، او كان يستهدف ما في القصعة من غذاء البطون ، ولا يمس المقدسات في الصميم ، او حصل التحدي عقب حكم سابق مزعزع مخلخل غشوم . وهذا كله قد اجتمع للمناطق الاسلامية حين تحداها الاستعمار واستولى عليها واحدة بعد اخرى ، فكان رد التحدي بطيئا .

ولكن اذا كان التحدي من امة ذليلة في التاريخ ، على امة عزيزة ، وكان مما يجرح الامة في مقدساتها ، فان رد التحدي يكون ضاريا وسريعا . **وهذا ما اصابنا نحن العرب من تحدي اسرائيل في ارض القبلة الاولى ومهد السيد المسيح ، وكان من نعمته هذه الثورة العربية الشعبية الشاملة التي تجعل الشرق الادنى على فوهة بركان تنذر جلجلته بقرب الانفجار .**

ولا يفترن احد ببطء رد التحدي وتأخر الانفجار عدة سنوات ، فنضوج الثورات الشعبية لا يتم في عشر سنوات ، ولنتذكر اننا لا نرد التحدي لاسرائيل، ولكن نرده لاعظم دول الارض التي خلقت اسرائيل ولا تزال تحميها ...

* * *

ولكن ما هو سبب هذا الوهن الذي جعل المسلمين في الارض ، على وفرة عددهم ، وسعة اراضيهم ، وخطورة مراكزهم ، وضخامة ثروتهم ، ووحدة دينهم ، غثاء كغثاء السيل ؟..

وما هو سبب هذا العدوان المستمر من الدول المسيحية على المسلمين .. ؟

الشعوبية والبترول

يقول توميي في سلسلة الاحاديث التي تحدث بها في سنة 1948 عن الشرق الاوسط ((**من الغريب ان تصر الشعوب العربية الاسيوية نفسها اليوم ، وبعد ان استردت استقلالها على التمسك بهذه الحدود التي خططتها الدول الاجنبية بعد عام 1918 . لقد كان من البديهي ان يتوقع الانسان من العرب ، بعد استقلالهم ان يلغوا هذه الحدود . وانه لما يثير الدهشة ان هذه الوحدة لم تتم ، بل واكثر من ذلك ان تقوم ضمن هذه الحدود المصطنعة مصالح محلية مكتسبة تصبح قوة لدرجة انها ابقت العالم العربي في آسيا متفسخا ، في الوقت الذي كان باستطاعته لو شاء ان يتحد مع العالم العربي الافريقي)) اهـ .**

ان هذا الاستغراب هو المستغرب من المؤرخ الكبير ، بعد ان وضع يده على مكمن الداء ، وذكر ((**المصالح المحلية**)) والخلافات الاقليمية ، التي جاءت جريدة التايمس منذ شهرين تحللها في الملحق الكبير الذي اصدرته عن العالم العربي ، تحليلا تنقصه الصراحة عن اثر الدسائس الاستعمارية في تأجيج تلك الخلافات .

ان هذه ((**المصالح المحلية**)) ، والاقليمية ، والعائلية ، التي اتخذت في اول امرها طابع الشعوبية الخفية بين العرب والعجم والاتراك ، ثم اتخذت طابع الفرق المذهبية بين الشيعة والسنة ، ثم اتخذت طابع القوميات والاقليميات ، هي التي قسمت العالم الاسلامي ، من قديم الزمان ، ومزقته ، من عهد الدويلات المشرقية ، والمغربية ، وملوك الطوائف في اسبانيا ، الى عهد الثورة ((**الانكلو عربية**)) **الخادعة المخدوعة** ، خلال الحرب العالمية الاولى ، ولا تزال تمزقه الى اليوم . وهذا ما جعل ، فيلسوفنا الاجتماعي العظيم **ابن خلدون** ، يخطيء خطأه الوحيد ، في التعليل والتحليل ، حين ظن ان هذا الخلاف ناشيء من طبيعة العرب ، وعدم انقيادهم للحكم والسياسة ، وتنافسهم على الرئاسة .

ولو بقي الامر عند حدود الخلاف بين الشيعة واهل السنة لهان الامر ، لان الخلاف بين هؤلاء لم يكن ابدا في صميم العقيدة ، وقد زالت اسبابه السياسية ، وان كان الاستعمار لا يزال يحركه . ولكن خرق الخلاف قد اتسع عندما **تكاثرت الفرق**، واخترعت لنفسها معتقدات خرافية تتنافى مع جوهر الاسلام ، **كالبهائية ، والقاديانية** ، التي تلقى كلها ، من الدول الاستعمارية ، ضروب التشجيع والتأييد والتمكين، كيدا للاسلام .

وانه لمن المؤسف ، بل المضحك حقا ، ان تقف الدول الغربية المسيحية التي تزعم ، وتتزعم الغيرة على الايمان ، ثم تتخذ من هذه الغيرة حجة لمقاومة انتشار الشيوعية في بلاد العرب والاسلام ، هذا الموقف العدائي ، المكيافيلي ، من دين يرفع الايمان بالله الى ذروة الكمال ، لتناصر فرقا ضالة تمرغ سموالايمان في وحول الخرافة ، وتفتح الباب على مصراعيه للالحاد الماركسي الذي لم يجد سبيله الى العقول في اوروبا ، الا بعد ان تمرغ الايمان الغربي في وحول الخرافة .. وهو موقف متناقض تكبر عنه القرآن في الآيات الخمس الاولى من سورة الروم.

* * *

ويأتي البترول ، بعد الشعوبية ، ليزيد نار الخلاف شبوبا كلما اوشكت ان تسكن ، حتى كادت نعمة هذا الذهب الاسود ان تصبح نقمة علينا .

ان هذه ((**الثروة النعمة**)) هي السبب في زيادة تفرق الحكومات والامارات العربية وتنازعها ، وارتماء بعضها في احضان المستعمر للاستعانة به على حماية اكلها ((**لاذن الجمل**)) لقاء جسم الجمل كله يأكله هو اجرا على هذه الحماية .

ويكاد هذا البترول يكون السبب الاوحد الباقي لاستمرار كيد الدول الغربية للعرب : لقد خفت وطأة الاستعمار باسم التبشير ، وخفت وطأة الاستعمار الاقتصادي بعد ان استقلت الدول العربية . ولكن الشيء الذي لم تسكن ولم تهدا وطأة ظلم الاستعمار فيه هو هذا البترول ، الذي تخاف الدول المستبدة به ، اذاتخلت عنه ، ان تمنع منه يوما ، الا اذا ضمنت صداقة العالم العربي ضمانا اكيدا وابديا ، وهذا ما لا تعرف كيف تضمنه .

صحيح ان المستقبل بيد الله ، وصحيح ان تطور الاحداث يجعل **الصداقات في السياسة** شيئا غير مضمون الى الابد . ولكن العقل السليم يحكم بأن هنالك فرقا عظيما بين الخطر المؤكد وقوعه ، والخطر المظنون وقوعه :

ان خطر عدم بقاء الصداقات الى الابد موجود حتى بين الدول الغربية المتصادقة اليوم في معسكرين.

ولو اتخذ الحذر الشديد اساسا للتعامل لجمد كل تعاون ، وبطل كل اتفاق بين الدول والامم .

ان العالم العربي ، الذي يعاني التخلف والحاجة الماسة لهذه الثروة الموجودة في ارضه ، قد اصبح على ابواب انفجار مؤكد ، مهما برعت الدول الاستعمارية في حوك المؤامرات والدسائس لاستمرار تمزيقه واضعافه . ولكن اذا انقلب هذا الظلم الاليم الى عدل كريم ، فان انقلاب المودة الى عداوة ، والمحبة الى بغضاء ، يكون بعيد الوقوع ، او على الاقل ، غير مؤكد الوقوع .

ومهما استهزأت السياسة الماكيافيلية بالحق والعدل والمحبة ، فانه سوف يبقى الى الابد شيء يسمى الحق ، وشيء يسمى العدل . وتبقى هذه المعاني السامية اقرب الى ان تثمر الخير والمحبة والوفاء مما يثمر الظلم والباطل .. وعسى ان يكون قريبا ذلك اليوم الذي يصغي به احرار الغرب الى قول صديقهم المفكر الكبير الدكتور مالك في وصف الاحرار « انهم لا يستطيعون الا الحب لان البغض يفرق . وانهم لا يحيكون الدسائس ولا يتآمرون في الظلام » ....

اعرف غنيا اميا علمته التجاريب شيئا كثيرا من حكمة الحياة ، كان يقول : « **رطل من ذهب يحتاج حفظه الى قنطار من عقل** » فالى كم من العقل كنا نحتاج لحفظ هذه المليارات من القناطير من الذهب الاسود الذي اختلسه المستعمرون الدهاة من اطفال بلا عقول ؟

ان الكلام عن الاتفاقات والامتيازات البترولية سيظل سخيفا ومضحكا الا اذا عطلنا عقولنا ، وعطلنا شرائع الله ، وشرائع القانون التي تقدس مبدا اهلية التعاقد .. ومهما حمت القوة هذا الظلم فانه لابد من يوم يعطي به التحدي اثره ، لانه ليس من المعقول ان تصبر امة تعاني ضروب الجوع على ان ياكل ثروتها ، من قصعتها ، اولئك المستعمرون الذين استغلوا « **طفولة الامية** » عند بعض رؤساء القبائل ، وانتزعوا منهم امتيازات ظالمة ، تجعل العرب كما قال شاعرهم :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

العدو الاوحد

ولكن السؤال عن سبب وهن المسلمين ، وعن سبب استمرار هذا العداء والعدوان من الدول الغربية المسيحية ، لا يزال قائما ، ينتظر جوابا ، اكثر شمولا مما ذكرناه عن تفرق المسلمين ، ورواسب الاحقاد ، ومطامع الاستعمار وغير ذلك من الاسباب التي بحث عنها المفكرون وعلى راسهم مفكر عظيم من لبنان وهو الامير المجاهد شكيب ارسلان .

وقد كنت ، على هدى الاسباب الكثيرة التي ذكروها ، ابحث عن السبب الجامع ، الذي ترتد اليه وتتوحد فيه كل الاسباب ، لاجد الدواء الذي تشتفي به كل العلل ، فلم اجده الا في سبب واحد : هو **الجهل** ، وما ينشأ عنه من التناكر .

فالجهل هو الذي اعمى بصائر المسلمين عن عواقب الفرقة والتنازع ، والجهل المركب هو الذي جعل اكثر من ثلثي المسلمين في امية او ما يشبه الامية من الثقافة السطحية ، والجهل هو الذي صرفهم عن اتخاذ اسباب القوة الصناعية التي بها ، وحدها ، اكتسحهم الغرب المستعمر ، والجهل هو الذي اعماهم عن هذا الذهب الاسود الذي يكمن تحت مواطئ اقدامهم ، بل يسيل على وجه الارض ، فباعوه ، بابخس الاثمان ، وهم يفرحون ويضحكون من قلة عقل العلماء الذين اشتروه منهم .. والجهل هو الذي اعماهم عن معاهدة « **سايكس بيكو** » التي تقمصت في اعينهم دولة عربية مستقلة تمتد من الحرمين الى جبال طوروس ، والجهل هو الذي قصر بهم عن تصحيح الصورة المشوهة للاسلام التي رسمتها رواسب التاريخ ، وزادها التخلف والتعصب والاستعمار تشويها ، فادى الامر الى زيادة التناكر الذي لو استطعنا القضاء عليه لوجدنا في الشعوب الغربية نفسها انصارا لنا على المتعصبين والمستعمرين والصهيونيين .

فجر التعارف

كنت قرات لشاعر الماني يدعى نوفالس قوله: « **لا يمكن لانسان ان يصبح عالما بمعنى الكلمة من غير ان يصير ، قبل ذلك ، انسانا بمعنى الكلمة** » فعلقت على قوله هذا « **ان العكس هو الاصح . فلا يمكن لانسان ان يكون انسانا بمعنى الكلمة من غير ان يصير ، قبل ذلك ، عالما بمعنى الكلمة** » . واظن ان قولي هذا يكون اوضح حجة اذا قيل في معرض التعارف بين الاديان السماوية ، التي تريد ان تصنع انسانا بكل معنى الكلمة، وانسانية بكل معنى الكلمة..

واذا ذهبنا نبحث عن بدايات التعارف بين المسيحيين والمسلمين وجدناها في اشد عصور التناكر

ظلاما . وبتعبير ادبي يجمع بين الحقيقة والمجاز نقول : ان اول ومضات التطرف قد بدات تحت وميض السيوف .

ولست لادخل فى تفصيل ما هو معلوم لديكم من التلاقح الفكري الذي سببته الفتوح الاسلامية ، والحروب الصليبية . ولكني اكتفي بشاهدين : احدهما ذكره **الكردينال كوينغ** رئيس اساقفة النمسا العظيم فى المحاضرة التي القاها عن **«عقيدة التوحيد فى العالم المعاصر »** فى الازهر سنة 1965 . حينما استشهد بالفيلسوف اللاهوتي الشهير حنا الدمشقي الذي قال الكردينال عنه انه « **تاثر فى كتاباته اللاهوتية بعلم الكلام اكثر مما تاثر بعلم اللاهوت عند الغرب** » .

والشاهد الثاني اجده انا فى الفيلسوف اللاهوتي الاكبر توما الاكويني الذي ولد وعاش فى ابان احتدام الحروب الصليبية ، ولم يمنعه هذا ان يقول عن وجود الله ووحدانيته وسائر اوصاف كماله ، ولا سيما صفة الارادة ، نفس الاقوال التي ذكرها الغزالي وابن رشد .

ولكن تباشير فجر التعارف ، انما ظهرت على ايدي المستشرقين ، الذين يطيب لي ان اسميهم اصدقاء الاسلام ، على الرغم مما عرفناه عن بعضهم من سوء الفهم ، او تعمد اساءة الفهم . وتحضرني هنا كلمة لبعض الصالحين يقول فيها : « **طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله** » وهو قول ينطبق على الاستشراق الذي بدأ « هواية » ، ثم اتخذ دعاية ضد الاسلام ، ثم أنتهى ، عند بعض الناضجين، الى ان يكون دعاية للاسلام .

وبهذه الدعاية خلقوا لنا اصدقاء من عظماء الغرب : امثال غوته الالماني ، وكارليل الانكليزي ، وغوستاف لوبون الافرنسي ، وواشنطون ارفنغ الامريكي وماسينيون وسواهم من الذين وضعوا مشاعل النور على الطريق المظلمة وهيئوا الافكار لهذا الحوار الذي نحن فيه اليوم .

وهذا شان العالم الحق ، حين يعشق الحق ، لا يصده عنه تعصب ، ولا هوى ، ولا سياسة ، لانه اصبح انسانا بكل معنى الكلمة بعد ان اصبح عالما بكل معنى الكلمة .

التلاقي بين ركائز التفكير الغربي المعاصر والتفكير الاسلامي الاصيل

لا ريب فى ان التفكير الغربي المعاصر قد استقر اليوم على ركائز كبرى اساسية وهي :

ا ــ تقديس العقل
ب ــ تقديس العلم
ج ــ تقديس الحرية

لكن هذا الافراط ، فى احترام العقل والعلم والحرية ، الذي اردت ان اعبر عنه بكلمة « تقديس »، « وهو افراط نشأ من تفريط سابق فى احتقار العقل والعلم والحرية على حساب الدين » ــ قد ادى ، مثلما يؤدي كل افراط وتفريط ، الى ردات فعل عنيفة كان من اثرها تولد ازمات ، اخطرها :

ا ــ ازمة الصراع الفكري حول الايمان والالحاد
ب ــ ازمة الصراع الفكري حول طرق التعاون الاجتماعي بين الطبقات .
ج ــ ازمة الانحلال الاخلاقي .

وقبل ان احدد ركائز التفكير الاسلامي الاصيل، الفت النظر ، الى تجنب الخطأ الذي يقع فيه اكثر الغربيين ، وبعض المسلمين ، حين ينظرون الى الاسلام بمنظار واقع المسلمين المصابين بنفس الازمات الثلاث الناشئة من الافراط والتفريط ولهذا ابادر الى القول اني انما اتكلم عن ركائز التفكير الاسلامي الاصيل التي وضعها القرآن وهي : سلطان العقل ــ وسلطان العلم ــ ومفهوم الحرية .

ا ــ سلطان العقل فى الاسلام : ان القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الاعلى فى ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه شيء ، كاماطة الاذى عن الطريق ، الى اعظم شيء وهو الايمان بوجود الله ووحدانيته . وهذه اولى مزايا الاسلام . والقرآن نفسه هو الذي امر **بتحكيم العقل** فى اكثر من 300 آية، اشدها واصرمها واوجعها قوله **:(ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)** ــ سورة الانفال الآية 22 ــ .

فليس فى الاسلام خرافات ، ولا اساطير ، ولا اسرار فوق العقل . وكل نص فى القرآن يوجب ظاهره تناقضا عقليا فى الذهن يجب تاويل معناه حتى يرتفع التناقض الظاهري .

ب ــ سلطان العلم فى الاسلام : وعلى اساس سلطان العقل يضع القرآن سلطان العلم . فكل حقيقة علمية يقينية قاطعة لا يجوز التنكر لها لان التنكر لليقين العلمي هو تنكر للعقل نفسه .

ويغنيني عن الاسهاب ان اسوق ثلاثة ادلة منها القديم ومنها المعاصر :

اما اولها : فهو من القرآن الذي حصر خشية الله « الكاملة » بأولئك العلماء العارفين باسرار المخلوقات والنواميس الكونية الدالة على النظام والحكمة فى الخلق والتدبير ، حين قال فى الآية 28 من سورة فاطر :

(انما يخشى الله من عباده العلماء) .

واما الدليل الثاني فهو من قول الامام الغزالي فى صدر كتابه « **تهافت الفلاسفة** » عن بعض رجال الدين المنكرين للحقائق العلمية اليقينية « **ان هؤلاء هم اضر على الدين من اشد اعدائه** » .

أما الدليل المعاصر فانه من لبنان بالذات ، ومن هذه الجامعة بالذات ، ذلك انه فى الوقت الذي كانت فيه هذه الجامعة الامريكية تساق ، باخلاص الغيرة الدينية ، مع ثورة الغضبة العالمية الكبرى على مذهب داروين ، حتى تطرد أساتذين مالا اليه ، وجد فى العالم كله عالم ديني واحد يقول : « **ان مذهب داروين عند ثبوته ، لا يتناقض مع الايمان بالله ولا يتنافى مع القرآن** » .

وانه ليزدهيني ان اقول : ان هذا العالم هو ابي.. كما ذكر المستشرق الامريكي تشارلس ادمس فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » نقلا عن المستشرق الهولاندي « سنوك هورغرونيه » . كما انه يطيب لى ، لا من باب الغمز ، بل تصحيحا لتهمة القائلين بجمود التفكير الاسلامي ، ان اذكر بان قول الامام الغزالي قد كان فى القرن الحادي عشر ايقبل عرض «غاليله» على المحرقة وقبل حرق « برونو » بأربعة قرون ..

ج — **مفهوم الحرية فى الاسلام** : ان مفهوم الحرية فى الاسلام ، كما اوضحت فى المحاضرة التي القيتها فى الازهر سنة 1964 ، يرتكز على اصلين :

الاول : ان حرية الانسان ، فى نظر القرآن هي امر طبيعي وضروري وبديهي .

الثاني : ان حرية الفرد مطلقة الى آخر حدود الاطلاق ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق او بالخير .

وهذا المفهوم الجامع ، كما انه يشمل كل انواع الحريات : من حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، والقول ، والعمل ، والتملك ، والتصرف ، فانه يشمل كذلك كل انواع الحق والخير ، بالنسبة للفرد ذاته ، وبالنسبة لغيره ، وبالنسبة الى المجتمع ، لا فرق فى ذلك بين ان يكون العمل بذاته مباحا للفرد ، او حقا من حقوقه المشروعة ، او ضربا من القربات الى الله ، فلو اسرف فى اكل الطيبات ، اسرافا مضرا بصحته ، انقلب المباح حراما . ولو اسرف فى اساءة استعمال حقه (Abus de droit) وقف حقه . ولو اسرف فى الزهد والتقشف والتبتل ، بل فى العبادة نفسها ، او اسرف فى الصدقات والمبرات الى الحد الذي تصطدم ، عنده ، حريته بخير نفسه او خير زوجه ، او اولاده ، او وراثه ، لانقلبت قرباته هذه كلها الى محرمات يمنعها دين الاسلام .

هذا هو مفهوم الحرية فى القرآن . ولكن القوانين الوضعية المعمول بها قد خالفت هذا المفهوم الجامع المانع ، ومن هنا انفصلت اخلاقية الاديان السماوية الصحيحة عن اخلاقية القوانين ، وانفصل الدين عن الدولة .

فالاسلام يتلاقى ، مع المسيحية فى الاخلاق على المثل العليا التي اقرها الانجيل والقرآن ، تلاقيا حرفيا . ولكن اخلاقية القوانين **وفصل الدين عن الدولة** هما اللذان افسدا العمل بالمثل الاخلاقية العليا : فاباحت القوانين الزنا بين الراشدين غير المتزوجين . **وكادت اليوم تبيح اللواطة** .. واباحت الميسر ، والسكر ، وبيوت الدعارة ، واخرجت بعض مساوىء الاخلاق، كالكذب والنميمة والخيانة والدياثة، عن حدود المسؤولية الجزائية .

الله والانسان فى الفكر الاسلامي المعاصر

فى ازمة هذا الصراع القائم بين الاديان السماوية وبين الماركسية المادية الملحدة ، وبين « الوجودية » المتارجحة بين ما يشبه الالحاد ، وما يشبه الايمان ، يهمني ان اعرض ، فى سطور وجهة نظر الاسلام فى موضوع « الله والانسان فى الفكر الديني المعاصر»

هل الانسان هو الله ؟
هل الانسان ملك من الملائكة ؟

هل الانسان حيوان مادي وجد على الارض بلا خالق ام هو الذي خلق نفسه ؟

ان فكرة الله والانسان فى القرآن بسيطة وواضحة، ولم يزدها الجدل الفلسفي المؤمن اوالملحد، على نور العلم الحديث ، الا بساطة ووضوحا ويقينا .

فى القرآن آيات بينات تحدد حقيقة الانسان ، وحدوثه على الارض ، وعمله فى الحياة ، ومقامه بين الموجودات . يقول القرآن :

1 — **(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)** — سورة الدهر الآية 1 — .

2 — **واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** — سورة الحجر الآية 28 و 29 — .

3 — **(ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا)** — سورة التحريم الآية 12 — .

4 — **(والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)** — سورة الانبياء الآية 91 — .

5 — **(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون)** — سورة البقرة الآية 30 — .

6 — **(ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين)** — سورة البقرة الآية 36 — .

7 — **(ولقد كرمنا بني آدم)** — سورة الاسراء الآية 70 — .

8 — **(ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون)** — سورة الطور الآية 35 — .

ويقول الله :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) — سورة الذاريات الآية 56 — .

فالانسان في الفكر الاسلامي ليس بالاه ، وليس بملك ، وليس بحيوان مادي صيره عقله ربا للكون .

ولكن فيه من المادة اصله الترابي الصلصالي.
وفيه من الحيوان غرائزه .
وفيه من الملائكة كرامته .

وفيه من روح الله التي نفخها سبحانه في آدم وفي السيدة البتول ليجعلها وابنها آية للناس ودليلا على قدرته على الخلق الاول .

والعبادة في الاسلام : ايمان وعمل .
والايمان تفكير حر واقتناع حر .

والعمل جهاد في معركة قائمة بين الغرائز والعقل .

وما كان لله العليم الحكيم الذي خلق الانسان واراد له البقاء على الارض ، الى حين ، ان يجعله ملكا بلا غرائز .

وما كان لله الذي خلق الانسان ليعبده ان يجعله بلا عقل .

وما كان له سبحانه ان يجعله مجبرا مكرها على العبادة لان الاكراه تفقد العبادة معناها .

وما كان لله الذي خلق الانسان ليعبده ان يجعل هذا الانسان الاها يخلق نفسه ، ويعبد نفسه ..

ففي اصله الترابي سر الخلق والحياة .

وفي غرائزه سر البقاء على الارض .
وفي عقله سر الادراك والايمان .
وفي حريته سر العبادة .

وفي هذا الكيان كله من روح الله التي نفخها فيه فكرمه واسجد له الملائكة .

وسطية الاسلام

في القرآن الكريم آية تقول للمسلمين :

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) — سورة البقرة الآية 143 — .

والوسط هو العدل والتوسط الاعتدال .
والشهادة ، هنا ، بمعنى العلم والاعلام كما في القاموس .

فما هي هذه الوسطية العادلة المعتدلة ، التي امرنا الله ان نقف عندها ، ونرشد الناس اليها ؟

انها ليست في الوقوف مع الحق ضد الباطل ..

وليست في الوقوف مع الخير ضد الشر ..

فهذه بديهيات ساذجة لا تحل ازمات الصراع الفكري حول قضايا الايمان والدين والاخلاق والمجتمع

ولكنها في الوقوف بالمركز الوسط العدل ، الذي نكون به قادرين على ان نمنع تعارض الحق والخير مع الحق والخير ...

فالحق بذاته لا يعارض الحق . والخير بذاته لا يعارض الخير . ولكن الافراط والتفريط في النظرة هو الذي يعطل صفاء الادراك ، وصفاء الاستنتاج ، ويعطل القدرة على التوفيق بين هذه المعاني الكريمة. ومن هنا ينقلب الحق الى باطل والخير الى شر :

فالايمان بالله حق وخير ، والعقل حق وخير ، ولكن لا يجوز ان نجعل تحمسنا المفرط لخدمة الايمان سببا لتعطيل العقل ...

والعلم حق . ووجود الله حق . ولكن لا يجـوز ان نجعل تحمسنا المفرط للايمان بالله سببا لتعطيـل يقينيات العلم ، التي هي انكشاف لنواميس الله فى خلقه ، او نجعل تقديس العلم سببا لانكار وجود الله وتاليه الانسـان ...

والحرية الفردية حق وخير . ومصلحة المجتمع، حق وخير . ولكن لا يجوز ان نخنق الحرية الفرديـة على حساب مصلحة المجتمـع ، ولا ان نتجاهـل مصلحة المجتمع من اجل تقديس الحرية الفردية ..

فالوسطية الاسلامية هي فى هذا التوفيق بيـن الحق والخير من كل الوجوه ، فى نظرة شاملة ، يكون فيها الله ، والحق ، والخيـر ، والانسان ، حقائـق يقينية ، غير متعارضة ، ولا متناقضة ، ولا يفنـي بعضها بعضـا .

نحـن علـى موعـد

هذا هو الاسلام فى العالم المعاصر : فى واقعه ، واسباب ضعفه ، واسباب صموده ، وفى ركائـز تفكيره التي تتفق مع ركائز التفكير الغربي الحديـث المعاصـر ، والتـي يمكـن بها ان نتلاقـى علـى « الوسطية الاسلامية » ، وتنتهي بهذا التلاقي ازمة الصراع التعصبي المتطرف بين الاديان التـي انزلها الله ، ازمة الصراع بين الايمان والالحاد ، وازمـة الصراع بين الراسمالية المتطرفة والشيوعية المتطرفة وازمة الانحلال الخلقي التي هي ام الازمات ..

اننا على موعد ، غير بعيد ، مع تلاق كريـم ينتصر فيه الغرب المسيحي نفسه لوسطية الاسلام ، لا ليتخلى عن مسيحيته ،بل ليتخلى عن نفرتـه وعداوته ، ويرجع الى المودة ، التي قررها القـرآن حيـن قال لمحمد عبد الله ورسوله :

(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهـود والذين اشركوا . ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى..) ـ سورة المائدة الآية 85 ـ

مفتي طرابلس : **نديـم الجسر**





لم يلاحظ اعراض صريح التحدي عن اختيار الاسلام كنظام للحياة مثل ما لوحظ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ويزداد هذا الاعراض الصريح وضوحا وتحديا كلما قربنا الى ايامنا هذه ، التي لم تعد قضية صلاحية الاسلام تثار بجدية واهتمام ، وان تعددت لافتات الاسلام لتحمل فى مناسبات معينة وفى اسواق الدجل السياسي . ولذا صار الاسلام فى نظر بعض شبابنا القاصر بالعالم الاسلامي عنوانا لشتى الصور المشوهة ؛ لانهم يستمدون معرفتهم بالاسلام من خلال اشخاص يسيئون لهذا الدين عن حسن نية او سوئها ، ولا يكلفون انفسهم عناء البحث فى حقيقة الاسلام نفسه بالاتصال بمصادره العلمية الصحيحة . وهذا ما جعل الاهتمام بالفكرة الاسلامية يتلاشى من قائمات اهتماماتهم بكل سهولة ويسر .

والفاجعة الكبرى ان ظاهرة الجهل بالاسلام لا تزدادلا اتساعا ورسوخا . ولكن انطواء دعاته على انفسهم لعلة او لاخرى ليمثل العنصر الاساسي فى هذه الفاجعة ، وهو فى نفس الوقت خيانة للرسالة التي حملوها .

وان الاعراض عن الاسلام فى هذا العصر — وفى غيره — لهو اعراض سفيه لا يقدر المعركة حق قدرها ، اذ يزهد فى سلاح فعال كان له الفضل فى الانتصارات العظيمة التي احرزها العالم الاسلامي بفضله خلال التاريخ .

قد يقال ان اسلحة الامس لم تعد صالحة فى عصر الذرة المدمرة ، وهذا صحيح بالنسبة للاسلحة المادية، ولكن سلاح الفكرة سلاح خالد ، بل انه السلاح الحاسم فى هذا العصر الذي يعتمد فى الصراع حيث فشل السلاح المادي ؛ ومما اضفى على هذا السلاح قيمة كبرى هو انتشار التعليم من ناحية ، وتقارب اجزاء الكرة الارضية فيما بينها بالمواصلات الحديثة من ناحية اخرى ، مما جعلها اشبه بمدينة واحدة او بناية واحدة ذات شقق وطبقات تسكنها الامم المختلفة فى تجاور متلاصق . فما يحدث فى بكين صباحا سرعان ما تنتشر اخباره فى شوارع دار السلام قبل الزوال ، كما لو كانت الشقة بينهما اقل مما كان بين فاس ومكناس منذ قرن من الزمن . ولذا تقدر الامم القوية سلاح الفكرة وترصد له ميزانية ضخمة مذهلة ؛ وان اي امة عزلاء من هذا السلاح عاجزة عن الدخول الى حلبة الصراع كمبارز يخشى ، وانما عليها الاستسلام للفكرة الغازية . وتقاس درجة كل امة فى الحضارة والرقي والقوة بما لديها من افكار سامية وقيم انسانية وبمدى تفاعلها مع هذه القيم وتاثرها بتلك الافكار وارتباطها بها، لان ذلك هو الذي يزودها بالحركة الهادفة المتصاعدة، ويلقحها بامصال الوقاية من الامراض الاجتماعية والخلقية والفكرية ، ويضمن لها المحافظة على السير الحثيث المبدع ، وتجعلها قادرة دائما على رد اي تحد او هجوم .

وعلى الرغم من بداهة هذه الحقيقة فان اضطراب ادراكنا ووعينا لحقيقة الصراع وطبيعة المعركة واعراضنا عن سلاحنا المصمم يطغى على تفكيرنا واتجاهاتنا . ويفسر هذا موقف المسلمين من التحديات على قيمهم ودينهم ، فقد كان هذا الموقف مختلفا .

1 — فمنهم من يجهل حقيقة هذا التحدي والهجوم ، ومن ثم فهو لا يعبا بخطره .

2 — ومنهم من استسلم لاول وهلة واصبح عامل هدم للاسلام في حماس واخلاص وخبث ، لان عوامل الحصانة وعناصر رد الفعل على التحديات قد جفت او جففت منابعها في كيانه ، مما جعله جنديا في اللفيف الذي اعد لمحاربة الاسلام من الداخل .

3 — ومنهم من ادرك خطر هذا الهجوم والتحدي ، ولكن صلته بفكرة الاسلام لم تكن حية ولا ذات فاعلية بالقدر الذي يستجيب الاستجابة المناسبة، فهذا الصنف بين منطو على نفسه ، مستسلم للواقع يحوقل ويتعوذ ، وياكل القوت وينتظر الموت في ياس وعجز ؛ وبين متحرك حركة مشلولة زمنة او رهينة مصالح ضيقة ، لا تعود على الفكرة بالفائدة المرجوة .

4— ومنهم من ادرك حقيقة الخطر وطبيعة الهجوم وغايات التحدي بسلاح من الفكرة الاسلامية يدافع عنها بايمان قوي بالنصر . وهذا القسم هو الذي يقود الحركات الاسلامية الهادفة في العالم .

ولقد كان لهؤلاء فضل كبير في ملء فراغ خطير كنا نعانيه ، وفي تسليح المؤمنين بالفكرة النيرة والحجة القاطعة في ميدان الصراع ، وبذلك واجهت التحدي الداخلي والخارجي ، واعني بالتحدي الداخلي تلك الانحرافات التي يحاول لصقها بالاسلام ؛ وبالخارجي هذه المذاهب الوضعية التي تصدر الينا بدون انقطاع وبمختلف الوسائل .

وعلى الرغم مما يوضع في سبيل هذه الحركات من عراقيل فانها حققت انتصارات من الناحية الفكرية . وهذه الطائفة من المسلمين سارعت الى الاختيار ساعة دقت اجراس الخطر ، فلماذا ارادت الاسلام نمطا ونظاما لحياتها ، واساسا لعلاقاتها ومثلا اعلى من وجودها ؟

ان الاختيار لم يكن بدافع الحنين الى ماض مشرق عزيز ولا تعصبا جاهلا ، وانما هو عن وعي عميق وشامل ، هذا الوعي الذي وجد نفسه امام حضارة آسنة متدهورة اقامت الآلة وثنا تعبده ، والمنفعة مبدأ تقدسه ، حتى انها اخضعت القيم الدينية لتسير في ركب المنفعة او اقامت على انقاضها دينا جديدا يعب من : المادية والالحاد ، كما يشهد بذلك بعض كبار مفكري هذا العالم .

يقول كارل ياسبرز عن الافكار التي تسيطر على هذا العالم بانها « نشات في بيئة الحادية متمردة التي ازدهرت فيها الاخلاق « النفعية » والقيم الحسية التي تستبعد كل ما هو غيبي ، وتلبي الميول الغريزية النازعة الى الاستمتاع العاجل المباشر دون ان تقيم وزنا لصوت الضمير او تراعي مبادئ الحق والخير والجمال » .

وهذا ما جعل فيلسوفنا قبله وهو شبنكلير يؤلف كتابه العظيم « تدهور الغرب » .. او « انهيار الحضارة الغربية » . لان الغرب عبد العلم وآمن بالآلة، ونسي نفسه ، واصبح عبدا لمخترعاته واشيائه على حساب خلقه وضميره واهدافه الانسانية العليا . وقد ادرك هذا الخطر عقلاء آخرون لهذا العالم ، فصاحوا منذرين ومحذرين كالدكتور كارليل الذي يقول : « اننا لن نصيب اية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية ، فحقيقة الامر ان العلم الخالص لا يجلب لنا مطلقا ضررا مباشرا ، ولكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا ويستعبد افكارنا في مملكة الجماد فانه يصبح خطرا ؛ ومن ثم يجب ان يحول الانسان اهتمامه الى نفسه ، والى السبب في عجزه الخلقي والعقلي . اذ ما جدوى زيادة الراحة والفخامة والجمال والمنظر واسباب تعقيد حضارتنا اذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة فيما يعود علينا بالنفع . حقا انه لمما لا يستحق اي عناء ان نمضي في تجميل طريق حياة تعود علينا بالانحطاط الخلقي وتؤدي الى اختفاء انبل عناصر الاجناس الطيبة ... »

ومثل هذه الصرخات كثيرة تنبعث من اعماق حناجر وضمائر عقلاء هذا العالم الجديد الذي تسلم زمام مصير الانسانية ، فارغمها على السير نحو التدهور الذي تنبأ به اشبنكلير وغيره .

ولذلك كان من البله والبلادة الاستسلام لهذه القيادة التي لا تحسن التسيير حيث تعمل على افقار العالم من اروع قيمه .

تطوان : عبد السلام الهراس

لا مستقبل للانسانية الا في ظل السلام والتعاون الدولي

للأستاذ أحمد حسين المحامي

عاش الانسان الجزء الاكبر من حياته كانسان وعلى هذا الكوكب ، يرى فى نفسه نوعا ، يختلف عن سائر ما فى الدنيا من انواع ؛ فلم يبذل نشاطه فى معاداة نوعه ، فضلا عن ان يعمل على القضاء عليه ، وانما كرس كل جهده فى التغلب على ما يعرض له من مشاكل طبيعية ، ساعيا لتوفير طعامه وملبسه ومأواه ، من خلال التعاون مع ابناء جنسه وافراد نوعه .

والراي على ان الانسان لم يعرف الحرب فيما بين جماعاته الا فى وقت قريب جدا ، يقول لنا جوليان هوكسلى فى كتابه « الانسان فى العالم الحديث » :

« الحرب ظاهرة بيولوجية نادرة جدا ، وليس يوجد الا نوعان من الحيوانات من عادتهما الاشتباك فى الحروب ، وهما الانسان والنمل؛ بل ان النمل لا يمارس الحرب منه غالبا الا جماعة واحدة . وكثير من علماء تاريخ السلالات البشرية يعتقدون ان الحرب ، او على اية حال الحرب المنظمة المألوفة لم تنشأ فى مراحل تطور الانسان ، الا عند ما وصل الى طور المدنية المستقرة ، وبدا يكنز الحبوب وغيرها من صنوف الثروة » .

ونحن نعلم ان عصر المدنيات والحضارة لم يبدا الا منذ سبعة آلاف سنة على الاكثر على حوض النيل والدجلة والفرات . عند ما بدات الجماعات المتقاربة تتوحد فى تشكيلات جماعية اكبر واكبر ، حيث تخضع لامير او ملك .

ثم بدات هذه الوحدات الكبيرة تدخل فى حروب مع جيرانها ، فلم تعد الحرب ، حرب قبائل متجاورة ، وانما حرب دول ضد بعضها ، وقامت امبراطوريات مصر القديمة ، وآشور ، وبابل ، وفارس تحاول فرض سلطانها على جيرانها من الدول الاخرى ، ولم تلبث كل بدورها ان وجدت من ينازعها الغلبة والسلطان ، من خلال المعارك والحروب .

ولكن الظاهرة المؤكدة ، ان تيار الحضارة والمدنية ، ظل يتدفق دوما نحو الامام ، لا تنال منه هذه الحروب الجزئية المحدودة ، ولا يعرقل سيره قيام امبراطورية وانهيار اخرى ؛ بل ان المشاهد والثابت ان الحوادث المختلفة ، قد اغنت دائما التطور الحضاري والرته . فليس سوى الاحتكاك والمنافسة والرغبة فى الدفاع عن النفس كان حافزا للعقل البشري على الخلق والابداع .

ولقد كتبت منذ اكثر من عشرين سنة ، والحرب العالمية الثانية مشتدة الأوار ، رسالة فى موضوع الحرب؛ حاولت ان اثبت فيها ان كل تقدم آلي وتكنيكي حققه الانسان ، انما تم من خلال الحروب التي جهزته باسلحة لم يلبث ان استخدمها فى ايام السلم فزادت فى قدرته على الانتاج ورخائه .

وهذه حقيقة مؤكدة لا يمكن انكارها ، فقد عاشت البشرية حتى الان ، بل وتقدمت وازدهرت وهى تمسك الفأس فى يد تزرع وتنتج ، والسيف فى اليد الاخرى تقتل به وتذبح .

الاسلحة النووية :

ولكنا وصلنا الان الى مرحلة لم تعد الفاس فيها كافية لاطعام بني الانسان ، فلا بد من جرارات وكيماويات ، كما لم يعد السيف هو اداة القتال ، وانما قنابل ذرية وهيدروجينية ، وقنابل كوبالت يطلق عليها اسم قنبلة « يوم القيامة » .

والراي على ان هذه القوى ، لو انطلقت من عقالها، لما بقى على ظهر الارض انسي .

ان الثقات يجمعون على انه لو قامت حرب ذرية في العصر الحديث ، فان ضحاياها يتجاوزون في الساعات الاولى للمعركة للثمالة مليون نسمة ، من سكان المدن الكبرى ، ومراكز الانتاج الصناعي والعملي والثقافي ، اما استمرار الحرب بعد ذلك لبضعة ايام ، فان هذا يعني فناء البشرية كلها .

ولننقل لك فقرة من تقرير هيئة الامم عن نزع السلاح لعام 1961 :

« اننا نشك في استمرار وجود العالم بأي شكل من الاشكال دون نزع السلاح ، ان شبح الموت يسيطر علينا ، فان طيران سرب من الاوز البري في هدوء عبر اركاتيكا البيضاء (القارة القطبية) لم يدخل في نطاق تحذير شاشة رادار امريكي او سوفييتي ، تتصور الشاشة على انه صواريخ ، فتتاهب حكومة الولايات المتحدة او الاتحاد السوفييتي للقيام بالضرب النووي المضاد كما تقضي الحالة ، فيبدا اعصار الحرب النووية بينما يطير الاوز في هدوء الى الامام .

والحق ان الاوز سيكون هو المخلوق الوحيد الذي يظل حيا بعد حرب عالمية » .

ولا يظن القاريء ان هذا الذي ختمت به لجنة نزع السلاح تقريرها مجرد فرض نسجته من وحي الخيال ، فهي انما تشير الى حادث وقع بالفعل ، فان محطة الرادار النووية الموجودة في شمال جرينلند المخصصة للانذار عند اقتراب قاذفات القنابل السوفياتية ، حدث ان اعطت الانذار ، فقام الطيارون المدربون على ان يكونوا في الجو في ظرف دقيقتين بطائراتهم حاملة القنابل الهيدروجينية ثم اتضح للرادار ان القذيفة التي شوهدت على شاشة الرادار لم تكن الا سربا من الاوز .

فالحروب الذرية اليوم اذا اندلعت ، لن تكون كحروب الامس ، التي سمحت للحياة الانسانية بل وللحضارة الانسانية ، بالنمو والتطور ، انها حرب افناء ان لم يكن للجنس البشري ، فعلى الاقل لحضارته .

الانفجار السكاني :

على ان ثمة خطرا آخر أصبح يهدد الانسانية لا يقل في اثره على المدى الطويل من خطر الحرب الذرية، وهو ما اصبح يعرف باسم الانفجار السكاني . ذلك ان البشر يترايدون بمعدل ثلاثة اشخاص كل ثانيتين ، اي بمعدل تسعين شخصا في الدقيقة الواحدة ، و 400 5 شخص كل ساعة او 600 ر 129 شخص كل يوم . و 000 ر 300 ر 47 شخص في السنة اي ما يزيد على مجموع سكان فرنسا باجمعها .

وقد اجمعت كل الكتب التي الفت قبل عام 1960 ، على ان سكان العالم سيصلون في ختام القرن العشرين ، أي بعد 33 سنة من الان ، الى ثلاثة آلاف مليون نسمة . وقد استند المؤلفون على بيانات هيئة الامم الدقيقة التي تصدرها كل عام حول عدد المواليد . وكان هناك تخوف من بلوغ العالم هذا العدد من السكان.

ويتجلى خطر الانفجار السكاني عند ما نعلم ان العالم قد تجاوز هذا القدر منذ عام 1965 ، فلم يعد الامر بحاجة للانتظار ثلاثة وثلاثين عاما ليبلغ مجموع البشر ثلاثة آلاف مليون نسمة . والتقدير الان لسكان العالم في ختام القرن اي عام 000 2 يتراوح بين ستة آلاف مليون وسبعة آلاف مليون ، اي اكثر من ضعف ما كان مقدرا من البداية .

ويقول الخبراء ، ان العالم لو استمر في الزيادة السنوية بهذا المعدل ، فان عدد البشر سيبلغ حدا لا يعود سطح الارض كافيا لموطيء قدميه ، وذلك بعد بضعة قرون فقط .

ومعنى ذلك ، ان انقاذ العالم من حرب ذرية ، يفضي الى سلام ينتهي بها اذا لم يتضافر البشر على مواجهته الى الفناء كذلك .

ضرورة التعاون بين البشر :

ولا سبيل لانقاذ البشرية من هذا الخطر الآخر ، الا بالعمل على رفع مستوى الشعوب المتخلفة ، شعوب

آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ذلك ان هذه الزيادة المخيفة لسكان العالم ، انما تتدفق من هذا الجانب ، فحيث لا يتزايد سكن اوربا الا بنسبة 9 / من الواحد الصحيح في المائة ، فان شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية تتزايد بنسبة 3ر2 ٪ كل عام .

ومن الظواهر الثابتة ، انه كلما زاد رقى الانسان، كلما قل نسله ، يتجلى ذلك في نفس انسان اهل المدن عن اهل الريف ، ونقص انسان الاغنياء عن الفقراء ، والدول المتحضرة عن الدول المتخلفة . والارتقاء بالشعوب المتخلفة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لا يمكن ان يتم الا من خلال تعاون عالمي ، يضع فيه القادرون امكانياتهم العلمية والتكنولوجية ، من اجل مضاعفة الانتاج الزراعي الراسي ، باستخدام الالات والكيماويات واحدث الاساليب العلمية ، والافق بزراعة ارض جديدة ، بدلا من الغابات والمستنقعات والصحاري، وتحويل البحار التي تؤلف ثلثى مساحة الكرة الارضية، الى مصدر رئيسي للغذاء وكل ما يحتاجه الانسان من معادن .

المائة عام القادمة :

وقد وضعت خطط محسوبة ومدروسة للارتفاع بالانسانية كلها في المائة عام القادمة الى مستوى الحياة الامريكية ، وقدرت موارد الارض ومصادرها ، فوجد انها تكفي البشر لتحقيق هذا الذي يعتبر حلما ، شريطة ان يبدا البشر منذ الان تعاونهم في صدق واخلاص ، في ظل هيئة الامم ، وسيادة حكم القانون في علاقة الشعوب ببعضها .

نموذج من العالم العربي :

ولكى نقرب هذه الصورة الى اذهان القارىء الكريم ، ما علينا الا ان نسوق له مثالا من واقعنا العربي وكيف ان تعاونه مع بعضه ، ومع بقية دول العالم في صدق واخلاص يصل بسكانه الى الذروة في الوقت الذي سيظل يغص بمشاكل الفقر والجهل والمرض ، اذا ظل على تشتته وخلافاته .

تبلغ مساحة العالم العربي 11 مليون كيلو متر مربع ، اي قدر مساحة اوربا ، ومع ذلك فان عدد سكانه لا يزيد عن تسعين مليون نسمة في الوقت الذي يسكن اوروبا 434 مليون نسمة .

وحيث يمثل سكان العالم العربي 3٪ من سكان العالم فانه ينتج من القمح 35 ٪ من الانتاج العالمي اي مليون طن . وينتج من الحبوب الغذائية من قمح وشعير وذرة سبعة عشر مليون طن اي انه يخص الفرد الواحد 200 كيلو جرام سنويا ، وهو قدر محترم .

وينتج العالم العربي 3 مليون وربع طن من الكروم وهو ما يساوي 8 ٪ من الانتاج العالمي و 5ر1 مليون طن من الحمضيات ، وهو ما يساوي 9٪ من الانتاج العالمي .

ويوجد بالعالم العربي من الثروة الحيوانية اكثر من مليون راس ما بين ابقار وجاموس وابل واغنام اي اكثر من راس لكل فرد ، من افراده .

وقصة البترول العربي اصبحت معروفة ومشهورة، فقد استوردت اوروبا 118 مليون طن من بترول العرب

عام 1960 مقابل 15 مليون طن وصلت غرب اوروبا من نصف الكرة الغربي ، وقد زادت هذه الارقام في السنوات التالية بطبيعة الحال .

والامر المجمع عليه أن 60٪ من بترول العالم موجود في البلاد العربية ، ولما يكتشف بعد البترول في صحراء العرب الكبرى ويقدر المخزون بها .

ويبلغ دخل الكويت سنويا من البترول ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، حيث لا يزيد عدد سكانه على ثلث مليون .

ويوجد في السودان وحده مائة مليون فدان صالحة للزراعة ولكنها لا تزرع لعدم وجود الايدي العاملة التي تزرعها .

وفي العراق وسوريا ، اراض زراعية تقدر بملايين الافدنة لا تجد من يزرعها لقلة اليد العاملة وتعاني ليبيا بعد اكتشاف البترول بها من قلة اليد العاملة .

وذلك في الوقت الذي يتزايد فيه سكان مصر الى الحد الذي جعل من زيادة السكان مشكلة المشاكل التي تشغل بال الدولة ، اذ تلتهم الزيادة السنوية ، كل محاولة لزيادة الانتاج لرفع مستوى الشعب المصري .

قارة افريقيا :

هذا الوضع بالنسبة للبلاد العربية ، هو بعينه الوضع بالنسبة لافريقيا كلها ، فحيث يمكن اعتبار قارة افريقيا اغنى قارة في الدنيا ، ففيها من الطاقة المتاحة التي يمكن توليدها من مساقط الانهار ثلاثة اضعاف ما تنتجه اوروبا من هذه الطاقة ، وحيث تنتج 98٪ من الماس في العالم واكثر من نصف ذهب العالم ، وكانت حتى وقت قريب هي المصدر الوحيد

لانتاج اليورانيوم ، وحيث توجد بها اعظم ثروة حيوانية فى العالم .

وحيث لا يتجاوز عدد سكانها عن 250 مليـون نسمة ، فهى آخر قارات الدنيا من حيث التخلف بالرغم من تحرر اغلب شعوبها سياسيا ، وستبقى كذلك لعدة اجيال ، اذا ظلت على فرقتها وخلافاتها وتنابذها .

علاج العالم العربي والافريقي والانساني :

ولا علاج للعالم العربي ، كمـا لا علاج للعالـــم الافريقي ، والعالم الانساني فى مجموعه ، الا اذا ارتفع الى مستوى المسؤولية التي اوصله اليه العلم الحديث وراح ينظر لمصلحته الخاصة باعتبارها جزءا من المصلحة العامة ، لا يتحقق عن غير طريقها ، فيتكلم بلغة جديدة، ويصوغ العلاقات بين الدول على أسـس جديدة ، ممـا فصلناه فى كتابنا « الأمة الانسانية » .

وبغير هذا التعاون الدولي الصادق ، فان مستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب قد اصبـح فى خطـر ، وفكرة فناء البشرية ككل لم تبعد فى اي يوم من الايام ، عن خاطر الانسـان .

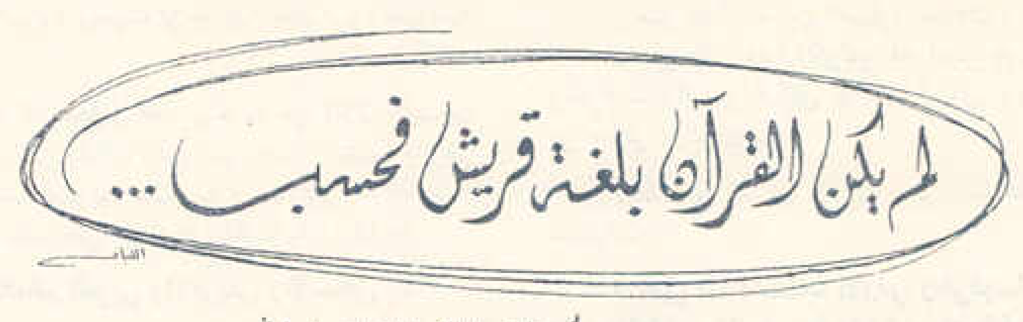
وهذا هو القرآن الكريم يصور لنا هذه الامكانية بقـولـه :

« حتى اذا اخـذت الارض زخرفهـا ، وازينت ، وظن اهلها انهم قادرون عليها ، اتاها امرنا ليلا او نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس » .

والكلمة الان لبني الانسان ، ان شاءوا ارتفعـوا بمستواهم ، وحسنوا احوالهم ، واستداموا حضارتهم، او عرضوا انفسهم للخراب والدمار ، وجعلوا مـا على سطح الكوكب الانساني حصيدا كأن لم يغن بالامس .

احمد حسين ـ المحامي





للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

- 9 -

القبيلـــة السابعـــة : تميـــم (1)

غير خاف ما لتأثير لهجة هذه القبيلة على اللهجات العربية الاخرى ، كما لا يخفى على احد — بعد كل ما يقرأ في المصادر القديمة ومعاجم اللغة — من ان لغة تميم اسلم لهجة عربية على الاطلاق بل هي في كثير من الاحيان اقوى قياسا من بعض القواعد القرشية ، بل فيها ما يكاد الباحث يستنتج منه باطمئنان ان لهجة تميم كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها هي التي ينطق بها غالبا ابناء اللغة العربية (2) .

اما ابن منظور فيرى ، مع امام النحاة سيبويه ، ان التميميين يراعون القياس في كسر اوائل الافعال المضارعة ويقول : (3) « وزعم سيبويه انهم يقولون تقي الله رجل فعل خيرا ، يريدون اتقى الله رجل ، فيحذفون ويخففون . وتقول انت تتقي الله ، وتتقي الله (بفتح تاء الفعل الاول وكسرها في الثاني (4)) على لغة من قال تعلم وتعلم (بفتح تاء الفعل الاول وكسرها في الثاني (5)) . وتعلم بالكسر لغة قيس ، وتميم ، واسد ، وربيعة ، وعامة العرب .

---

1) قال ابن حزم عن تميم : « هم قاعدة من اكبر قواعد العرب » ويقول اكبر المؤرخين ان منازلهم كانت بأرض نجد والبصرة واليمامة . قال اليعقوبي : كانت تلبيتهم في الجاهلية اذا حجوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك عن تميم قد تراها ، قد اخلقت اثوابها واثواب من وراها ، واخلصت لربها دعاها » . ومن المآخذ التي اخذت عليها ان كثر فيها وأد البنات في وقت قل في سائر قبائل العرب (انظر بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) الجزء الثالث — الطبعة الثالثة بالقاهرة — صفحة 42) . ووصفها دغفل بانها « حجر اخشن ان صادفته آذاك وان تركته اعفاك » (نفس المصدر صفحة 201) . ولقد وصفها الشاعر الطرماح وصفا ذميما حين قال :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

انظر ايضا لمعرفة هذه القبيلة دائرة المعارف الاسلامية . الجزء الخامس من صفحة 473 الى 478 . وجمهرة الانساب ابتداء من صفحة 196 . ومعجم قبائل العرب . الجزء الاول . ابتداء من صفحة 126 . انظر الاعلام ايضا . صفحة 71 من الجزء الثاني .

2) « دراسات في فقه اللغة » للدكتور صبحي الصالح طبعة جامعة دمشق 1960 . صفحة 65 .

3) « لسان العرب » الجزء 20 صفحة 283 . طبعة بولاق .

4) الزيادة من كاتب السطور .

5) الزيادة من كاتب السطور .

واما اهل الحجاز وقوم من اعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون : تعلم (بالفتح (5)) والقرءان عليها قال : « وزعم الاخفش ان كل من ورد علينا من الاعراب لم يقل الا تعلم (بالكسر (5)) قال : نقلته من نوادر ابي زيد » .

ولقد ذهب الى هذا الرأي وركن اليه العالم اللغوي الشهير ابو الفتح عثمان ابن جني حين قال : (6) « من ذلك ان التميمية في (ما) هي اقوى قياسا من حيث كانت عندهم كـ « هل » في دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صدري الجملتين : الفعل والمبتدا ، كما ان « هل » كذلك . الا انك اذا استعملت انت شيئا من ذلك فالوجه ان تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازية ، الا ترى ان القرءان بها نزل . وايضا فمتى رابك في الحجازية ريب من تقديم خبر ، او نقض النفي فزعت اذ ذاك الى التميمية ، فكأنك من الحجازية على حذر ، وان كثرت في النظم والنثر . »

وجميل هنا ان نذكر بالحكاية التي اوردها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي في اماليه والتي يروي فيها ان ليس في الارض حجازي الا وهو ينصب (ويقصد خبر ليس) ولا في الارض تميمي الا وهو يرفع (7) ، وهذا يبين لنا بوضوح « ان لكل قبيلة عربية لحنا خاصا بها لا تستطيع سواه ويستحيل تلقينها غيره لان السنتها لا تجري الا به (8) » .

وبما ان تميم قبيلة عريقة في البداوة فانها تميل دائما الى الصوت الاشد فتفضل النطق بالضاد على الظاء، مع انه اخف ولهذا تقول فاضت نفسه بالضاد المهملة . كما تميل هذه القبيلة الى الطاء عوض التاء فتقول مثلا افلطني الرجل افلاطا ، بدل افلتني افلاتا . وهم يفضلون الصاد على السين ، والقاف على الكاف . وسبب كل هذا الخشونة التي تتصف بها هذه القبيلة . ومن الخشونة تفضيلها للضم ، وهو فظ غليظ . بينما يحرص الحجازيون على الكسر للطافته . وهكذا تقول تميم : رضوان ومرية واسوة وقدوة وقنوة بالضم بينما هي مكسورة الاول في اللهجة الحجازية (9) .

اما الالفاظ التميمية الموجودة في القرءان الكريم فقد احصيت منها 12 لفظة بيانها كما يلي :

1 — لفظة « بغيا » الموجودة في سورة البقرة الاية 90 التي يقول فيها الحق سبحانه : « بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » ومعناها بهذه اللغة الحسد .

2 — لفظة « تدخرون » المثقلة الموجودة في الاية 49 من سورة ال عمران . ولقد سبق ان ذكرت ان هذه المفردة كنانية حين تقرأ بالتخفيف ، وبينت وجهة نظري في الموضوع (10) . ومن المفيد ان نلاحظ هنا ان تدخرون بالتضعيف اسلم واقيس من تدخرون بالتخفيف ومن هذا يمكن ان نستنتج تفوق لهجة تميم على لهجة كنانة ، على الاقل ، في باب مراعاة القواعد السليمة المطردة للغة العربية .

3 — مفرد « قرح » الكائنة في الاية 140 من سورة ال عمران وقد كررها مرتين في هذه الاية: «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » . كما وردت مرة اخرى في نفس السورة الاية 172 التي يقول فيها جل جلاله : « الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما اصابهم القرح ، الذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم » .

وفي لفظة القرح لغتان : فالتميميون يضمون القاف بينما يفتحها الحجازيون ، وقد قرىء بالوجهين معا .

---

5) الزيادة من كاتب السطور

5) الزيادة من كاتب السطور

6) « الخصائص » الجزء الاول طبعة القاهرة 1952 صفحة 125

7) انظر صورة من هذه الحكاية في « المزهر » صفحة 277 من الجزء الثاني

8) دراسات في فقه اللغة صفحة 70 .

9) انظر اكثر الفروق الاخرى في « المزهر » الطبعة الثالثة صفحة 276 و 277 .

10) انظر دعوة الحق — العدد الخامس — السنة التاسعة — صفحة 26 و 27 .

ومن اللغويين من اعطى لشكلها تأويلا اخر فقال : القرح بالفتح الجراح ، والضم المها وهو تأويل يلجا اليه من لا يحب ان يسمع بتعدد اللهجات في اللغة العربية . ومن القراء من قرأها بفتحتين كابي السمال .

4 — لفظة « ثمر » الكائنة في سورة الانعام الاية 99 التي جاء فيها « وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان في ذلكم لآيات لقوم يومنون » وقد كرر الحق سبحانه وتعالى هذه المفردة بهذه الصيغة في نفس هذه السورة الاية 141 .

وفي هذه اللفظة كما في اللفظة السابقة لغتان . وغني عن البيان ، الان ، بعد كل ما شرحناه اعلاه ، ان الضم لغة تميم والفتح لغة كنانة . ومن القراء من قرأها بالضم .

5 — لفظة « يبشرهم » في قوله تعالى « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » وكالعادة في هذه اللهجة التي يتميز الناطقون بها بالخشونة والغلظة لبداوتهم اقول ، وكالعادة ، فان النطق الصعب ، وهو تضعيف الشين ، لتميم ، بينما كنانة، التي تميل الى الرقة والخفة،لا تنطق بها الا بالتخفيف . وتقرأ بهذين الوجهين في كتاب الله الكريم .

6 — كلمة « امة » وقد سبق ان تعرضت لها حين الحديث عن لهجة قيس عيلان ، وفصلت القول فيها . وتوجد في الاية 45 من سورة يوسف .

7 — لفظة « سرابيل » الموجودة في الاية 81 من سورة النحل ، وهي الاية التي يقول فيها سبحانه وتعالى: « والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال اكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » ومعناها بهذه اللغة القمص .

ولا بد ان ابدي هنا ملاحظة اظنها مهمة . ذلك ان المفسرين الذين اهتموا بلغات القرءان يذكرون كلهم ان لفظة سرابيل لفظة تميمية ولهذا اثبتها في عداد هذه القبيلة . ولعل هذه المفردة ظهرت في الجزيرة العربية، اولما ظهرت،في فم افراد قبيلة تميم،فظنها الناس تميمية اصالة ، اما الان، فقد ثبتت الحجة القاطعة ، التي لا تقبل ادنى شك ، على ان هذه اللفظة فارسية للسبب البسيط ، وهو شكل تركيبها الذي لا يمكن ان يكون تميميا ، بل فارسيا لا محالة . ولا شك ان سرابيل هو الجمع العربي للمفردة الفارسية سربال . فهي تتركب من سر (فوق) وبال (قامة) وهو القميص .

ويرى صاحب الصحاح ان السراويل غير السرابيل وهو على صواب ، اما هذه الاخيرة فهي كما شرحت اعلاه . وقد جعلها كلمة عربية واشتق منها صيغا وادمجها تحت مادة سربل . واما لفظة سراويل فيرى انها مفردة وان جمعها سراويلات ، واعتمد في هذا الادعاء على كلام لم يقله سيبويه (11) . والمفردة سراويل فارسية ايضا ، ولا حاجة الى بسط الكلام فيها ، ما دامت خارجة عن المفردات التي تهمنا الان .

8 — لفظة « الصدفين » الموجودة في الاية 91 من سورة الكهف والتي يقول فيها سبحانه وتعالى « اتوني زبر الحديد ، حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا » ومعناها بهذه اللغة الجبلين . وفيها قراءات شتى قال الزمخشري(12): « وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بضمة وفتحة » . وتفصيل هذه القراءات كما يلي :

من القراء الذين يقرأونها بضمتين وبفتحتين : ابي بن كعب (13) .

اما القراء الذين يقرأونها بفتحتين او بتعويضها بكلمة جبلين فهم : ابن مسعود (14) وعلي بن ابي طالب (15) وابن عباس (16) .

11) انظر الصحاح صفحة 729 الجزء الخامس . وانظر ايضا التعليق الموجود في طرة هذه الصفحة .
12) « الكشاف » صفحة 402 من الجزء الثاني .
13) Materials for the history of the text of the Qur'ân صفحة 144 .
14) نفس المصدر اعلاه صفحة 57 .
15) نفس المصدر اعلاه . صفحة 188 .
16) نفس المصدر اعلاه . صفحة 201

ومن المفسرين من يجعل هذه الكلمة مشتقة من فعل صدف عني اي اعرض ، وقد اتفقوا في ذلك مع ما ذهب اليه كثير من اللغويين وعلى راسهم ابن منظور والجوهري ، واذا كان الامر كذلك ، فان هذه اللفظة كررت في القرءان الكريم اربع مرات كلها في سورة الانعام ، ثلاث مرات في الاية 157 « فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ، سنجزي الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » وفي الاية 46 من نفس السورة : « انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون » .

ولا شك ان هذه اللفظة من الالفاظ الغريبة التي تستعصي معرفتها على عامة الناس . ولهذا حاول نافع بن الازرق ، وصاحبه نجدة بن عويمر ، ان يمتحنا بها عبد الله بن عباس الذي اعتاد ان يجلس بفناء الكعبة ، يفسر القرءان . فطلب منه نافع قائلا له (17) اخبرني عن قوله تعالى (يصدفون) قال : « يعرضون عن الحق » .

قال : « وهل تعرف العرب ذلك ؟ » قال نعم ! اما سمعت قول ابي سفيان ! » .

عجبت لحكم الله فينا وقد بدا
له صدفنا عن كل حق منزل

9 — كلمة « متنا » الاية 16 من سورة الصافات يخبرنا المحققون ان تميما تنطقها بضم فاء الفعل ، وان اهل الحجاز يكسرونها .

واذا كنا قبلنا هذا الضم الثقيل ـ ولم نقبله بسهولة ـ ونسبناه الى تميم في مثل قرح وثمر وامة من الكلمات التي سبق ان تعرضنا لها ، ونقبله في لفظة سخريا التي لم نتكلم عنها بعد ، فلأننا لم نر حتى الان ، وجها وجيها يمكن ان نقدمه للناس ، غير الوجه الذي اعتمدناه . والله يشهدكم بذلنا من جهد للبحث عن هذا الوجه دون طائل ، ذلك ان الميدان الذي ولجناه ، دون وعي منا ، لا زال بكرا الا من اشارات خفيفة ، منثرة هنا وهناك ، تنتظر الفكر الخلاق ، والقلم الرصين .

اما في هذه اللفظة ، فضم الحرف الاول من الكلمة له وجه مدروس عند النحاة ، ذلك ان الكلمة التي تتحدث عنها فعل ، وليس باسم كسابقاتها ، وحركات حروف الفعل في اللغة العربية تخضع لناموس مضبوط ، محكم ، لا يمكن الخروج عنه بوجه من الوجوه . وهذا الفعل الذي نحن بصدد الحديث عنه ، هو فعل « مات » الذي اتفق النحاة على القول بانه على وزن فعل المفتوح العين . وبما ان هذا العين واو فان الفعل يخضع في هذه الحال ، الى ما اوضحه بشكل يبهرنا العالم النحوي الشهير ابن مالك في لامية افعاله ، اذ يقول :

وانقل لفا الثلاثي شكل عين
اذا اعتلت وكان بتا الاضمار متصلا
او نونه واذا فتحا يكون فمنه
اعتض مجانس تلك العين منتقلا

فالفعل الذي يهمنا الان مسند الى ضمير الرفع ، وهو نون الجماعة ، ثم انه مفتوح العين . فكان لزاما اذن ، تطبيقا لقاعدة ابن مالك ان نعوض الواو الاصلي المحذوف لالتقاء الساكنين بحركة تجانسه وهي الضمة، نضعها على فاء الفعل ، فيصير متنا ، مضموم الفاء ، وهو النطق التميمي . لكن الوجه الاخر الذي ينطق به الحجازيون ، له تأويل اخر ، لا شك ان النحاة تعرضوا له . انهم حين ينطقون بـ « متنا » بكسر فاء الفعل ، يكونون عوضوا بهذه الكسرة ياء الاصل ، ومن هنا يمكن ان نقول انهم يرون ان اصل الفعل ميت لا موت

10 — مفردة « سخريا » الاية 63 من سورة الصافات والملاحظ هنا ايضا ، كما في اللفظة السابقة ، ان الضم لغة تميم ، والكسر لغة قريش ، وهي ملاحظة وقفت عندها طويلا في هذه الحلقة ، فلا داعي الى اعادتها ، وقد كرر الحق سبحانه هذه المفردة مرتين في القرءان ، مرة في سورة المومنين الاية 110 ، ومرة في الزخرف الاية 32 .

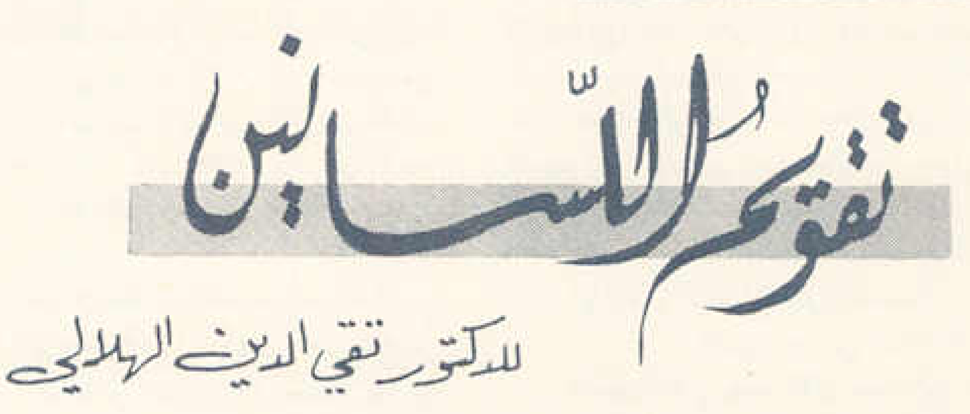
11 — لفظة « خاشعة » في الاية 39 من سورة فصلت ومعناها بلغة تميم مقشعرة .

12 — كلمة « اسن » في الاية 15 من سورة محمد، ومعناها بهذه اللغة متن .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

---

17) « الاتقان في علوم القرءان » طبعة القاهرة الجزء الاول صفحة 127 .



تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 3 -

9 — فى اية مناسبة

من الاخطاء التي شاعت وذاعت فى هذا الزمان تانيث (اي) اذا اضيفت الى مؤنث كقولهم : يمكن ان يجيء فى اية لحظة ، ولم ترد اية انباء ، وهذا الاستعمال كثير يسمع فى كل وقت من الاذاعات ويقرا فى الصحف ، وهو فاسد ، فان (ايا) اذا اضيفت الى مؤنث او مذكر و جمع كيفما كان تبقى على حالها . قال الله تعالى فى سورة الانفطار (فى اي سورة ما شاء ركبك) .

وقال تعالى فى سورة المؤمن (فاي آيات الله تنكرون) وقال تعالى فى سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

قال الخضري فى حاشيته على ابن عقيل فى الكلام على الحكاية بعد تقرير حكم (اي) المحكي بها ، وبيان انها تتبع اللفظ الذي حكي بها فى الاعراب والتذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع ما نصه : خرج المسؤول بها ابتداء فلا يحكي بها شيء ، بل تكون بحسب العوامل ، ومفردة مذكرة لا غير مثل من ، وشذ قوله :

بـأي كتاب أم بأية سنة
ترى حبهم عارا علي وتحسب

وقال الصبان فى حاشيته على الاشموني مثل ذلك .

وقول الخضري : ابتداء ، احترز بذلك من المسؤول بها حكاية ، فانها تذكر وتؤنث ، فاذا قال لك قائل : جاءني رجل تقول : اي . واذا قال لك : جاءتني امراة تقول : اية . فاي مسؤول بها فى الحالين ، الا انك اذا سألت بها ابتداء تلزم الافراد والتذكير . واذا سألت بها حكاية تجيء على حسب المحكي .

10 — نسيت أنا الآخر

هذا خطأ شائع فى البلاد العربية ، يقول شخص مثلا : نسي صديقي وعده ونسيت أنا الآخر ، أو نسي هوالاخر. فاستعمال الآخر هنا خطأمحض. والصواب: ونسيت انا ايضا .

وهذا الاستعمال موجود فى اللغة العامية المصرية بابدال الهمزة راء ، يقولون مثلا : نسيت أنا (راخر) والظاهر ان اول من ارتكب هذا الخطأ عامة الكتاب المصريين ، لانه موجود فى لغتهم العامية فاستعملوه فى الفصحى ، وتبعهم غيرهم من عامة كتاب البلاد العربية والمتكلمين بها من غير العرب .

11 — اعتناق الدين .

قال صاحب اللسان : وعانقه معانقة وعناقا : التزمه ، فأدنى عنقه من عنقه . وقيل : المعانقة فى المودة ، والاعتناق فى الحرب . قال :

يطعنهم ما ارتموا ، حتى اذا اطعنوا
ضارب ، حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقد يجوز الافتعال في موضع المفاعلة ، فاذا خصصت بالفعل واحدا دون الآخر لم تقل الا عانقه في الحالين . قال الازهري : وقد يجوز الاعتناق في المودة كالتعانق ، وكل في كل جائز . اهـ

فظهر ان المعانقة والاعتناق كلاهما مأخوذ من ادناء العنق من العنق ، والدين ليس لـه عنق . ولا يعانق من دخل فيه . فالفعل هنا من جانب واحد .

والعرب لا تقول ابدا : اعتنق الاسلام ، او اعتنق النصرانية ، او اعتنق الفكرة ، وانما تقول : اسلم ، وتنصر ، واعتقد كذا وكذا قال تعالى في سورة آل عمران (10 فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا ، فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد) .

ومثل هذه العبارات في الكتاب والسنة كثيرة جدا . ولا يوجد التعبير باعتناق الاسلام في اي موضع . لا يقال : ان اعتناق الاسلام استعارة ، لانا نقول : ليس كل استعارة مستحسنة ، ولو كان التعبير بالاعتناق مستحسنا لعبر به القرآن او السنة او فصحاء العرب .

وقال الفيروزابادي في القاموس : واسلم : انقاد وصار مسلما اهـ

اقول : اسلم في اللغة اذا كان لازما معناه : انقاد واستسلم . واما في اصطلاح الشريعة فمعناه: انقاد الى ما جاء به رسول الله (ص) وقبلـه كله في الظاهر ، فان كان قبوله له ظاهرا وباطنا فهو مسلم حقا ومؤمن ، وان كان قد قبل ما جاء به النبي (ص) وانقاد له في الظاهر فقط فهو منافق، تجري عليه احكام الاسلام ، وهو في الحقيقة كافر . قال تعالى في سورة الحجرات (14 قالت الاعراب آمنا ، قل لم تومنوا ، ولكن قولوا : اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وان كان هذا الفعل متعديا فمن معانيه : اخلاص التوجه الى الله تعالى .

قال تعالى في سورة النساء (125 ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا) .

ومن معانيه : الالقاء في الهلكة قال صاحب اللسان : قال ابن الاثير : يقال : اسلم فلان فلانا اذا القاه في الهلكة ولم يحمه من عدوه ، وهو عام في كل من اسلم الى شيء ، لكن دخله التخصيص ، وغلب عليه الالقاء في الهلكة .

ومنه الحديث : اني وهبت لخالتي غلاما فقلت لها : لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا ، اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع .اهـ

اقول : والعجب من ابن منظور ، كيف وقع في خطأ عامي ، وهو تعديته (اعطى) الى المفعول الثاني باللام ، وهو متعد بنفسه الى مفعولين يقال : اعطاه الله علما . قال تعالى : (انا اعطيناك الكوثر) ولكن لكل سيف نبوة ، ولكل جواد كبوة ، والكمال لله .

ومن اسلم المتعدي قول النبي (ص) : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) اي لا يخذله بل يحميه ويدافع عنه . والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر .

وهذا التعبير ايضا من استعمار لغة الاجانب واستعبادها للغة العربية فهو في الانكليزية (Embrace) وقال تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ، ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا) ولم يقل : يعتنقون دين الله .

12 — البساطة .

يقال : هذا شيء بسيط ، وتكلم ببساطة ، وهذا لا يعتقده الا البسطاء ، وذلك كله خطا قال صاحب اللسان : ورجل بسيط : منبسط بلسانه ، وقد بسط بساطة . الليث : البسيط المنبسط اللسان ، والمراة بسيط . ورجل بسيط اليدين : منبسط بالمعروف ، وبسيط الوجه متهلل ، وجمعهما :بسط اهـ

اقول : فقد رايت ان البسيط والبساطة لا يدلان على ما يريد الكتاب بهما ، فانهم يريدون بالبسيط من الناس الغر والمغفل ، ويريدون بالبسيط من الامور السهل الهين ، وذلك كله بعيد عن استعمال العرب ، بل هو ضده ، لان البسيط في اللغة العربية ، هو الواسع ، ومن اجل ذلك سميت الارض البسيطة لسعتها .

والبساطة كما تقدم في كلام العرب طلاقة الوجه . واصل هذا الخطأ آت من اصطلاح الاطباء في تسميتهم الدواء الذي هو من مادة واحدة بسيطا ، ويقابله : المركب الذي يتألف من اجزاء ، كل جزء من مادة .

وقد استعمله الفلاسفة ايضا فقسموا الجهل الى قسمين : جهل بسيط ، وجهل مركب ، فالجهل البسيط هو أن يكون الشخص جاهلا ، ويعلم انه

جاهل . والجهل المركب ان يكـون الشخص جاهلا ، ويجهل انه جاهل ، فجهله مركب من جهلين . قـال بعض الشعراء على لسان حمار الطبيب توما :

قـال حمـار الحكيـم تومـا
لو انصفوني مـا كنـت اركـب
لان جهلـي غـدا بسيطـا
وراكبـي جهلـه مركـب

ومما يحكى من اخبار هذا الطبيب انـه قـرا فى كتاب (الحبـة السوداء شفاء من كل داء ، فقـراها خطا (الحيـة السوداء شفاء من كل داء) فاخذ حيـة سوداء وصار يعالج بها المرضى ، فكانـوا يموتـون مـن سمهـا .

وليس بالكاتب حاجة الى ان يترك اللغـة الفصحى ويستعمل اصطلاحا طبيا ليعبر به عمـا يريده الا اذا كان باقليـا من من اهل العي والحصر.

وقد ارتقى الكتاب من ذلك الى خطا آخر ، وهو استعمال التبسيط فيقولون : كتاب مبسـط ، يعنـي انه الف بلغة سهلة غير معقدة . ويقولون : يجـب تبسيط قواعد النحو ، اي تسهيلها وتيسيرها ، فانتقلوا من خطا الى خطأ لان التبسيط هو التوسيع ، فهو بمعنى البسط ، الا ان التبسيط فيه مبالغة كالتقتيل بمعنـى القتل ، اي كثرته . وفعل المضاعف اذا اشترك مـع الثلاثي فى معنـى واحد دل الرباعي على الكثـرة والمبالغة فى اللغة العربية ، وفى أختيهـا العبرانيـة والآرامية .

13 — نكـران الـذات

ومن الاخطاء التي جاءت مع الاستعمار تعبيرهم بـ (نكـران الذات) عن الايثار ، وهذه العبـارة ترجمة فاسدة للفـظ الانكليـزي (Self-denial) والتعبير العربي الصحيح عن هذا المعنى هو الايثـار قال تعالى فى سورة الحشر (9 ويؤثرون على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة) وضد الايثار هو : الاستئثار ، ويسميه جهال الكتاب «انانية» نسبة فاسدة الى لفظ (انا) وهو ايضامن الترجمة الفاسدة للفظ الانكليـزي (Selfishness) وقد يعبرون عن هذا المعنى ايضـا بحب الذات ، وهو تعبير فاسـد ، لان كل انسـان يحب نفسه وليس ذلك بعيب ، وانمـا يعاب عليه ان يبالغ فى حب نفسه الى حد الاستئثار بالطيبات ، وغمط حقوق الناس ، وكذلك لا ينبغي للانسان ان ينكر نفسه ولا يستطيع ذلـك لو حاولـه .

وكيف ينكر نفسـه ، وهو يعلم العلم الضروري انه موجود ؟ واذا انكـر الانسان نفسـه ، فبمـن يعترف ؟ وهذا كله ناشىء عن الجهل باللغة العربية ، وعدم تعلمها من مصادرها الصحيحة .

14 — التصدير والتوريـد

ومن الاخطاء الشائعة الذائعة استعمالهم لفظ التصدير فيما تخرجـه البـلاد من البضائع ليباع فى خارجها فيقولون مثلا : المغرب يصدر الفوسفـاط والحوامض والسردين ، فدعنا نبحث فى صحة هـذا التعبير قال فى اللسان : وصدر كتابـه جعل لـه صدرا ، وصدره فى المجلس فتصـدر اهـ والصـواب فى هذا ان يعبـر بالاصدار .

ثم قال صاحب اللسان : وقـد اصدر غيـره وصدره ، والاول اعلى . وفى التنزيل العزيز : **« حتـى يصدر الرعـاء »** .

قال ابن سيدة : فاما ان يكـون هذا على نيـة التعدي ، كأنه قال : حتى يصدر الرعاء ابلهم ، ثـم حذف المفعول . واما ان يكون يصدرها هنا غير متعـد لفظا ولا معنـى ، لانهم قالوا : صدرت عن الماء فلـم يعـدوه .اهـ

وقال البيضاوي فى قوله تعالى فى سـورة القصص (23 قالتا لا نسقي حتـى يصدر الرعـاء) تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمـة الرجال ، وحذف المفعول ، لان الغرض هـو بيـان ما يدل على عفتهما ، ويدعوه الى السقي لهما ثمـة دونـه .

وقـرا ابو عمـرو ابن عامـر (يصـدر) اي يتصـرف .اهـ

اقول : قول البيضـاوي : تصرف الرعاة مواشيهم يرجح الوجه الاول من الوجهين اللذين نقلهما صاحب اللسان عن ابن سيدة ، وهو ان يصدر فعل متعـد حذف مفعوله ، لان البلاغة تقتضي حذفه كما اشـار اليه البيضاوي ، لان الغـرض لا يتعلق به ، وانمـا المراد الدلالة على عفاف ابنتي شعيب وكراهيتهمـا للاختـلاط بالرعـاة .

وعلى قراءة يصدر الرعاء بفتح الياء لا يختلـف المعنى ، لان الرعاء لابد ان تكون معهم مواش ، والا لم يكونوا رعاة . فالمواشي مفهومـة من المقام ، اذا قلنـا : ان الفعل الثلاثي لازم ، وهو الذي رجحه ابن سيـدة .

ويؤيده قوله تعالى فى سورة الزلزلة (يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم) قال البيضاوي فى تفسيره : (يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف .اهـ

حاصله : ان الصدر بفتحتين هو الرجوع من الماء بعد وروده لشرب او سقي ماشية او غير ذلك . ثم استعمل فى كل خارج من شيء الى شيء آخر . وفعله ثلاثي من باب نصر ، وهو فعل لازم على الاصح ، فاذا دخلت عليه الهمزة صار متعديا يقال : اورد الماشية ، ثم اصدرها ، اي صرفها عن الماء ثم استعمل الاصدار فى كل اخراج . فالصواب ان يقال مثلا : ان المملكة المغربية تصدر الفوسفاط والحوامض والسردين بضم التاء واسكان الصاد .

واما التوريد : فقال فى اللسان ، قال ابو حنيفة : الورد نور كل شجرة وزهر كل نبتة ، واحدته وردة . قال : والورد ببلاد العرب كثير ريفية وبرية وجبلية .

وورد الشجر : نور ، ووردت الشجرة اذا خرج نورها . ثم قال : وورد الثوب : جعله وردا . ويقال وردت المراة خدها اذا عالجته بصبغ القطنة المصبوغة

ثم قال : تقول : وردت الابل والطير هذا الماء وردا . ثم قال : ابن سيدة : وورد الماء وغيره وردا ورودا . وورد عليه : اشرف عليه ، دخله او لم يدخله . قال زهير :

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصي الحاضر المتخيم

معناه : لما بلغن الماء اقمن عليه . ثم قال : وكل من اتى مكانا منهلا او غيره ، فقد ورده .

ثم قال الجوهري : ورد فلان ورودا حضر ، واورده غيره واستورده اي احضره . ثم قال : وفى حديث ابي بكر : اخذ بلسانه وقال : هذا الذي اوردني الموارد . أراد الموارد المهلكة .اهـ

قال البيضاوي فى تفسير قوله تعالى فى سورة القصص (23 ولما ورد ماء مدين) وصل اليه ، وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (امة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم .

وقال تعالى فى سورة هود (97—98 وما امر فرعون برشيد . يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار، وبئس الورد المورود) .

قال البيضاوي : (وما امر فرعون برشيد) اي مرشد ، او ذي رشد ، وانما هو غي محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما يقدمهم فى الدنيا الى الضلال . يقال : قدم بمعنى تقدم (فاوردهم النار) ذكره بلفظ الماضي مبالغة فى تحقيقه، ونزل النار لهم منزلة الماء ، فسمى اتيانها موردا .

ثم قال (وبئس الورد المورود) اي بئس المورد الذي وردوه ، فانه يراد لتبريد الاكباد ، وتسكين العطش ، والنار بالضد . والاية كالدليل على قوله : « وما امر فرعون برشيد» ، فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد ، او تفسير له ، على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها .اهـ

حاصله : ان التوريد معناه : ان تخرج الشجرة وردها ، وان تصبغ المراة خدها بلون الورد . فالصواب ان يقال فى جلب البضائع من خارج البلاد : الايراد والاستيراد . وفى اخراج البضائع منها : الاصدار

15 — التعبير بالعمل الجنسي عن المباشرة

من العبارات الاجنبية التي تزري بمن يعبر بها ، وتدل على انه مزجى البضاعة فى لغة الضاد ترك عبارات القرآن ، وهي اجمل وابلغ ، واوجز لفظا ، واوضح معنى ، وابعد عن التصريح بما لا يستحسن التصريح به ، والتعبير بعبارة اجنبية ثقيلة ، مبهمة ، طويلة اللفظ اعجمية ، لا جرم انه لا يعبر بها الا من لا يعرف القرآن وبلاغته ، واسرار اعجازه ومن لا يعرف القرآن لا يمكن ان يعرف اللغة العربية معرفة تمكنه من ناصيتها ، سواء اكان مسلما أم غير مسلم ، فان الادباء من نصارى العرب يحرصون كل الحرص على قراءة القرآن لا ليدينوا بالاسلام ، بل ليتمكنوا من الفصاحة اذا تكلموا او كتبوا باللغة العربية ، ومن الفهم الصحيح اذا قراوا ما كتب بها ، وبعضهم لم يكتف بقراءة القرآن ، بل حفظه عن ظهر قلب ، كالشيخ ناصيف اليازجي والشيخ ابراهيم اليازجي ، فلذلك جاءت تاليفهما فى الاداب العربي لابسة حلة من البهاء والبلاغة تسحر الالباب ، نظيفة من الدخيل والمولد ، والتراكيب الاعجمية الثقيلة الباردة .

وقد كان الشيخ ابراهيم اليازجي حريصا على التعبير بعبارة القرآن كل الحرص ، ولما دعاه النصارى ليرشدهم فى ترجمة الاناجيل كان يختار لهم العبارات البليغة فيرفضونها تعصبا ، زاعمين انها تشبه عبارات القرآن . أنظر كتابه كشف المخبا فى الرحلة الى اوربا . ومجلة الضياء ثمانية مجلدات ، ومجلة البيان مجلد

واحد ، ولغة الجرائد جزء ، والواسطة في اخبار بالطة جزء .

وقد عبر القرآن عن هذا المعنى بعبارات من ابلغ الكنايات واجملها وادلها على المعنى ولم يصرح قط باللفظ المخصص لهذا الحدث . قال تعالى في سورة البقرة (187 فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم) .

وقال تعالى في سورة البقرة ايضا (237 وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ، وقد فرضتم لهن فريضة ، فنصف ما فرضتم ، الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وان تعفوا اقرب للتقوى) .

وقال تعالى في سورة النساء (43 أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) .

فهذه ثلاثة الفاظ المباشرة ، والمسيس ، والملامسة كلها كنايات . وفي اللغة العربية كنايات اخرى لاداء هذا المعنى لا تعد ولا تحصى فما حاجتنا الى جلب تلك العبارة الاجنبية الركيكة الغامضة التي تمسخ الانشاء العربي وتخدش وجهه ، وتسجل العجز على لغة الضاد ، وتصمها بما هي منه براء .

على ان لفظ الجماع الذي يعبر به الفقهاء في كتب الفقه وفي الوثائق هو ايضا كناية .

قال في القاموس : وجماع الشيء جمعه ، يقال: جماع الخباء الاخبية ، اي جمعها لان الجماع ما جمع عددا . ثم قال : والمجامعة المباضعة ، وجامعه على امر كذا اجتمع معه .اهـ

على ان التشدد في امر الالفاظ ينافي طباع العرب ويسيء الى ادب اللغة العربية بل والى اللغة نفسها ، فان العرب تتساهل في التعبير والتلفظ ، وانما تتورع في الاقوال والافعال التي تعد محرمة شرعا ، ولا ترى العرب ان تتادب بأدب الكنيسة النصرانية واتباعها الذين يقول لسان حالهم ومقالهم : افعل كل شيء ، ولا تقل شيئا والعكس عند العرب هو الصواب .

فالحريري في مقاماته كان عفيف النفس ، ولكنه لم يتحرج من التعبير عن المعاني والاشياء الواقعة التي لا ينفك الناس عنها . ومن يريد ان يقلد الكنيسة واتباعها ويستهجن مخالفتها يلزمه ان يحذف اربعة اخماس المقامات الحريرية ، ويحذف قسما كبيرا من الادب العربي شعره ونثره ، وذلك هو الخسران المبين .

وقد كان ابن عباس سائرا محرما في طريقه الى الحج ، فأخذ ينشد بيتا وهو :

وهن يمشين بنا هميسا
ان تصدق الطير ننك لميسا

فقال له رجل : كيف تقول هذا ، وانت محرم بالحج ، وقد قال الله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فقال له ابن عباس : انما الرفث ما كان بحضرة النساء .

اكتفي بهذا القدر وموعدنا المقال التالي بحول الله وقوته .

مكناس : **الدكتور تقي الدين الهلالي**



تعديل تقويم اللسانين

بقلم الاستاذ :

صاحب الامضاء

توصلنا بنقد مقالة كنا قد نشرناها فى العدد الثالث من دعوة الحق للاستاذ العالم الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي عنوانها : « تقويم اللسانين » من استاذ عراقي كبير

ومعلوم ان الدكتور الهلالي قد اعرب فى هذه السلسلة التي بدا يكتبها للمجلة عن الهفوات اللغوية التي تؤذي عيون ناس من قرائها ، وتؤلم افئدتهم ، كما تخدش وجه الادب ، وتمس جمال لغة الضاد .

واداء لواجب هذه اللغة الحية العالمية ، وصونا لجمالها وبهائها وروائها من التشويه ، فقد تصدى الدكتور الهلالي لتقويم الاخطاء اللغوية التي يقع فيها كثير من الكتاب ...

والاستاذ صاحب التوقيع وان اخفى اسمه عن القراء فاسلوبه ينم على انه من « الصفوة » ذات السمعة الواسعة فى دنيا العلم والتحقيق والتمحيص

ونحن اذ ننشر هذا النقد النزيه « الجيد » ، نرحب بالاستاذ صاحب التوقيع راجين من فضيلته ان يواصل المجلة بمقالاته وابحاثه التي لا شك ان قراءنا سيرتاحون اليها ، ويستفيدون منها .

« التحرير »

قرات فى الجزء الثالث من (دعوة الحق) ص 26 مقالة للاستاذ العالم الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي عنواها « تقويم اللسانين » وقد اعرب فيه من غيرته على اللغة العربية وحرصه على صيانة كرامتها ما استحق به الشكر الاوفر من العرب المخلصين للغتهم ، ومع فضله الظاهر الفيت تقويمه محتاجا الى تقويم وتعديل، وذلك يدل على ان هذا الموضوع عسير جدا ، فيه مزالق ، وواسع يشتمل على مناديح ، وميادين ، وكان حريا ان ينزه كتابته عن امثال ما نعاه على غيره وادعى فيه التزمت والتثبت فهو نفسه قد قال فى مقالته « ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز » ثم قال « وانما سميت زائدة لان الكلام يتم بدونها » ، فانا اقول له : من استعمل كلمة « دون » من فصحاء الامة العربية هذا الاستعمال ؟ ولهذا المعنى ؟ ان معنى « بدونها » هو « باقل منها » وهو فقيه ولعله درس فى الفقه « زواج المراة بدون مهرها » اي باقل من مهرها ، مع ان مراده بقوله هو المراد بكلمة « غير » فالصواب « بغير تبصر ولا تمييز » و « لان الكلام يتم بغيرها » ويبقى التعبير ضعيفا ايضا لان مراده « يتم بحذفها » . قلت ذلك لان الغيرية تحتل شيئا آخر .

وقال : « وبهذا تعلم ان الكاف الاستعارية لا يجوز ان تكون للتشبيه البتة لعدم وجود اركانه » . والوجود لا يعدم وانما الذي يعدم هو « الموجود » وهو هنا الاركان ، فالصواب « لعدم اركانه » وما اشبه ذلك ، بله ان الفصحاء لم يستعملوا كلمة «عدم» هذا الاستعمال، لان «العدم» يؤذن بوجود سابق له ، مع ان مراد الكاتب الجليل نفي وجود الاركان ، فقولنا « لعدم الاركان » هو فى ادنى مراتب الصحة ، لانه من تعابير المتكلمين

والمولدين ، فالفصيح ان يقال «لا يجوز ان تكون للتشبيه فلا وجود لاركانه » ، او « لا يجوز ان تكون للتشبيه وليس له اركان » .

وقال المقوم الفاضل « ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئا لا انفسا ولا اموالا » . وقد خالف الفصاحة العربية باستعماله جمع القلة المنكر « انفسا » مع ان مقتضى الحال يوجب استعمال « النفوس » اعني جمع الكثرة ، فذوو الظلم كثيرون او كثير على الافصح ، وانما قلت « المنكر » لان المعرف بال او الاضافة من هذا الجمع يجوز ان يستعمل للكثرة . وكاني بالدكتور الكريم وقد قرا هذا الاعتراض يلجأ الى « ثلاثة قروء » وكلام العلماء المكرر فيه ، فنحتج عليه بان هذا استعمال جمع الكثرة للقلة بسبب ان الكثرة شاملة للقلة مع ان في قوله العكس ، فليست القلة شاملة الكثرة ، اعني انه لو استعمل النفوس واراد الانفس مع تنكيره لهما لجاز قوله .

وقال : « وهي في هذا الزمان القنابل المحرقة » فما معنى القنابل في اللغة العربية ؟ القنبل كجعفر والقنبلة كالجمهرة ، من حيث الحركات لا الوزن هما بمعنى الطائفة من الناس او الخيل كما جاء في معجمات العربية ، اعني معجمات اللغة العربية ، فكيف استجاز الدكتور الجليل لنفسه استعمالها لأدوات الحديد المحشوة بالبارود وما جرى مجراها من الملتهبات ؟ انه قد جارى جهلة المترجمين بعد ان تسرب عليهم وعرب عليهم ترجمتهم ، فهم الذين ترجموا كلمة Bombe (بضم القاف والباء) كما يرى الرائي في معجم الراهب ج ب بلو Belot والذي ذكره المؤرخون المسلمون والمتاخرون عصرا هو « القنبر » بالراء المهملة ، قال بعضهم « ابتدا الملك بضرب المدافع والقنبر » ، وقال آخر في حوادث سنة 1154 هـ « وجملة ما ضربه من القنبر خمسون الف قنبرة ، ومن المدافع مائة الف مدفع فكانت المدافع والقنابر تتناثر على الموحدين » يعني المسلمين ، وقال في مواضع اخرى ما يؤيد ان القنبرة والقنبر والقنابر هي الصواب لا « قنابل » الكاتب الكريم فانها التصحيف وان اشاعت .

وقال : « وعمت الفوضى في الانشاء العربي » فما هذه الفوضى ؟ ومن استعملها هذا الاستعمال من فصحاء الامة العربية ؟ انها من استعمال جهلة المترجمين الذين عاب عليهم الدكتور استعمالهم كلما عربية في غير مواضعها ، انها ترجمة كلمة Anarchie قال الاب بلو في ترجمتها : عدم الحكم في الشعب ، أمر فوضى» فالرجل على كونه غير عربي استعمل « الفوضى » صفة لا اسما كما استعملها الدكتور الجليل ، فالفوضى صفة مثل الشتى فالصواب « وعمت الحال الفوضى ... » وكاني بالدكتور الكريم يقول : قد حذفنا الموصوف واتخذنا الصفة اسما ، فنقول له : ليست هذه بقاعدة مطردة ، وانت تدعو الى اتباع كلام الفصحاء واقوالهم ، وهذا ليس بذاك ولا هناك . ثم ليس هذا موضع التدقيق والتحقيق فنقول : ان الفوضى اصلها «الفضى» كشتى جمع شتيت وهي مشتقة من الفعل « فضه يفضه فضا » اي فرقه تفريقا ، ثم ابدلت احدى الضادين واوا ، والتفرقة هي المعنى المراد بالفوضى ، فالفوضى جمع كالشتى تستعمل للجمع او لما يمكن ان يتجزا وان كان مفردا ، فكيف يجوز استعمالها اسما جامدا مع لزوم الوصفية الجمعية لها ؟

وقال : « وربما استعمله بعض كبار الاساتذة الذين يرجى منهم المحافظة على صحة الاستعمال » اراد بالبعض هنا غير واحد منهم ، مع ان «بعضا» لم تكرر في الجملة حتى تدل على غير الواحد ، فالمكررة كالقول الذي قاله الدكتور الفاضل في نقده هذا « تحدث بعضهم الى بعض » وكما في الاية الكريمة التي اتخذها شاهدا وهي « فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون » ، فاذا لم تكرر وكان المضاف اليه الذي اضيفت اليه ذا اجزاء منفصلة او ممكن فصلها دلت على واحد او واحدة ، وشاهدنا كتاب الله العزيز ، ففيه « يلتقطه بعض السيارة » و « قالوا لولا انزل على بعض الاعجمين فقراه» و « اذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به» ويليه في الشهادة شعر العرب ومنه البيت الذي اورده الدكتور نفسه في مقالته هذه وهو قول زهير :

ولانت تفري ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال ابو دلامة :

اقاد الى السجون بغير ذنب
كاني بعض عمال الخراج

وقال بشار :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقال لبيد : « او يرتبط بعض النفوس حمامها » . ولا يستعمل « بعضا » للجمع الا غير الفصحاء اذا كانت مفردة .

وقال : « فان من كان عالما بالنحو في اي لغة كانت يتخذه مصباحا » وهذا التعبير كان اولى من غيره

بتقويم اللسانين ، فان مراده « من كان عالما بنحو لغة من اللغات يتخذه مصباحا » فاستعمل « ايا » هذا الاستعمال الغريب ، وظن ان الضمير فى « كان » يعود الى اللغة فالحق به تاء التانيث مع ان الفعل ينبغي ان يكون للعلم المفهوم من اسم الفاعل ، وبيان ذلك « من كان عالما » بنحو لغة كائنا ما كان هذا العلم بالنحو » فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال « من كان عالما بلغة اي لغة كانت » فالفعل الذي ياتي بعد اي يعود ضميره الى الاسم الذي قبلها ، وهذه ادنى مراتب الصحة او دنياهـا .

وقال : « ينتفع اهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك » فكيف نصل « الى غير ذلك » بالجملة وهي لا تحتاج الى « الى » التي هي منتهى لابتداء الغاية ، فلو قال : « من ضوئها ودفئها الى غير ذلك » لصح التعبير ، فالصواب العطف « وغير ذلك » فتكون الجملة « بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك » .

وقال : « ورنقت صفو زلاله المعين مما يسوء كل طالب علم » فمن هنا للبيان والتفسير فكيف يكون الزلال المعين مما يسوء كل طالب علم ؟ واذا عددناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء كل طالب علم وهو غير مراد الكاتب الفاضل ، فالصواب « وذلك مما يسوء كل طالب علم » على الابتداء والاخبار .

وقال فى الكاف التي سماها استعمارية « وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العرب » . اراد « لم تعرفه العرب » والا فان العرب عارفة به ، فالمراد نفي الماضي لا المستقبل ، جاء فى الصحاح : « لا حرف نفي لقولك يفعل ولم يقع الفعل ، اذا قال هو يفعل غدا . قلت : لا يفعل غدا » ولا تنفي الماضي الا اذا كررت او عوض عن تكرارها وليس هذا موضع الجدال لان الفعل فى الجملة المنقودة مضارع جعلته « لا » للاستقبال ، مع ان المراد نفي معرفة العرب قديما .

وقال : « بين غث وسمين وكدر ومعين » ظانا ان المعين هو الصافي والرائق مع انه الجاري وقد يكون الجاري رائقا او كدرا بحسب ارضه وجريته ومنبعه وعينه وما يحدث فيه .

وقال : « وستأتي فى هذه المقالات ان شاء الله امثلة عديدة توضح ذلك » اراد بعديدة « كثيرة » مع ان العديدة هي المعدودة قليلة كانت او كثيرة ، واستعمل « امثلة » جمع القلة مع ارادته الكثرة ، فالصواب «مثل كثيرة » فالمثل جمع المثال للكثرة كنظم جمع نظام وحزم جمع حزام ولحف جمع لحاف .

نعود الى الكاف الاستعارية التي جرب الدكتور الجليل استعمالها فى قول القائل « فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة » لانه استعمال دخيل ، مع انه ذكر من معاني الكاف « التعليل » فاذا قلنا : « فلان لانه وزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة » كان المراد مضمونا والمعنى واضحا ، ثم انه لما عاب على القائل قوله لم يذكر له القول الصحيح ، فلنحسب ان القول المذكور دخيل فما وجه الصواب ؟ فالبراعة ليست فى التخطئة وحدها بل فيها وفى ذكر الوجه الصحيح ، فعليه حفظه الله ان يذكر للناس وجه الصحة .

ونعود ايضا الى جذبه قول القائل : **((يجب علينا ان نسعى لخلق نهضة ثقافية))** واحتجاجه بان الايجاد والانشاء خاص بالله تعالى وكذلك الخالق ، وهذا احتجاج غريب ، فالله تعالى المحيي وعلى قوله لا يجوز ان نقول « احياء مآثر العرب وتراثهم » والله الحميد ، وعلى قوله لا يجوز ان يقال « حمدت فلانا حمدا » والله تعالى « البديع » بديع السموات والارض ، فينبغي ان نلعن البديع الهمداني والبديع الزنجاني وابن البديع ، لانهم تلقبوا بهذا اللقب ، وهلم جرا على اكثر الصفات المشتركة ، ثم ان القائل لم يسند خلق حي من الاحياء الى الفاعل (1) حتى يكون مخطئا ؟ واذا كان مقدر جلد النعل خالقا كما ذكر الدكتور الكريم فما المانع من استعمال الفعل « خلق » لغير ايجاد الحي ؟ اما استشهاده بان «الخالق والخلاق » بالالف واللام خاصان بالله تعالى نقلا من قول الازهري فلا جدال فيه لان الجملة المنقودة خالية منها ، وهذه كلمة « رب » فقد قالو : « فلان رب فضل وادب » فاذا قيل « الرب » اريد به الله جل جلاله ، ولنا مع الدكتور الكريم موعد آخر ان شاء الله . والسلام عليه .

العراق : قاريء

1) ورد فى (دعوة الحق) نفسها ـ ص 12 ـ قول الاستاذ عبد الهادي التازي « لضمان جيل مسلم متنور اي يصمم لخلقه تماما » فهذا القول معيب



نشر زميلي الشاعر عبد الكريم التواني قصيدة في العدد الماضي من هذه المجلة التي اخذت على نفسها ان تفتح صدرها لكل المواهب والطاقات التي تتلمس طريقها الى الانطلاق ، ورغم ان الشاعر صديق لي ، فان هذه الصداقة لم تدفعني الى التغاضي عما يشين هذه القصيدة من هفوات كان يجب ان يفتح عينه عليها وهو يتناول في شعره ذكرى وطنية غالية ، بل ان صداقتي له هي التي اغرتني بقراءتها وجعلتني اقف امامها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه . وكل جزاء ارجوه على هذه الوقفة التي لا اطيلها ان يتسع صدر صديقنا لهذه النقدات العابرة فذاك اثمن ما اعوض بـه لحظات من اوقاتي انفقتها غيرة عليه وعلى الكلمة التي نتشرف جميعا بالانتماء اليها .

واول ما يلفت النظر طول هذه القصيدة التي جاوزت ابياتها **معلقة لبيد** وامتد فيها نفس الشاعر وطال ، وطول النفس الشعري فضيلة تنم عن طبع كريم وشاعرية سخية متدفقة وعواطف جياشة مشبوبة قل من تمتع بها من شعراء العربية وفرسانها وقل من استطاع فيها ان يجمع بين الاطالة والاجادة ، فقد كانت القافية وما تزال السد الذي يقف امام الشاعر للانطلاقات البعيدة المدى اذ لا يجد بين يديه من مختاراتها الا عددا قليلا متى جاوزه وجد نفسه على حالتين : اما ان يكرر نفسه ويعيد قوافيه واما ان يبلغ منه الاجهاد فيسف ويهوى الى الحضيض ... وهذا ما انتهى اليه زميلنا عندما صمم على ان تكون قصيدته اطول من المعلقات ولو هذبها كما هذب عبيد الشعر في الجاهلية اشعارهم وكما نقح ابو نواس روائعه وخمرياته لسلم من الضعف وتكرير القوافي فالشعر كما قال البحتري :

.. لمح تكفي اشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

ومع هذه الاطالة التي كان الايجاز ابلغ منها يتعثر القارىء في قراءته لبعض ابياتها بانكسارات في الوزن الذي التزمه وفي اللغة التي استعملها كأداة للتعبير

والى الاخ بعضا من هذه النماذج في اختصار **اضعها** امامه متتابعة :

(1

اسيل اكرم والد حقلت به
مهج الورى لك **اخلصت** احنائيا

استعمل الشاعر الاحناء وهي الاضلاع عندما اراد التعبير عن حبه واخلاصه وهو استعمال لم يعرف في حديث المحبين الا كناية عن نار الشوق التي تتاجج بين اضلاعهم ولا ينطفىء أوارها فلم يعرف في كلامهم: اخلصت لك اضلاعي فالقلب كان ولا يزال منبع الحب والاخلاص اما الاضلاع فحسبها أن تنعم بما فيه من لذة الوصل او تصلى نارا لما به من لواعج الشوق وهو ما وصفه ابو فراس اذ قال :

تكاد تضيء النار بين جوانحي
اذا هي اذكتها الصبابة والفكر

(2

وهبوا اليك مؤيدين ولاءهم
ومبايعينك باذلين تراقيا

* * *

اما عن هذا البيت فللشاعر ان يتأمل هذه النون في (مبايعينك) وهل لوجددها مسوغ عربية والجمع مضاف ؟

* * *

(3

وهم البناة لمجده فاخبرهم
تجد الاساود مهطعين ضواريا

والاساود في البيت استعملها جمعا للاسد الذي يجمع على آساد واسد اما الاساود فهي جمع الاسود وهو الثعبان الخطير وهو مالم يرده لبناة المجد الذين يشبهون الآساد الضارية . وما اسخف ان نصف الاسد بالذل والاهطاع ! وما اسخف ان يكون بناة المجد اذلاء مهطعين !

* * *

(4

وكذاك شعبك ان شعبك جنة
ورقى لعرشك لم يزل لك هاويا

ومن المؤسف ان تهوي هذه القافية (هاويا) بشاعرنا فلم يفرق بين هوى يهوى هويا فهو هاو ، واحد هاوية ، وبين هوي يهوى فهو هو فكانت هفوته في هذا المكان شبيهة بشاعر هشام الذي قال فيه :

صفراء قد كادت ولم تفعل
كأنها في الافق عين الاحول

* * *

(5

ولكان ربك أيدا وقضاؤه
ازرا وروحك للعزائم هاديا

ونحن نرجو ان يكون الله ازرا ومعينا ومؤيدا لمليكنا في كل ما يهدف اليه من خير وارجو كذلك من زميلنا ان يرجع دائما الى اللغة ويحترم مدلولاتها ، واذكره بان الأيد هو القوي الشديد وليس هو المؤيد المعين الذي اراد من الشاعر ان يؤديه .

(6

تعلي مآثر ما الاوائل اسسوا
وتضيف تالدهم طريفا باقيا

وفي هذا البيت الذي ليس له صدر ولا عجز سليم يتحدث عن المآثر التي اسسها الاوائل وعما اضاف الممدوح العظيم من طريفه الباقي الى تليدهم الخالد . ولكنه يتعثر في ركاكة ظاهرة في صدر البيت (ما الاوائل اسسوا) ويخالف العربية بحذف الجار في العجز (وتضيف تالدهم طريفا باقيا) وهو يريد تضيف الى تالدهم طريفا فسوغ لنفسه حذف ما لا يحذف الا سماعا .

* * *

(7

وتطلعت لروائها احناؤه
فتراقصت جذلا ودوت عاليا

ومرة اخرى يتحدث عن الاحناء اي الاضلاع فيجعلها متطلعة مشرئبة ومتراقصة مدوية ، ومنظر الاضلاع مخلوعة متراقصة او صائحة مدوية صورة تنفر المشاعر منها حين تبدو وتشمئز النفوس وليت الابصار كانت هنا مكان الاضلاع فان الجمال الشعري في انسجام الكلمات وترابط الالفاظ بالمعاني وليس في اختيار الكلمات ذات الجرس والايقاع

* * *

(8

امنوا بعهدك ان يدوم رخاؤهم
وراوا لعهدك امنهم متتاليا

واذكر زميلنا الشاعر هنا بما يعرفه في دروس النحو من حذف الجار بكثرة قبل ان الذي مثل له صاحب الخلاصة بقوله : نحو (عجبت أن يدوا) . اي من ان يدوا وفي القرآن (وترغبون أن تنكحوهن) وجريا مع ما تقرر نلحظ حذفا للجار في قوله : امنوا بعهدك ان يدوم رخاؤهم . اي انهم : امنوا من ان يدوم رخاؤهم وهو كلام فاسد المعنى اذ يستحيل الى انعدام دوام رخائهم وهو كلام لا يقال الا في الهجو لا في المدح .

* * *

(9

واقمت اوربكا ففاض نمائما
وسقى الظماء ربى وشابا شافيا

ووجــدت عيــدك فرحــة ونعالمــا
اللــه اسبغهــا البــلاد تهانيــا

وهنا يرتكب زميلنا خطأ لغويا آخر فيجمع النعمة على نعائم وهي لا تجمع الا على نعم وانعم ونعمات اما النعائم فهي منزل للقمر من ثمانية انجـم على صورة النعامة ولعلها علقت بذهنه ايام دراسته للمقنع فاختلط عليه الحال ، ولكن لايجوز ان يختلـط عليه في قولـه (الله اسبغها البلاد) وهو يريد اسبغها على البلاد كمـا ورد به القرآن : (واسـبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنـة) ولكن مذهب الاخ كما اتضح ان يتصرف كما شاء وان يستجيب للوزن والايقـاع ولو ادى ذلـك الى احداث تراكيب في العربية غير معروفة .

* * *

(10

فرحــا بعيــدك ان تــدوم عهــوده
وبعيــد عــرشك ان يدوم ورائيــا

جملة أن كما يعلم الزميل مؤولة بمصدر فلها محل من الاعراب فكيف ساغ له ان يعمل فيها فرحا اللازمة ويسلطها عليها ؟ وما رايه لو صاغ البيت هكذا :

ارجــو لعيــدك أن تـدوم عهــوده
ولعيــد عــرشك ان يـدوم ورائيــا

* * *

(11

واقمت في كـل الشـطــوط مواخــرا
ومــن الاجــاج عصرت عذبا صافيــا

اما عن المواخر يا اخي الشاعر في كل الشطوط فاتمنى ان تصبح للمغرب الامكانيات الكافية لتصبـح لـه مواخر ليست في الشطوط فحسب ولكـن عبـر القارات والمحيطات . واما عن تحليــة مياه البحــر وتحويلها الى مياه صالحة للشرب فذاك ما لا اعـرف عنه شيئا وما اظن ان المغرب بحاجة الى ذلك وهو مازال لم يفرغ من اقامة السدود للانتفاع بالمياه العذبة .

هذا ابرز ما ظهر لي وانا اقرا قصيدة زميلنـا التواتي اكتفيت به غير مكلف نفسي الذهاب وراء ذلك. راجيا ان يزيدنا عطاء اكثر ويكلف نفسـه اهتماما زائدا بتهذيب انتاجه ورعاية فلذة كبده لتصبح كمـا قــال عنها فرائد تحتذى وقوافيا وما ذلك عليه بعزيز .

تطــوان : محمد الحلــوي

الامــــة

تطلق كلمة « **امــة** » ويراد بها معنى من المعاني الآتية :

الجماعـــة : قال تعالى : « وجد عليه امة من الناس يسقون» آية 23 / القصص

الـديـــن : قال تعالى : « انا وجدناآباءنا على امــة » آية 23 / الزخرف

الزمــــان : قال تعالى: « وادكر بعد امــة » آيــة 45 / يوسف

الرجل القدوة : قــال تعالــى : « انابراهيم كان امــة قانتـا لله حنيفـا » آيــة 120 / النحــل .

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ، عبد الله كنون

- 16 -

حــرف الفــاء :

429 في ص 377 ، ع ل ذكر تحت عنوان الفاتحون العرب : الاحنف بن قيس فجرد اسمه من ال على عادته، وذكر اسم حبيب بن مسلمة فضبطه بضم الميم وبذلك يتوهم انه اسم امه وهو بفتح الميم واللام اسم ابيه ، وذكر سعد بن ابي وقاص فجعله ابن وقاص بحذف ابي بين ابن ووقاص والصواب اثباتها ، وذكر السمح بن مالك فجرده من ال ايضا وهو معروف بها ، وذكر عبد الله بن سعد ومن تمام تعريفه ان يزيد ابن ابى سرح ، وذكر عبد الرحمان الاول الاموي المعروف بالداخل على انه فتح اسبانيا وليس بصحيح فان فتح اسبانيا كان على يد طارق بن زياد كما ذكره هو نفسه ، وذكر عصام الخولاني على انه فاتح جزر البليار وسبق له ان فاتحها هو عبد الله بن موسى (بن نصير) فبأيها ياخذ القارىء ؟ وذكر عمرو بن العاص على انه فاتح طرابلس الغرب والقيروان ونسي اهم فتوحه وهي مصر ، وذكر عياض بن غنم فجعله غياض بالغين وهو بالعين المهملة ويحتمل ان ذلك تصحيف مطبعي ، وذكر قتيبة بن مسلم على انه فاتح بلخ وما وراء النهر وبلخ سبق ان فاتحها هو الاحنف بن قيس ، وذاك هو الصواب ، وذكر موسى بن نصير على انه فاتح اسبانيا وساحل المغرب وافريقيا ، وسبق له ذكر فتح طارق لاسبانيا فكان من حقه ان يحرر الكلام فى هذا المطلب ، وذكر نصر بن سيار على انه فاتح ما وراء النهر ، وهو مطلب بحاجة ايضا الى التحرير ، لانه تقدم له ان قتيبة بن مسلم هو الذي فتحه .

430) فى ص 379 ع ل ذكر كتاب الفاخر للمفضل ابن سلمة وقال : طبع بهمة ستوري بالنون والصواب ستوري بالتاء وهو المستشرق G. A. STORY ويمكن ان يكون التصحيف من خطا الطبع . وقد اعيد طبع هذا الكتاب القيم بعناية وزارة الثقافة والارشاد القومي فى ج٠ ع٠ م

431) وفي نفس العمود تعريف بالفيلسوف ابي نصر الفارابي ، كناه فيه بابي النصر اي انه الصق بكنيته ال التي ينتزعها من اسماء غيره ، وقال انه ذهب الى التوفيق بين فلسفة ارسطو وافلاطون فنشأت عنه الفلسفة الاسلامية الافلاطونية الجديدة ، وفي هذا الكلام من الخلط ما لا يخفى ، فما شأن الافلاطونية الجديدة بعمل الفارابي ؟ ولو قال انه وفق بين فلسفة ارسطو وافلاطون وبين التعاليم الاسلامية لكان اقرب الى الصواب ، وقد ذكر من كتبه ما سماه فصوص الحكم وهو الفصوص فقط بدون اضافة ولعله اشتبه عليه بكتاب لابن عربي الحاتمي يحمل هذا الاسم .

432) وفيه ايضا ترجمة لاحمد بن فارس اللغوي ذكر من كتبه المعروفة كتاب الصاحبي فى فقه اللغة فسماه كتاب الصاحب وهو بياء النسب لانه الفه للصاحب ابن عباد .

433) ص 380 ، ع ل كلمة لا باس بها عن مدينة فاس ، ولكن جاء فيها : من بناياتها الاثرية الشهيرة مدارس (بوعنينا) والعطارين (والقرويين) اما بوعنينا فصوابها البوعنانية نسبة الى ابي عنان وهي كنية الملك المريني الشهير الذي بنى المدرسة . واما القرويين فليست مدرسة ولكنها المسجد الجامع الذي يكون جامعة القرويين الشهيرة .

434) في نفس الصفحة ، ع ني ذكر سورة فاطر من سور القرءان الكريم وسماها الفاطر بال على عادته في تعرية المعرف بال منها وتحلية المجرد منها بها .

435) في ص 382 ، ع ني تحت عنوان فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ، ذكر مقدمة هذا الشرح فسماها هوى الساري بالواو ؛ وهي هدي الساري بالدال ولعله تصحيف

436) في ص 383 ، ع ل ذكر حرب الفجار من ايام الجاهلية المعروفة فضبطها بتشديد الجيم ، وهي بكسر الفاء والتخفيف ، وقال انها كانت بين قريش واحلافهم كنانة وبين الهوازن والصواب هوازن بدون لام ، وهي قبيلة معروفة من قيس عيلان التي اثارت الحرب المذكورة في الاشهر الحرم وهزمت فيها فقالت لقد فجرنا وبذلك سميت الحرب حرب الفجار

437) في نفس العمود ذكر وادي فخ الذي وقعت فيه المعركة الشهيرة بين القائم العلوي الحسين بن علي بن الحسن وبين جيش الخليفة العباسي الهادي ، وقد سماه الفخ بال وسمى المعركة بيوم الفخ ، وهو علم بدون ال .

438) في نفس الصفحة ، ع ني تعريف بمدينة فضالة المغربية سماها فيه فدالة بالدال وذلك من خطا الاعتماد على الترجمة ، وهي تسمى اليوم المحمدية كما هو معلوم .

439) في ص 384 ، ع ل تعريف بالفرائض السراجية تاليف سراج الدين السجاوندي قال فيه احكام الارث على المذاهب الاربعة ، وليس كذلك ، فهي خاصة بالمذهب الحنفي ، وقد سبق له مثل هذا القول في الفرائض الرحبية ورددناه بانها خاصة بالمذهب الشافعي ، ويقول ناظم السراجية التي نحن بصددها في صدر نظمه لها :

وقد رايت الرحبية التي
في كتب الميراث كالفريدة
فانها عميمة المنافع
لكنها فيما نحاه الشافعي
وحبذا لو كان للمعاني
نظيرها في مذهب النعمان
الخ

440) في نفس العمود ذكر كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي فقال فيه كتاب في التصوف ، وليس كذلك بل هو كتاب في الادب خاص بالموضوع الذي يحدده اسمه .

441) في الصفحة نفسها ، ع ني تعريف بابن فرح الاشبيلي صاحب قصيدة (غرامي صحيح) في مصطلح الحديث ضبط فيه اسمه هذا بفتحتين وهو بفتح الفاء وسكون الراء منصوص عليه . وقال عنه : معلم في اموي دمشق ، ويعني انه درس في المسجد الاموي بدمشق ، ولكن عبارته مقصرة جدا في حق المترجم وفيما يعني قوله ، فان كلمة معلم لاتقال في حق العلماء ، وتعبير اموي دمشق ليس مما يؤدي المعنى المراد بوضوح لقراء المنجد من الطلبة الذين الف لهم . وقد تكرر تعبيره هذا في تراجم اخر فلذلك نبهناه عليه .

442) في ص 385 ، ع.ل اثناء ترجمة للسلطان فروح صاحب دلهي قال : اصدر الفرمان (يعني المنشور) الذي عفا الشركة الانكليزية من الضرائب ، وعفا لا تتعدى بنفسها فكان من حقه ان يقول اعفى بهمزة التعدية لان معجما لغويا مثل المنجد يقع في يد الطلبة ويعتمدونه في تعابيره لا يجوز ان يرتكب فيه هذا الخطا

443) في ص 387 ، ع ل ترجمة لابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الاندلس قال فيها : سمع الى ايمة العلماء في القيروان والقاهره الخ والصواب سمع ايمة العلماء من غير ذكر الى ، لان سمع متعد بنفسه ، فالقول في هذا التعبير مثل القول في سابقه

444) في ص 390 ، ع ني ذكر سورة حاميم فصلت فكتبها حاء ميم بهمزة بعد مد الحاء وهي في رسم القرءان (حم) فقط وتكتب في غيره بمد الحاء والميم اعتبارا بالنطق ولكن بدون همزة فزيادتها هنا خطا وتطاول

445) في نفس العمود ذكر اسم كتاب ابن حزم الفصل في الملل والاهواء والنحل فضبطه بفتح الفاء وسكون الصاد وهو بكسر اوله وفتح ثانيه في المشهور والجاري على الالسنة وان اختلف في توجيهه .

446) وفي نفس الصفحة ، ع ني ترجمة لفضل الله الحروفي قال فيها اسس مذهب الحروفية التابع للقرماط وللاسماعيلية ، والصواب ان يقول للقرامطة كما نبهنا على ذلك مرارا ، ثم زاد قائلا : والمتخذ من الاحرف الهجائية وحسبتها بالارقام ، مبدا لتعليم ديني مكتوم . وهو الكلام فيه من الركاكة والقصور ما يحول بينه وبين فهم المراد . وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان الحروفية فرقة شيعية انشاها فضل الله الاسترابادي في نهاية القرن الثامن للهجرة ، وهي عقيدة تقوم على فكرة ان الكون ابدي يتحرك حركة ابدية وهذا هو علة التغيرات التي نلاحظها فيه ، وان فضل الله هو ءاخر الاولياء واول الطبقة المقدسة التي يتجسد فيها الاله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ولهم حساب مستخرج من حساب الجمل اخذوه من الاسماعيلية وله شأن كبير به تقرير عقيدتهم هذه باختصار وتصرف قصد الايضاح .

447) في ص 391 ، ع ل ترجمة لفضالة بن عبيد الانصاري من قواد الصحابة الذين حاصروا مدينة القسطنطينية كتب اسمه فيها فضلة بدون الف بعد الضاد وهو بها .

448) في العمود نفسه بعنوان الفقهاء ذكر اسماء عدد من فقهاء الصدر الاول منهم سليمان بن يسار جعله ابن اليسار بأل واسحاق بن راهوية حذف منه لفظ ابن

449) في ص 392 ، ع ني ذكر كتاب التفاحة في عمل المساحة فقال انه مخطوط في الرباط . وهو مطبوع من زمن ضمن مجموع المتون المصري عدة طبعات ، وهذا بغض النظر عن اسم صاحبه وما فيه من الخلاف بين المنجد وما سمى به نفسه في اول كتابه وما في كشف الظنون

450) في العمود نفسه ترجمة للمستشرق فان فلوش قال فيها عنه صاحب كتاب مفاتيح العلوم وفصول من البخلاء والمحاسن والاضداد للجاحظ ، وقوله هذا يوهم انه هو مؤلف كتاب المفاتيح وليس كذلك فانه للخوارزمي والمترجم انما نشره فقط كما نشر ما ذكره من البخلاء والمحاسن والاضداد

451) في ص 393 ، ع ني ذكر كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي وضبط الوفيات بكسر الفاء وتشديد الياء مع الفتح طبعا والصواب فتح الواو والياء من غير تشديد

452) في ص 398 ، ع ل تحت اسم فيل او افيلاس هو احد ملوك الحبش الذين غزوا بلاد العرب (القرن 3) ... سماه القرءان بالفيل وذكر اصحابه ، ولا يصح ان يكون هذا هو الذي ذكره القرءان ، لان المؤرخين مجمعون على ان اسمه ابرهة وان غزوه كان للكعبة خاصة ، وفي القرن السادس وبه يؤرخون ميلاد النبي (ص) والمنجد نفسه ذكر ذلك في حرف العين تحت عنوان عام الفيل .

453) في ص 400 ، ع ني ترجمة للفيومي صاحب كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير قال انه في الفقه ، ومع احتمال رجوع الوصف الى الشرح الكبير الا ان المقصود بالكلام هو المصباح ولا يخفى انه كتاب في اللغة مشهور .

طنجة : عبد الله كنون



الفلسفة الإسلامية في مواجهة اليونانيات

للأستاذ أنور الجندي

هناك شبهة ضخمة ودعوى عريضة تقول ان التراث اليوناني هو الذي نهض باللغة العربية ولولاه لظل العرب على ما كانوا عليه من بداوة وسذاجة وان الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية وان البيان العربي خيوطه نسجت من البلاغتين الفارسية واليونانية وان العرب والمسلمين لم يكونوا منشئي حضارة وانما مجرد نقلة لتراث من سبقهم من الامم .

وان التراث الاغريقي كان الاساس الذي تشكلت وفقا لمقتضياته الحضارة الاسلامية .

يدحض هذه الشبهات قول واحد يسير قبل ان ندخل فى التفصيلات هو ان الثقافة العربية الاسلامية كانت قد تشكلت وقامت دعائمها ورسمت مقوماتها قبل ترجمة التراث الهليني ، ومن هنا فقد اخذت هذا التراث على قاعدتها وهي التي ترجمتها بمحض رغبتها. فلما قامت اسس الثقافة الاسلامية على التوحيد وعبادة الاله الواحد وعلى المزج الدقيق الخصب بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والاخرة ، كان من اقوى دوافع قوتها وحيويتها ان تفتحت على الثقافات المختلفة القديمة والمعاصرة لها ، من تراث الهند وفارس واليونان والرومان .

وقد قام الفكر العربي الاسلامي على اساس النظر العقلي اساسا وتوجه الى النظر للوجود وقد اشارت الاصول والجذور الاصلية له الى فضل العلم على العبادة، ولما كان التوحيد هو القوة الفاعلة الاساسية للفكر العربي الاسلامي فقد كان هذا مصدرا اساسيا واضح الدلالة على ترجمة اليونانيات ، كما كانت آراء الفكر العربي الاسلامي فى التوحيد والنبوة مما لم تعرفه الفلسفة اليونانية .

وقد واجه الشيخ مصطفى عبد الرزاق هذه الشبهات فقال : للفلسفة الاسلامية كيان ممتاز عن الفلسفة اليونانية ، والفلسفة الاسلامية لا يمكن ان يقال انها مجهود العلماء المسلمين فى دائرة الفكر اليوناني ، بل هي هيكل خاص له مميزاته وخصائصه ، ومهما يكن من اثر الفلسفة اليونانية وغير الفلسفة اليونانية فان لهحظا عظيما من الشخصية والابتكار .

ويقول سيد امير على ان الفرض الاكبر الذي نشده فلاسفة المسلمين هو ان يزودوا العالم بنظرية تامة عن وحدة الكون ترضي (الذهن) كما ترضي (الدين) وحاولوا ان يوافقوا بين الجانب الاخلاقي والروحي للعلم وبين جانب الفلسفة ، وقال ان اول علامات الفلسفة الاسلامية (التوحيد) و (التنزيه) فالاسلام فى جوهره اقرار لله بالفرد والوحدانية والهيمنة على الكون . والاسلام لا يعرف الا مرتبتين من مراتب الوجود فوق الانسان : مرتبة (الالوهية) وهي مرتبة الله تعالى ومرتبة (النبوة) التي يهبها الله لمن يشاء من عباده، وفيما عدا هاتين المرتبتين يستطيع الانسان ان يبلغ درجة الكمال حسب طاقته دون ان يعوقه عائق . فليس لله شركاء فى حكمه وملكه ومن يقول غير ذلك يدعو الى الوثنية ، والعقيدة التي آمن بها جميع الفلاسفة المسلمين مستوحاة من « القرآن » .

كما يشجع الاسلام على التوفيق بين الفلسفة والدين ، وانهما فى المسائل الاسلامية متناصران، وقد كشف ابن رشد فى كتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ان الاسلام يشجع المسلم على النظر العقلي ويدعوه الى التأمل الفلسفي وان القرآن يحث على طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة ويرى ان الفلسفة والدين هدف

واحد ، هو توجيه نشاط الانسان الى بلوغ الكمال . فالاسلام دين يخاطب العقل والضمير على السواء .

وهناك اجماع من الباحثين على ان للفلسفة الاسلامية رسالة هي فهم الكون ومعرفته لذاته بحيث يدع لضميره امر تدبير سلوكه ويستشعر في جوانبه ثقة في الله وثقة في نفسه ، عندئذ يستطيع ان يمارس حرية ارادته ممارسة تامة ، فيمضي في الحياة مطمئن النفس ، متفتح الوعي مبتهج القلب ، وانها هي النظر العقلي في الله والانسان والكون ، وقد عارض الفلاسفة المسلمون تلك الثنائية التي ضمنها ارسطو مذهبه : التي يتقابل فيها الله والمادة الازلية عنده واعلنوا وحدانية الله وتنزيهه عن ملابسة المادة ، وعلى الجملة لم يكن الاتصال بفلسفة ارسطو وحدها ولا بمذاهب اليونان وحدها .

ولم يقف الاسلام امام حرية الفكر بل اعطاها المدى ، اما اولئك الذين قتلوا فانما قتلتهم السياسة لا العلم ، فقد كانوا ينتمون الى دعوات هدامة للدولة والنظام العام ، ولو اقتصروا على الفكر الخالص لما نالهم سوء .

وقد اثبتت اللغة العربية في مجال ترجمة الفكر الانساني على قدرتها على الشمول والاستيعاب ، وقد استطاع الاسلاف احراز تقدم واسع في مجال المصطلحات التي فتحت الطريق اليوم لنقل العلوم الحديثة .

ولا شك كانت ترجمة التراث اليوناني للحضارة الاسلامية فقد استدعى هارون الرشيد العلماء الذين يجيدون اللغات وكون منهم هيئة علمية مهمتها تقدير التعويضات التي تدفعها الشعوب المغلوبة على ان تكون هذه التعويضات كتبا فلما جاء المأمون كون مجمعا علميا وكل اليه اعمال الترجمة وبرز فيه ابناء موسى بن شاكر الفلكي الثلاثة وكانوا لا يقدمون على الترجمة الا بعد الحصول على ثلاث مخطوطات على الاقل من الكتاب المراد ترجمته فيقابل بينهما ويقوم نصها وتصحح .

ويرى محمد رضا الشبيبي ان الباعث على نقل الفلسفة اليونانية في اول عصر العباسية له علاقة بالدين ، فقد عنيت برد الشبهات التي كانت تثار ضد العقيدة الاسلامية على طريقة الفلاسفة ، وقال ان وجه نظر المسلمين الى الفلسفة اليونانية انها كانت آراء نظرية بحتة بينما كانت رسالة الاسلام عملية بعيدة عن المسائل النظرية ، ومن هنا كان اعضاء النقلة المسلمين عن نقل الادب اليوناني مثل الالياذة والاوديسا لان ما فيها من اساطير وخرافات كانت تعتبر ولا ريب مبنية على الشرك ، لذلك . وقد اشار الشبيبي الى خطا القول بان العرب لم يعنوا بالادب اليوناني وقال ان للفارابي بحثا عن الشعر اليوناني بجميع أقسامه وهو ينقله بالمصطلحات التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، وقال ان المسلمين كذلك عنوا بنقل كتب كثيرة لها اتصال بالادب والشعر اليوناني ومنها كتاب الشعر والخطابة لارسطو .

وقال الشبيبي : ان الاداب اليونانية تحتوي على مسائل صبيانية غير جديرة باهتمام كبار العقول في وقت اقبل فيه رجال العلم على الجديات من العلوم . اما هذه الصبيانيات من ان ظواهر الطبيعة من مطر وعواصف وبرق ترجع الى خصام الالهة مع بعضها والى انتقام بعضها من بعض ، مع نزول الالهية الى الارض وتزوجها بالانسيات الى غير ذلك ، فالذوق العربي يرفض ذلك .

القصة فن من فنون الادب الانساني وهي ليست حديثة في الادب العربي بل قديمة وتتمثل في عشرات من القصص العربية القديمة .

وفي العصر الحديث عند ما بدا الادب العربي يقظته كان لا بد ان يبرز في القصة مترجما اول الامر من اللغات الاوربية ثم مؤلفا .

وقد بدات الترجمة منذ وقت باكر في ظل المؤثرات والضغط التي فرضها النفوذ الفكري الغربي على الادب العربي الحديث ، ومن هنا فقد تطورت الترجمة من الاتجاه العلمي الذي بداه « رفاعة الطهطاوي » الى ترجمة القصص الفرنسية المكشوفة وشارك في هذا الاتجاه كثير من الصحفيين السوريين ، ثم شارك فيها الدكتور طه حسين حيث عنى بالقصص المكشوفة ونشر فصوله في جريدة السياسة وقد شهد مستر جب بان القصص التي ترجمت الى اللغة العربية في هذه الفترة لم يراع في اختيارها حالة مصر الاجتماعية ولا حالة الثقافة العامة ولا الذوق الادبي للبلاد (1) وقد اشار المازني الى مدى خطر طه حسين في ترجمة القصة الفرنسية المكشوفة حين قال : انما كان هم مدح الخيانة والاعتذار للخونة وتصوير الخلاعة والمجون في صورة جذابة ليقضي بهذه الترجمة حق الاباحة لا حق اللغة ولا حق الفضيلة ، وكان شعار طه حسين في هذه القصص « ان من خلق الله لهم عقولا تجد في الشك لذة والقلق والاضطراب رضاء » .

---

1) يراجع كتابينا (الفكر العربي المعاصر) و (الثقافة العربية المعاصرة في معركة التغريب والشعوبية) .

وكان هدف ترجمة القصة هو التسلية لا الثقافة، وبذلك قدم نجيب الحداد ونقولا الحداد والياس فياض وطانيوس عبده والياس ابو شعلة وخليل بيدس وغيرهم قصصا اختاروها مليئة بروح الاثارة للطبقات المتوسطة وكان نوع القصص نازلا واسلوبها اسلوبا ركيكا وكان هدف التغريب من ورائها الاثارة وتعمد تدمير القيم في النفس العربية ، وقد عجز هؤلاء عن ترجمة الروايات العالمية الممتازة لضعفهم في الترجمة ولرغبتهم في ارضاء غرائز الجماهيـــــــر .

ثم كانت صيحات جب وغيره الداعية الى انشاء القصة المصرية او العربية الحديثة التي لم تكن في اول امرها الا قصصا غربية مترجمة غيرت فيها الاسماء والاماكن وبقيت كما هي تصور مجتمعا غريبا عن مجتمعنا . ومن عجيب ان هذا الاتجاه ما زال مستمرا .

وقد اشار جب الى خطر بعيد المدى في طريق القصة المصرية ذلك هو :

ان المجتمع متى بقي تطوره وتقدمه محصورا في المبادىء الاسلامية او في التقاليد التي كانت اثرا لهذه المبادىء فان ذلك سيحول دون ظهور القصة الحديثة .

ومعنى هذا هو ان القصة لا توجد الا في مجتمع مختلط تقع فيه الازمات وعمليات الصراع بين الرجل والمراة . فقد كانت القصة في عرف الفكر الغربي هي علاقة ما بين الرجل والمراة وتتم في ظل الغرائز ودوافع العاطفة وتجري الى نهايتها دون ان تقف الى وجهها حدود او قيم .

ويبدو هذا واضحا في طابع القصة العربية الحديثة على العموم، حيث لا نرى مشاعر نابعة اساسا من مجتمعنا وانما تجد مشاعر غريبة فكل المشاكل والازمات والقضايا التي تعرضها القصة العربية الحديثة بعيدة جدا عن التماس حلولها في مقومات فكرنا العربي الاسلامي الاصيل ، وانما تشهد حلولها من طبائع اخرى مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة النفس العربية الاصيلة .

فالحياة الانسانية لها في عالمنا العربي الاسلامي طابع يختلف اختلافا بينا عن الحياة في الغرب فالعقلية العربية الاسلامية عقلية توحيدية لا تسرف في الفلسفة ولا تسرف في التصوف ولا تسرف في الاباحة ومن هنا كانت مصادمتها للواقع حين تعرض القضايا التي ليست من مجتمعنا او الحلول التي ليست من طوابع فكرنا فضلا عن ان رغبة التسلية وازجاء الفراغ قد حالت بينها وبين هدف التسامي .

ومن الخطأ على حد تعبير زكي مبارك ان يقاس ادبنا على ادب الانجليز والفرنسيين او الالمان وانما يقاس الادب على مزاج الامم التي تصدر عنها وملاك الامر ان يعبر الادب عن عقول اهله واحلامهم وشهواتهم وما يجري في خواطرهم ، ونحن احفاد العرب واسباطهم من واجبنا ان ننظر الى ماضيهم حين نفكر في حاضرنا وقد كان العرب تكفيهم اللمحة والاشارة في اشعارهم ورسائلهم حتى عرفوا بين الامم بقوة الايجاز .

ولا شك يختلف طابع القصة العربية عن القصة الغربية التي استمدت مصدرها الاول من الفن الوثني وادب الثلوج وتمجيد الابطال الخرافيين وفي المناطق الباردة كان طابع الكشف والجنس اكثر بروزا بينما لا يوجد هذا في الشرق ذي الشمس المشرقة .

ولا توجد في مجتمعنا مشاكل المجتمع الغربي الفردي ولا تستطيع النماذج الذي يقدمها قصص دافيد كوبر فيلد لدكنز ، او البؤساء لهيجو وتابيس لاناتول فرانس او غيرها توجد في مجتمعنا .

وما تزال القصة الغربية خلال السنوات المتوالية منذ الحرب العالمية الاولى واقعة تحت عوامل الذعر من الحروب والذرة وما يتصل بانهيار روابط الزواج والاسرة وانتشار ثقافات الاباحة .

واعتقد ان مراجعة شاملة للقصة الغربية تكشف عن خلاف جذري بين صورة المجتمع الغربي ومشاكله وحلول القصة لهذه المشاكل ولو وضعت هذه الصور والمشاكل والحلول في ضوء العقل العربي لانكرها انكارا واضحا .

وفي احدث كتاب عن القصة الغربية (Onvala Roman) لبودفور يذكر كيف قامت حركة تحرير الادب من سلطان الاخلاق واعطاء الكاتب الحق في الاستقلال عن قواميس الاخلاق الشاملة ، مما دفع الادب الى اطلاق الوجدانات والعواطف من عقالها وظهرت على اثر ذلك الدادا والسريالية التي ازالت الوان الحرام الاجتماعية والاخلاقية وكيف فتح « فرويد » مجالا هائلا من اللاشعور وكيف عاش جيل الثلاثين يصور الاشخاص في صراع مع القدر الاجتماعي ثم برز طابع البطل المغامر المتمرد المنشيء ثم كانت تجربة اليأس والقلق واللامعقول بعد الحرب العالمية الثانية وكيف قاد سارتر وكامو هذا التيار فالانسان لا فائدة في حياته وما هو الا ميت تأجل تنفيذ حكم الموت عليه ولا امل في انقاذه والعالم لم تعد ثمة ضرورة لوجوديته انه لا معقول وانما وجه المرء نظره الى « اللامعقــــــــول » .

القاهرة : انور الجندي



اذا فكرنا واقعيا نجد ان الانسان يعمل دائما للتدرج من حالته التي يحياها الى حالة احسن فيرجو الغنى بعد الفقر والصحة بعد المرض والسعادة بعد الشقاء واليسر بعد العسر والتقدم بعد الانحطاط بحيث لم يكن من المعقول ابدا ان يكون الرجاء لا يطمح بالانسان الى ما هو افضل واسمى .

وان هذا الشعور هو المقياس الاول الذي تتميز به الدول ويتميز به الافراد فان الذين لا يكون تفكيرهم يدفعهم الى التطور والرقي واستغلال الطاقات البشرية والامكانيات العلملية لاشك انهم فاقدون لاعظم هبة منحها الله للبشر . الا وهي هبة الحياة والكرامة .

فالعمل من أجل المستقبل اذن هو طابع غريزي يطبع الافراد والجماعات . ولا يتيسر للانسان ان يحقق رغباته الا اذا استغل الامكانيات التي بين يديه سواء كانت امكانيات مادية او امكانيات معنوية .

وفي استغلال هذه الامكانيات قد تقع الخلافات بين البشر لان تخطيط الاهداف يتغير حسب الاتجاهات الفلسفية والفكرية والاقتصادية والروحية عند كل امة من الامم ؛ ولا يدري الواضعون لهذا التخطيط اي طريق يتجهون واي سبيل يتخذون .

فهناك من يجعل بينه وبين الماضي سدا ويرى ان الانسان ابن حاضره يجب عليه ان يقوم بدوره في الحياة دون اي اعتبار لما مضى ودون اي ارتباط بتاريخ دالت دولته وانقضت ايامه فان المنهاج السليم يتصل اتصالا بينا بروح العصر وان العمل المفيد هو العمل الذي يخفف من مشاكل العالم الحديث .

وهنا تختلف النظريات ايضا في اختيار اهداف العمل . وهل تكون اهدافا فردية او اهدافا جماعية ؟ وهل يصح للانسان ان يعمل في حدود اقليمية او لابد من ان يعمل في حدود عالمية . وما هو دور الانسان المتخلف الذي ما زال مضطربا حائرا جاهلا وما هو دور الدول التي زالت تعمل الآن من اجل ضمان حريتها واستقلالها وضمان اقتصادها واي طريق تنهج ؟

وهنا تتعدد النظريات الاقتصادية والفلسفية فتجعل الانسان حائرا بين تحقيق ما يريد وبين الرضوخ لما هو واقع .

ولكننا في الحقيقة اذا ما تصورنا الانسان في هذا العصر حائرا في الاختيار ثم فصلناه عن ماضيه فاننا بذلك سنكون قد فصلنا بين كيان الانسان وغرائزه التي ورثها عن آبائه الاولين .

الانسان في الحقيقة ليس الا عنصرا يمثل وجوده الحاضر ويمثل وجود نوعه فهو تتجلى فيه صفات كثيرة ورثهاعمن سبقوه ولكن التربيةهي التي تهذب بعض

هذه الغرائز وتدرب الانسان على التحلي بالقيم الفاضلة والتخلي عن الشرور .

وليس في الامكان تحديد القيم التي توحد بين البشر عن طريق علم الاخلاق فقط لان مفاهيم القيم تختلف ايضا باختلاف المناهج والآراء والمصالح العامة لمختلف الدول .

وليس من خطل القول اذا قلنا ان هذه الاختلافات قائمة بالذات في التكوين الانساني وانها تتكيف احيانا حسب الاتجاهات الاقتصادية التي تنهجها كل دولة وحسب بعض تقاليدها التي اكتسبتها عن طريق الاديان والمذاهب العامة القديمة التي امتزجت بها وتأثرت بتعاليمها .

بل اننا يمكن ان نقول بأن الفلسفة ذاتها قد تفقد جزءا من تجردها حينما يصبح الفكر دون شعور مقيدا باتجاه خاص يؤمن به الفرد فيسلط اضواء فكره على تحليله وايضاحه والدفاع عنه وابراز محاسنه وقد يستطيع بذلك ان يصل الى حد الاقتناع وهذا هو السر في كوننا نجد تضاربا بين آراء مفكرين في العالم ولا تستطيع ان نقول ان هذا الخلاف ناتج عن ضعف في جانب دون جانب وانما نجد ان الاسس المنطقية والعاطفية التي يسير عليها طرف من هؤلاء قد لا تتفق مع الاسس المنطقية والعاطفية التي يسير عليها الطرف الاخر ، ولذلك لا يقع بينهما تفاهم ، وقد تظل هذه الاختلافات شديدة الاحتدام رغم العمل على اقامةمؤتمرات وايجاد جماعات تعمل على التاليف بين الطرفين والربط بينهما .

ولكن ليس من الغريب أن يكون لكل قوم مفكرون يؤمنون بالخطة التي يجب عليهم أن يسيروا عليها في المستقبل ويربطون بين حاضرهم وماضيهم ويعملون على خلق انسجام بين فلسفتهم في الحياة وبين انظمتهم الاقتصادية وبين قيمهم الخلقية ، ولكن الغريب أن نجد قوما اذا حدثتهم عن تاريخهم ظنوا انهم سفاكو الدماء واذا حدثتهم عن دينهم ظنوا انهم معاول هدم للبشرية واذا حدثتهم عن قيمهم نبذوها وعارضوها وسخطوا على انتمائهم اليها وآمنوا بكل ما استوردوه ولو كان غثا مضرا متضاربا بعضه مع بعض .

والسبب في ذلك تعفن فكري استبد بهم فوجههم توجيها منحرفا ، وتربية قاصرة لا تعتمد على اساس عملي وانما تعتمد على اساس خطابي لا يفيد كثيرا في تهذيب الوعي وفي تقوية الايمان ، ولهذا كانت المعرفة هي الاساس الاول لتهذيب الفكر وتنوير الضمير . وكان الاطلاع على التاريخ واجبا لانه الامل الباسم والقوة الدافعة والمحرك الذي لا يفتر عن عمله والصورة التي تنطبع عليها احسن الذكريات والايمان الذي يقوي عصب مجدنا ويبشرنا بالمستقبل الزاهر السعيد .

التاريخ اذن يلعب دورا عظيما في المجال البشري لا يمكن لاي احد ان يستغني عنه . وقد اختلفت الفلسفات التاريخية حين كانت تفسره وتحدد اهدافه وتتحدث عنه كعلم من جهة وكتربية من جهة اخرى .

نحن نرى ان التاريخ وان كان له مدلول اجتماعي قد ينسجم مع العلم في جل صوره وقد يرتبط بالاقتصاد او بالدين او بالواقع المجرد دون ان يكون هناك اي اتصال خارجي عن واقع الحوادث التي يمكنها ان تكون قاعدة عامة ترتبط بأشباهها في كل زمن وفي كل مكان فاننا نرى ان جانب استغلاله في التربية الوطنية وفي المناهج الاقتصادية وفي الدعاية الدولية وفي اثبات الشخصية وفي توحيد الشعور الوطني امر لا يمكن ان يستغنى عنه بالنسبة الى الدول المتطلعة الى المجد الراغبة في تشييد المستقبل الرغيد لانها ان استفادت منه فانما تقوم بعمل اصبح شعارا عند كثير من الدول المسيطرة على العالم بثقافتها وقوتها .

ففرنسا مثلا لا يمكن ان تتحدث عن تاريخها دون ان تبرز مظاهر العظمة في حضارتها وفي ماضيها ودون أن تربط بين الاشعاع العلمي الحديث وبين ما قدمت فيه من جهود ودون أن تتغنى بالبطولة والتحرير والثورة التي مهدت لاروبا كلها طريق النصر ضد الظلم والطغيان تلك الثورة التي جعلت العدل والاخاء والمساواة شعارا لها .

ان فرنسا لا تفصل تاريخها عن هذه الصور اللماعة التي يطمئن اليها كل من اطلع عليها وبذلك تجعل ثقافتها والتعريف بحضارتها سبيلا الى استمالة النفوس وطريقا الى الغزو الفكري في مختلف البقاع التي استولت عليها في اواخر القرن الماضي واوائل القرن العشرين .

وامريكا ايضا لا يمكنها ان تتحدث عن تاريخها دون أن تذكر ما تراه لامعا في هذا التاريخ فهي تتحدث عن ثورة بعض رؤسائها ضد الميز العنصري وتتحدث عما قامت به في التطور العلمي الحديث وما قدمت من اعمال جبارة في التاليف بين الولايات والربط بين الاقاليم

وبذلك ازالت كثيرا من الفروق البشرية التي كانت حائلة بين الانسان والتقدم ولذلك كان المجهود الذي قامت به دافعا الى التقدم العلمي وسببا في التطور الحضاري .

وهذه روسيا ايضا اذا تحدثت عن تاريخها لا تغفل ما قامت به من مجهودات بشرية ادت الى ايجاد الاتحاد السوفياتي وهي تفتخر بانها اوجدت فلسفة اقتصادية ابعدت شبح الجوع عن كثير من البشر وفتحت امامهم باب العمل حتى اصبحت من اعظم الدول تقدما في العلم واتواها اتصالا بالعدل والمساواة والحزم .

كل دولة كما راينا لا تحاول امام الراي العام العالمي الا ابراز اعظم ما لديها من مواقف اما اذا تحدثت عن بعض حروبها وعن اشتباكاتها مع دول اخرى فهي تحاول دائما تبرير مواقفها ازاء الآخرين .

والانسان بطبيعته يتاثر بما يرى ويسمع فاذا بسرت من يستمع اليك فانك في الغالب تملك شعوره وهذا هو السبب الذي يدفع كثيرا من الدول الى نشر لغاتها والعمل على شيوعها .

فبمقدار ما تنتشر لغة يكثر قراؤها وبمقدار عدد القراء تستطيع الدولة التي تتكلم بها ان تكسب المعركة في نشر آرائها وافكارها ووجهات نظرها وتقرب اليها شعور الافراد .

واذا تمكنت امة من شعور فرد اصبح ملكا لها يدافع عنها ويؤازرها ولهذا نرى ان العرب حينما يريدون نشر لغتهم وحينما يطالبون بجعلها لغة العلم انما يسعون في ذلك لانها ستصبح موحدة لشعورهم معرفة باحوالهم مبينة لثقافتهم محببة لتاريخهم .

ففرق اذن بين موقف العرب في جعل اللغة عاملا من عوامل توحيد الشعور وبين موقف غيرهم من الذين تتحكم فيهم فروق اخرى جذرية كالحالة التي توجد عليها امريكا وانجلترا مثلا فرغم اتحاد لغتهما فانهما لا يمثلان قومية واحدة .

ان توحيد الشعور بين الافراد يعد اعظم مؤلف بين قلوبهم ونحن في عصرنا الحاضر نرى ان التاريخ له دور فعال في توحيد الشعور وتقوية الشخصية وقد لاحظنا فيما قدمنا من امثلة ان جميع الدول تعمل على الاستفادة منه في تربية الافراد وتنوير الراي واستمالة المناصرين فلماذا نتخلى نحن عن ذلك؟ ولماذا لا نقلد الدول العظمى في هذه الظاهرة التي سنستفيد منها .

ليس الاعتزاز بتاريخنا مظهرا من مظاهر التعصب ولكنه سبيل من سبل التربية . ان التخلي عن تربية الجيل الصاعد بمواقفنا التاريخية المثيرة يعد انحرافا عظيما قد يؤدي الى محو شخصيتنا في العصر الحاضر

قد يكون هذا الاعتزاز تعصبا لو كان موقف الدول العالمية لا يعتمد عليه في تربية الافراد ، ولكن حيث انهم يلتزمون في تعليم التاريخ ابراز حضارتهم وتبيين فضلهم على العالم ، فلماذا نحن لا نبحث بجد عن تاريخنا الحافل المجيد الذي اشع على العالم بنوره في جل الميادين ؟ ولماذا لا نجعله عنصرا اساسيا في دراستنا ونولي القيام به طائفة من المختصين به والعارفين للعلاقات الدولية والدارسين للثقافة الاسلامية والعربية والمهتمين بالتاريخ العالمي في جل صوره ويحاولون آنذاك التعريف بما في تاريخنا من لمع افادت العالم وافادت الانسان في مختلف حاجياته .

مما يؤسفني كثيرا انني ارى طائفة من الشباب المغربي لا تعرف عن تاريخ العرب والاسلام الا شيئا يسيرا لا يكفيها لتكوين راي صادق وحكم سليم بل قد تكون تلقنت ذلك التاريخ منحرفا فتحمل في نفسها حقدا دفينا ضد العرب والاسلام . ويتمكن ذلك من نفسها فتحاول ما امكنها ان تطمس الدور الجبار الذي حققه العرب والمسلمون في تاريخهم وفي تاريخ البشرية وتتحمس احيانا لآرائها المنحرفة ويكون موقفها اشد ضررا على الامة العربية من موقف اعدائها ولله در الشاعر العربي الذي يقول :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

ولعل السبب في ذلك يرجع الى الانحراف النفسي والثقافي والتربوي الذي يظهر في الايمان المطلق بالتيار الجديد الذي يسود العالم والذي اصبحت السلطة فيه الى جنس غير عربي والى دين غير اسلامي ، او لعله يرجع الى كون تلقين مادة التاريخ في اغلب المدارس الثانوية في يد قوم غير عرب لا يحسون بمشاكلنا ولا يتذوقون تاريخنا ولا يربطون بين مواقفنا الحاسمة واتجاهاتنا في الحياة . وقد يكون الامر راجعا الى فقدان الثقة في نفوس شبابنا بمستقبل البلاد العربية والى تسلط شبه ياس عليهم ظانين بان عجلة الزمن تسير دائما في مصلحة الآخرين ولن تعود الى مصلحتنا نحن ايضا .

مع ان طبيعة التاريخ تقتضي عدم التوقف وعدم الجمود . انه تطور وتغيير والانسان ليس بينه وبين التقدم الا التسلح بمقوماته فينتجه الى العلم بكل قوة ويتصف بالاخلاق الفاضلة التي تروضه على ان يحب للناس ما يحب لنفسه ثم يعمل على توحيد شعوره وتقوية عقيدته الهادفة واحياء تاريخه الذي يستند عليه فى اذكاء عواطفه وفسح مجال العمل امامه .

وعلاج هذا المشكل لا ياتي عن طريق التمني وانما يجب ان تكون هناك خطة ترتكز على تصميم عملي هادف الى رفع معنوية الشباب المغربي والى العمل على تزويده بالتاريخ العربي الاسلامي بطريقة تتناسب مع واقعه ومع اماتيه ومع ماضيه المجيد .

ولهذا لا يمكن ابدا ان ندعي باننا نستغني عن التاريخ فى فسح مجال العمل امامنا فى المستقبل

ان تاريخنا العربي الاسلامي جزء لا يتجزأ من كياننا سواء كان تاريخا سياسيا او كان تاريخا علميا او كان تاريخا اجتماعيا .

وليس معنى هذا ان جميع ما سجله تاريخنا خاليا من الاخطاء والهفوات لان التاريخفى الحقيقة انما هو تسجيل اعمال الانسان . والانسان قد يخطىء وقد يصيب ، قد يعدل وقد يظلم ، قد يوفق وقد لا يوفق ولكن العاقل هو الذي يأخذ من التاريخ عبرة ويستفيد من احداثه . ونحن فى تربيتنا العامة يجب ان نستفيد من اخطائنا الماضية وان نعتز بما حققناه من صالحات وان نعمل من اجل مسايرة العالم من جديد

ولا يفهم من هذا اننا سنكفر بما حققه غيرنا فى المجال البشري لان الانسان يكون وحدة جنسية قبل ان تاتى هذه الفروق الاخرى التي جعلت منه امما مختلفة .

وآنذاك سنكون قد مهدنا لانفسنا السبيل لنحيا حياة العزة والكرامة ومهدنا السبيل لكل من يعمل خيرا للانسانية جمعاء .

اذا آمنا بدور التاريخ فى تكوين الوعي وفى اتاحة الفرصة للعمل الصالح من اجل المستقبللم يبقلناالان تيسر الطريق لتوعية الشباب باذاعة تاريخنا العربي الاسلامي ليكون لهم ذلك ايمان « جديد » يربطهم بالقيم العربية الاسلامية ليستأنسوا بها وليركنوا اليها وليجعلوها لهم شعارا منيرا .

ومن خير ما فى الاسلام انه لا يعترف بهذه الحدود الاصطلاحية التي اقامها البشر وجعلوها مظهرا من مظاهر سلطتهم فالمؤمنون اخوة وتاريخ العرب والاسلام وحدة لا تتجزأ لذلك يجب ان نفتخر بكل ما وجدناه قد نفع البشرية سواء كان ذلك فى المغرب او فى المشرق .

وتبتدىء عظمة الحضارة الاسلامية العربية بظهور الاسلام الذي اخرج الفرد العربي من عصبيته القبلية الجزئية الى الالتحام بتعاليم الاسلام فغير مواقفه واصبح معتصما بحبل الله يدافع عن اسمى الصفات التي توحد بين ابناء البشر ، قال الله تبارك وتعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ان الله عليم خبير (1) . »

وليس الاسلام بمسؤول عن عدم تطبيق جميع تعاليمه من بعض الذين انتسبوا اليه لان فكرته الاهية ابدية ، وان اهملها جيل فستحييها اجيال وان اضاعتها طائفة فستحييها طوائف .

ومن اهم ما يمتاز به الاسلام انه دين عملي يحارب الخرافات ويحارب الظلم ويحارب العنصرية ويدعو الى الاخاء والمساواة ونشر العدل بين الناس ويجعل المسؤولية عامة بين جميع الافراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع فى اهله ومسؤول عن رعيته والمراة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته (2) ... » وهنا تتجلى عظمة الاسلام بحيث لا يمكن لاي فرد ان يعتمد على غيره فقط دون ان يكون مسؤولا عن عمله الذي يقوم به . ولا يسمح للشخص بأن يقتصر على النقد الهدام وهو نفسه غريق الآثام بل يجب ان يبدأ الاصلاح من نفسه وان يعتبر المسؤولية مشتركة بين جميع المسلمين لا فرق بين غنيهم وفقيرهم عالمهم وجاهلهم حاكمهم ومحكومهم .

1) من سورة الحجرات الآية 13

2) الحديث رواه ابن عمر يوجد فى صحيح البخاري فى باب الجمعة . (من هداية الباري بترتيب احاديث البخاري ، الجزء الثاني صفحة 11) .

وفي تاريخ الاسلام مواقف شاهدة على بطولة المسلمين وعلى عملهم الحضاري الذي كان له فضل في شيوع الثقافة الاسلامية والثقافة العامة التي اقتبسها الاسلام من الامم التي امتزجت به فهذبها ونقحها واضاف اليها ما جعلها صورة حية شاهدة على فضل العرب والمسلمين في التاريخ البشري .

لقد نبغ العرب والمسلمون في الميدان العلمي والميدان الفكري وكان لهم فضل عظيم في تعميم العلم والفن والادب في العالم فاينما ذهبت في الاصقاع الاسلامية تجد تاريخ المسلمين زاهرا سواء في العمران او في الثقافة او في الميدان الاجتماعي .

وقد فكروا في وسائل كثيرة تؤلف بين البشر وتعودهم على الشفقة والحب والرأفة فهم الذين فكروا في جعل اوقاف خاصة لمواساة الطيور والرفق بالحيوانات وللتخفيف عن المرضى بالامراض العقلية ولتجهيز الفتيات الفقيرات ولايجاد مدارس لتعليم الكبار ولبناء احياء جامعية تعين الطلبة على العلم وتيسر لهم طرق الثقافة وتضمن لهم السكنى والطعام .

وهم الذين فكروا في ايجاد مستشفيات عامة تساعد على مقاومة الامراض ومعالجتها ومن يطالع رحلة ابن بطوطة او رحلة ابن جبير فسيرى صورا مختلفة لمواقف قيمة في تاريخنا تدل على العناية الكبرى التي كان يوليها المسلمون للاصلاح الاجتماعي .

ولم يكن الازدهار العربي يقتصر على هاته المظاهر الاجتماعية ولكنه كان يرتبط ايضا اشد الارتباط بالثقافة العامة فقد تاسست خزانات للعلم في مختلف الاقاليم الاسلامية وما بيت الحكمة الذي جعله المأمون العباسي مركزا للكتب العلمية وترجمتها وما خزانة الحكم المستنصر بالاندلس وخزانات الفاطميين بمصر والخزانات العلمية التي كانت توجد بالمغرب الا اكبر دليل على الاهتمام بالثقافة في مختلف صورها .

ولقد كانت بعض المدن الاسلامية في ايام ازدهارها تجعل الخزانات العامة داخل منتزهات عمومية حتى يتيسر للقارىء أن يمتع روحه ويغذي عقله بالمطالعات المفيدة فاذا شعر بارهاق وجد في مظاهر الطبيعة ما يريحه ويبعد عنه تعبه .

واما الجانب العلمي فنحن لا ننسى جابر بن حيان والخوارزمي والفارابي وابن باجة وابن طفيل هذا العالم المغربي الاندلسي الجراح الشهير وعباس ابن فرناس اول عالم فكر في صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران (1) . وبالفعل فقد استطاع ان يحلق في اجواء السماء بصورة عجيبة الا انه لم يوفق في التعرف على وسيلة يسلم منها الطائر عند نزوله الى الارض .

ونحن عندما نتحدث عن هذه الظاهرة انما نقصد ابراز طموح العرب الى المعرفة ومحاولتهم التغلب على مظاهر الطبيعة ولا ينبغي ان يكون ذلك مجالا للمقارنة بين الطيران في ايامه الاولى وبين ما بلغ اليه الآن عندما اصبح الانسان يخترق الآفاق ويتغلب على الجاذبية الارضية لينفصل عنها . ثم يتغلب مرة اخرى فيخترقها ليعود الى الارض من جديد .

ان هذه المقارنة ستكون حينئذ سلبية لانها تفقد عنصر التوازن الزمني اما اذا جعلناها في سلسلة التقدم العلمي فسنرى أن الاعتزاز بها وبامثالها من المحاولات القيمة التي كان يبديها العرب في اعمالهم وتجاربهم سيكون له اثر كبير في تكوين شخصيتنا ورفع معنويتنا .

وقد بلغ الاهتمام بالعلم درجة قصوى جعلت بعض الخلفاء والملوك يقربون اليهم العلماء ويغدقون عليهم العطايا ويستاثرون بهم .

ومن احسن ما يروى في ذلك ما ذكره المؤرخون عن يوسف بن عبد المؤمن وعلاقته بابن طفيل وكذلك ما يذكرون عن المنصور الموحدي وما قام به ازاء الطبيب الشهير ابي بكر بن زهر الاندلسي الذي قربه اليه وجعله في مدينة مراكش من خاصته الاقربين .

ولم يكن الطبيب قد ارتحل الى مدينة مراكش باهله وذويه فكان يعز عليه ان يستمر على فراقهم دون أن يراهم من حين لآخر وقد هزه الشوق يوما الى ان يتذكر ابنا له صغيرا فقال :

ولي واحد مثل فرخ القطا
صغير تخلفت قلبي لديه
وافردت عنه فيا وحشتي
لذاك الشخيص وذاك الوجيه

1) نفح الطيب بتنقيح الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد الجزء الرابع صفحة 345 وانظر ايضا الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي الجزء الاول والثاني الطبعة الثانية صفحة 225 .

تشـــوقنـــــــي وتشــــوقتنـــــه
فبيكـــي علـــي وابكـــي عليـــه
وقـــد تعـــب الشـــوق مـــا بيننـــا
فمنـــه الـــي ومنـــي اليـــه

فلما سمع المنصور هذه الابيات التي تظهر لوعة الشاعر واحتدام شوقه وشدة وجده ارسل جماعة من المهندسين ليراقبوا منزل ابن زهر في اشبيلية وما يجاوره في حارته وطلب منهم أن يبنوا شبيها له في احدى ضواحي مراكش وان يضيفوا الى البناء ما يجعل الحارة شبيهة بالاصل وأن يزينوه ويفرشوه بمثل ما كان يزين به منزله في الاندلس ثم حمل اليه اهل ابن زهر وآنذاك اخرج الخليفة المنصور طبيبه من القصر وجعله امام البيت الجديد فاضطرب وكاد يغشى عليه . وكم اشتد عجبه لما ادخل اليه فوجد زوجته الملهفة وابنه المشتاق وفرشه العادية .

ان هذه العناية باهل العلم كانت تدفع الناس الى العمل الجدي من اجل البلوغ الى المراتب العلمية الجليلة التي ترفع من كيانهم وكيان الدولة التي اليها ينتمون .

ان هذه اللقطات التي ذكرناها من تاريخنا تضيء لنا جوانب قيمة منه قد تكون سبب الانطلاق التي تنبعه في ينابيعه ومظانه فنتصل به اتصالا وثيقا لا يكون معه انفصال .

ان الانفصال عن تاريخنا معناه اماتة الروح العربية الاسلامية ونحن لا نريد ان تتلاشى هذه الروح في امتنا لانها عنصر فعال في تحريرنا وفي تسطير الاهداف السليمة التي ستجعل لنا خطتنا في الحياة .

ومن المعلوم كما لاحظنا سابقا ان هذه الروح لا تاتي عن طريق التمني وانما تاتي عن طريق برنامج منظم هادف الى احيائها .

ومن اهم الاسس التي تنبني عليها في الاحياء اذاعة تاريخنا نزيها من الخرافات بعيدا عن التدليس والانحراف ولا نستطيع ان نتوصل الى ذلك الا اذا تولى تدريسه من يعينه ويشعر به ويعرف حقيقته ومغزاه ويؤمن بدور العرب في التاريخ وبوجودهم في الحاضر والمستقبل ويكون ذا وعي وطني شامل يربط به بين المصلحة الوطنية والمصلحة الانسانية .

فاس — **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

— عيـــش البطـــل —

كـــل عيـــش قـــد اراه قـــذرا
غيـر ركـز الرمـح في ظـل الفـرس

شريـك التغلبـي

❊

وفـي الليـن ضعـف ، والشراسـة هيبـة
ومن لـم يهـب يحمـل على مركـب وعـر

سعـد بـن ناشـب



- 2 -

لم يبق امامنا الا ان نتعرض لبعض نماذج القصة فى الفلسفة الاسلامية ، بعد ان اتينا بلمحة خاطفة عن نشأة هذه الفلسفة وبعض مذاهبها .

وطبيعي ان يكون اول ما نسوق من هذه النماذج للشيخ الرئيس ابن سينا ، وقد اشرنا سابقا الى أن هذا الفيلسوف تأثر بافلاطون فى الاعتماد على الامثلة المحسوسة والقصص ، وانه توسع فى ذلك قليلا ، ومن ذلك رسالته « **حي بن يقظان** » وفيها يرمز الى العقل الفعال بشيخ حكيم يلقي درسا فى قدرة العقل على ادراك القدر بالتفكير ، والعقل الفعال هو العقل العاشر فى سلسلة العقول المتدرجة ، وهو الذي يسيطر على عالم الارض ، وما دون فلك القمر ، وعن هذا العقل تصدر النفوس والاجسام فى العالم الانساني .

وفى « **رسالة الطير** » نراه يصور النفس الانسانية المشتبكة بشهوات العالم ، والمجاهدة للتخلص منها ، وهي على لسان طائر يحكي كيف وقع مع سرب من الطيور فى حبائل نصبتها جماعة من القناصين ، ثم محاولتها التخلص من تلك الاشراك ، وكم يثير انتباهنا ما تمتاز به القصة من اسلوب رشيق ، لا يعمد فيه ابن سينا الى السجع الا لماما وعفو الخاطر ، كما لا يلجأ الى اصطناع المحسنات البديعية على نحو ما اشتهر به الكتاب على عهده ، «واقبلنا نتبين الحيل فى سبيل التخلص زمانا حتى انسينا صورة امرنا واستأنسنا بالشرك ، واطمأننا الى الاقفاص ، فاطلعت ذات يوم من خلال الشبك فلحظت رفقة من الطير اخرجت رؤوسها واجنحتها عن الشرك ، وبرزت عن اقفاصها تطير وفى ارجلها بقايا الحبائل ، لا هي تؤدها فتعصمها النجاة ، ولا تبينها فتصفو لها الحياة » .

وبدون شك فان هذه القصة تذكرنا بقصيدته فى النفس ، وفيها يرمز الى هذه بالحمامة :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

والقصيدة نفسها ذات نفس قصصي ، ولا نعدم فيها عقدة

فلاي شيء اهبطت من شاهق
عال الى قعر الحضيض الاوضع ؟!

كما يثير اعجابنا هذه المهارة التي استخدم بها كثيرا من الالفاظ الشعرية التي روجها الشعراء القدامى كثيرا ، كرموز فلسفية ، فالنفس « ورقاء » وهو اللفظ الذي طالما جذب الشعراء فاطلقوا على الحمامة .

رب ورقاء هتوف فى الضحى
ذات شجو صدحت فى فنن

وهناك العهود ، والحمى ، والدمن ، والرحيل ، والسجع ، وكلها الفاظ شعرية طالما روجها الشعراء قديما .

وهناك قصة اخرى تنسب اليه ، وهي قصة « سلامان وابسال » وهما اخوان اصغرهما ابسال الذي رباه اخوه ، وكان الى جانب جماله متصفـا بصفات سامية هي العقل والشجاعة والادب والعفاف ، مما حمل زوجة اخيه على ان تهيم به حبا وتدبر الحيل للاتصال به ، فاشارت على زوجها بحمل اخيه على الاختلاط بأولاده حتى يستفيدوا من صفاته السامية ، واصدر اليه اخوه الاوامر بذلك ، فتقبله كارها ، وكانت فرصة سانحة اعلنت فيها الزوجة لابسال هيامها الشديد به ، وذلك ما حمله على ان يكف عن زيارتها ، واذ لم تنجح الحيلة ، فقد فكرت في تدبير حيلة اخرى وهي ان تقترح على زوجها « سلامان » أن يزوج اخاه ابسال من اختها ، وتم الزواج بعد ان اشترطت على اختها اشتراكها معها في عريسها ، ويتفطن العريس للحيلة ليلة الزفاف بفضل برق اومض تمكن بواسطته من ان يتعرف على وجه زوجة اخيه ، ويلوذ بالفرار ، ويقترح على اخيه ان يبعث به لفتح بعض البلدان فيأذن له في ذلك ، وقصده ان تتناساه وتسلوه ، الا انه ما كاد يعود حتى اعادت الكرة ، ولما يئست منه حملت طباخه وطاعمه على أن يدسا له السم فمات .

وقد حاول الطوسي ان يشرح رموز القصة ، فذكر ان سلامان هو النفس الناطقة ، بينما يرمز ابسال الى العقل المستفاد ، اما الزوجة فهي القوة البدنية الامارة بالسوء للشهوة والغضب الى غير ذلك .

اما الفيلسوف الاندلسي ابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ، فيذكرون من جملة كتبه ، رسالة « تدبير المتوحد » ويتفق الجميع على انها اجل كتبه واجدرها بالتحليل والدراسة ، غير اننا لا نعثر لهذه الرسالة على اثر للاسف الشديد ، وقد اشار اليها ابن رشد في بعض كتبه بما يلي : « لقد حاول ابو بكر ابن الصائغ ان يضع منهجا للتوحيد في هذه البلاد ، وسنجتهد ان نبين في موضع آخر الغاية التي قصد اليها المؤلف ، لانه الوحيد الذي عالج هذا الموضوع»

ويقول الدكتور محمد غلاب : « لم نعثر في كتب ابن رشد المتداولة على ما وعد به (1) » كما اننا لا نعرف شيئا عن محتوى هذه الرسالة الا بواسطة موسى الناربوني في احد كتبه بالعبرية ، حيث يقدم تحليلات هامة عنها وعن آراء ابن الصائغ في الطريقة التي يتوصل بها المتوحد الى الخير والحق ، وصلاحه لان يكون عنصرا اساسيا للدولة المثالية ، وقد نقل الاستاذ « مانك » في كتابه « امتزاج الفلسفة اليهودية والعربية » عن موسى الناربوني هذه التحليلات ، واعطى ملخصا لكل فصل من فصول الرسالة الثمانية .

ونحن لا ندري الطريقة التي سلكها في رسالته هذه ، هل هي نفس الطريقة التي سلكها في رسالة « اتصال العقل بالانسان » او اتصال الانسان بالعقل الفعال » كما سماها علي بن عبد العزيز ابن الامام احد تلامذة ابن باجة (2) ؟ ام هي الطريقة التي اتبعها فيما بعد ابن طفيل في « حي بن يقظان »؟ حيث مهد هذا لقصته بمقدمات تعرض فيها لآراء بعض الفلاسفة الذين سبقوه ، كابن سينا والغزالي ، وابن الصائغ نفسه ناقدا لبعض تلك الاراء ، الا انه بالنظر الى التلخيص الذي قام به موسى الناربوني لكل فصل من فصول الرسالة الثمانية ، يرجح انها نفس الطريقة المتبعة في رسالة « اتصال الانسان بالعقل الفعال » وهي الطريقة التحليلية المجردة ، وحينئذ لا يبقى مجال لاعتبار « رسالة المتوحد » ضمن القصص الفلسفي ، ويكون المبرر الوحيد لدينا للتعرض لابن باجة في هذه الدراسة التي تعنى بالقصص الفلسفي لا بالفلسفة ذاتها هو الشبه بين الموضوع الذي شغل ابن باجة وتدور حوله « رسالة تدبير المتوحد » وبين موضوع قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، وتعد كما هو معلوم لدى الجميع اروع مثال يمكن ان يقدم للرواية الفلسفية عند العرب » .

فحي بن يقظان عند ابن طفيل ، يختلف عنه عند ابن سينا بأنه كائن بشري تتبع ابن طفيل مراحل حياته منذ ان ولد في جزيرة نائية من جزر الهند دون اب ولا ام لتوفر تلك الجزيرة على جميع الشروط التي تساعد على الاخصاب الطبيعي للانسان ، او انه ولد في احدى الجزر المجاورة من اخت ملكها ، ثم وضعت المولود في صندوق محكم الاغلاق ، والقت به في البحر ، الى ان استقر بجزيرة خالية ، حيث اخرجته من الصندوق ظبية ضاع وليدها فأرضعته

1) الفلسفة الاسلامية في المغرب ص 29 .

2) تراجع هذه الرسالة في « تلخيص كتاب النفس لابي الوليد بن رشد » مع رسائل لاسحاق بن حنين ، والكندي تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ص 102 .

وسهرت على حياته الى ان كبر وبدا يفكر في حالتـــه ويقارنها بحالة الحيوانات التي يعاشرها ، ولما ماتت امه الظبية بدا يفكر في سبب موتها ، فشرع يشـــرح جسمها ، ثم تدرج في تفكيره من المحسوسات الـــى المعقولات وتوصل الى كثير من الحقائق والمكتشفات بمحض ملاحظته وتجربته الخاصة كالنار ، واستعمال بعض الالات .

واتصل به من الجزيرة الاخرى حكيم يدعـــى « ابسال » وبعد ما تعلم اللغة من هذا الحكيم بدا انهما معا انهما متفقان تمام الاتفاق ، على الرغم من انهما لم يعيشا نفس البيئة ، ولم يتلقيا تربية واحدة ، وعلى الرغم من ان « حيا » لم يستفد من اي كائن بشـــري لا في تنظيم حياته المادية ، ولا في تأملاته الفلسفية .

ولما علم « حي » من صديقه « ابسال » ما عليه سكان الجزيرة الاخرى من ضلال وتهافت على الاموال وانحطاط اخلاقي ، قرر الرحيل الى تلك الجزيـــرة عساه ينجح في تقويم اخلاق سكانها وارشادهم الـــى الطريق السوي ، لكنه عاد الى جزيرته الاولى بعـــد ان فشل في مهمته ، وادرك مغزى الرسالة ، ومـــا استعانت به من رموز لتقريب الحقيقة من اذهـــان الناس الذين ليســـوا كلهم على نسق واحد مـــن سمـــو التفكيـــر ونفاذ الذهـــن .

واذا كان المجـــال لا يسمح باعطاء تحليلات ضافية عن هذه الرواية الفلسفية الهامة (1) فـــان ذلك لا يمنعنـــا من الاشـــارة الى بعـــض مميـــزات الروايـــة من حيث سمـــات الفن القصصي .

تتوفر الروايـــة على بطل رئيسي هو حـــي ابن يقظان ، يعني الكاتب بمراحل تطوره الجثمانـــي والعقلي ، كما تتوفر على شخصيات ثانويـــة تتصـــل ببيئته الحيوانيـــة ان صح التعبير ، كمرضعه ومربيته الظبية ، وبعض الحيوانات والطيور فـــ « كان يحكي جميع ما يسمعه من اصوات الطير وانـــواع سائـــر الحيوان محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريده ؛ واكثر ما كانت محاكاته لاصوات الظباء في الاستصــــــراخ والاستئلاف والاستدفاع ، اذ للحيوانات في هـــذه الاحوال المختلفة اصوات مختلفة (2) » .

ثـــم هنـــاك شخصيات انسانية مثل « ابسال وسلامان » على ان شخصيـــة ابسـال او « آسـال » كما ورد في بعض النسخ تعد الشخصية الثانية بعـــد البطل الرئيســـي حي بن يقظان .

ثـــم ان الرواية تتوفر على عقد مختلفة كثيرا ما ياخذ بعضها برقاب بعض ، تحمل القـــارىء علـــى متابعة القراءة لمعرفة حلولها ؛ علـــى انه اذا كـــان المجـــال لا يتسع لاستقصائها فان ذلك لا يمنع مـــن الاشـارة الى اهمها ، فمن ذلـــك :

— موت مربيته الظبية ، وقد وضع امامه علامة استفهام عريضة ، وحملـــه على التفكيـــر في سبب موتهـــا .

— نتن جسـدها ، مما نفره منه « وود الا يراه » الى ان ارشده الى حل المشكل غراب قتل غرابا آخر، فحفر حفـــرة وواراه فيهـــا .

— بحثه عن شبيـــه له بيـــن الحيوانات .

— انقداح النار في « اجمة تلـــخ علـــى سبيـــل المحاكـــة » .

— امتنـــاع الرســـل عن المكاشفـــة .

— العالم الروحانـــي (اي ما دون الجسم) .

— لماذا ابيح اقتناء الاموال والتوسع في المآكل .

ويهتم بن طفيل بوصف البيئة التي كان يعيشها بطل روايته باسلوب رشيق جذاب مقدما احيانا بعض التفاصيل والتدقيقات ، ومهتما احيانا اخرى بالجزئيات بالقدر الذي يتمكن بواسطته من توضيح الهدف الذي يرمي اليه ، كما يهتم غاية الاهتمام بالعالم الداخلـــي للبطل ، وطبيعي الا ننتظر منه صوغ ذلك بنفس تقنية العصور المتاخرة للفن القصصي ، على طريقـــة « جويس » او «بروست » مثـــلا .

على ان الذي يثير الانتباه بصفة خاصة في هذه الرواية الهامة ، ما تتسم به في نهايتها من نقـــد اجتماعي يتصل بسكان الجزيرة الاخـــرى التي ذهب رفقة صديقه « ابســـال » ليرشد اهلها .

« كانوا لا يطلبون الحق من طريقه ، لا ياخذونه بجهة تحقيقه ، ولا يلتمسونه من بابـــه ، بل كانوا لا يريدون معرفته عن طريق اربابه » .

ويزيد في انتقاد معايب سكان الجزيرة على هذا النحو ، بصرف النظر عما قد يصف به الناقد الحديث

1) يراجع التحليل الذي كتبه الدكتوران جميل صليباوكامل عياد في النسخة التي حققاها كما يراجع تحليل الدكتور عبد الحليم محمود في النسخـــة التـــيحققهـــا .

2) حي بن يقظان تحقيق الدكتورين صليبا وعياد ص 88.

اسلوبا من هذا النوع بالخطابية او الوعظية، «وتصفح طبقات الناس بعد ذلك ، فرأى كل حزب بما لديهم فرحون ، قد اتخذوا الههم هو اهم ، ومعبودهم شهواتهم ، وتهالكوا في جميع حطام الدنيا والهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر ، لا تنجع فيهم الموعظة ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة ، ولا يزدادون بالجدل الا اصرارا ، واما الحكمة فلا سبيل لهم اليها ، ولا حظ لهم منها ، قد غمرتهم الجهالة ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (1) .

ويطول بنا المجال لو حاولنا التعرض لجميع القصص الفلسفية ، على اننا نكتفي بالاشارة الى بعضها مما لم نتمكن من الوقوف عنده قليلا :

كقصة محاكمة الانسان امام محكمة الجن لبطشه بالحيوان لاخوان الصفا ، و « رسالة الطير » للغزالي ، و « رسالة التربيع التدوير » للجاحظ ، ويمكن ان تسلك في القصص الاجتماعي ، وقد يذهب البعض الى القول بأن اعتبار هذه الرسالة قصة تمحل لا مبرر له » غير اني استند فيما ذهبت اليه الى اعتبارات من اهمها : انها ترتكز على تحليل شخصية من سماه احمد بن عبد الوهاب ، وهو شخصية خيالية بدون شك .

تبتدىء الرسالة بوصف هذه الشخصية بصيغة الغائب « كان احمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعي انه مفرط الطول ، وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته ، واستفاضة خاصرته مدورا ، وكان جعد الاطراف ، قصير الاصابع ، وهو في ذلك يدعي البساطة والرشاقة » ويتحدث عن اولياء نعمته كصالح بن علي ، وجعفر الخياط ، وصالح بن علي ، كما يتحدث عن نسبه ، والطائفة التي ينتسب اليها ، وهي الرافضة المشبهة ، ويصفه بانه « يعد اسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير ان يتعلق فيهم بسبب ، وليس في يده من جميع الاداب الا الانتحال لاسم الادب » (2) .

والجاحظ يقدم لنا وصفا مدققا لهذه الشخصية من الخارج ، كما يصور لنا صفاته الخلقية والفكرية، ثم يغرقه بسيل من الاسئلة في مختلف المعارف التي كانت سائدة على عهده ، على طريقته في الاستطراد، وحينما نقول الاستطراد يجب الا نغفل عما يقتضيه من علاقة لعلنا لا نخطىء اذا قرناها بما اصطلح عليه علماء النفس بتداعي المعاني ، ولطالما ردد القدامى هذه العبارة « الشيء بالشيء يذكر » .

والجاحظ في حالتي استعماله ضمير الغائب وضمير الخطاب ، يشرح امامنا شخصية ليست في الواقع الا رمزا لكل دعي مغرور ، رمز له باسم احمد بن عبد الوهاب .

واذا كنا نقبل من قصاصي العصر التلاعب بالضمائر ، فلماذا نستنكف عن قبول « رسالة التربيع والتدوير » كقصة لمجرد انه استعمل في جزء كبير منها كاف الخطاب كما هو المفروض في الرسائل ؟ في حين نتناسى ما تحفل به الرسالة من نقد اجتماعي وتصوير خارجي وداخلي ، مما يعز نظيره في كثير من القصص والروايات الشهيرة .

ثم هناك « رسالة الغفران » للمعري التي يعد قسمها الاول بحق رواية تتوفر على حوادث وشخصية رئيسية هي ابن القارح ، وشخصيات ثانوية ، وبدون شك فان المطلع على هذه الرواية يدرك ما تحفل به من نقد اجتماعي واخلاقي وادبي بصفة اكثر بروزا .

وفي النهاية ، نعيد الى الذاكرة عبارة « برتراندرسل التي افتتحنا بها مقال « المذاهب الفلسفية والادبية ، واثرها في الرواية الاروبية (3) » وهي ان الفيلسوف الاندلسي ابن رشد « كان اكثر اهمية في الفلسفة المسيحية منه في الفلسفة الاسلامية، فهو بالنسبة للاولى نهاية طريق مغلق ، بينما هو بالنسبة للاولى بداية الطريق » .

وان الامر لكذلك ، اذ هاهنا تتضخم تلك الفجوات التي اشرنا اليها في مقال سابق (4) وقلنا بانها تمثل الربع الخالي من ادبنا العربي ، وبدون شك فان التدهور الادبي والثقافي بصفة عامة، ساعد على اتساع تلك الفجوات طيلة عهود الانحطاط الى ان جاء عصر النهضة .

الربـاط : محمد الامري

1) نفس المصدر ص 189 — 190 .
2) رسائل الجاحظ طبع الساسي
3) دعوة الحق العدد 2 السنة التاسعة
4) مقال « في ميدان القصة » دعوة الحق العدد 8 السنة الثامنة .

التحكيم في الفقه والقانون

للأستاذ الحسن الحجوي

ما هو التحكيم ؟

غير خاف ان للاطراف المتنازعين الحق فى عرض نزاعاتهم على محكمين بدل اللجوء الى المحاكم المختصة فقد نص الفصل 527 من قانون المسطرة المدنية ان لكل الاشخاص ان يتفقوا على التحكيم فى الحقوق التي يملكون التصرف فيها الا ما استثناه المشرع ولم يجز فيه عرض المنازعات على المحكمين . فالتحكيم ليس بمؤسسة للتقاضي بالمعنى الصحيح وانما وسيلة خاصة عرفها الانسان منذ اقدم العصور واستعملها الناس لفض بعض النزاعات الناشئة بينهم . فكان من الضروري أن يتناولها فقهاء القانون بالدرس لارسائها على قواعد فقهية وحصرها فى نطاق معين حتى لا يطغى اثرها على السلطة القضائية التي هي من سلط الدولة .

ومن البديهي ان التحكيم كوسيلة من وسائل التقاضي يتوفر على عدة مزايا بالنسبة لسرعة القرارات المتخذة لفصل النزاعات ، والحد من مصاريف الدعوى ، وحل المشاكل ذات الصبغة التقنية ، لكنه كاد ان يصبح على جانب من الخطورة لولا ان القانون جعل منه مادة تخضع الى عدة شروط وقيده بقيود تكفل حقوق الاشخاص الذين يتفقون على استعماله . فقد نصت الفصول 527 الى 543 من قانون المسطرة المدنية على القواعد المتبعة للحد من استعمال حق التحكيم سواء بالنسبة لادعاءات الخصوم او لسلطة المحكمين وجعل هذا النوع من التقاضي يخضع لمسطرة خاصة تقي الخصوم من كل شطط وتجعل الاحكام التحكيمية تخضع لسلطة قضاء المحاكم . ومن تحليل فصول المسطرة المدنية المتعلقة بالتحكيم سنرى ان المشرع عالج بدقة عدة جوانب هامة لتقنين حق التحكيم والتحديد من استعماله .

فما هي النزاعات التي يمكن عرضها على المحكمين ؟ وكيف يبرم عقد التحكيم ؟ وما هو الفرق بين التحكيم الاختياري والتحكيم الاجباري ؟ وما هي الاجراءات المسطرية المتبعة امام المحكمين ؟ وهل هناك فرق بين الاحكام التحكيمية واحكام المحاكم ؟ وكيف يقع الطعن فى احكام المحكمين ؟ والى أي حد يخضع تنفيذ الاحكام التحكيمية لسلطة القضاء ؟ وكيف يميز بين مهمة المحكم ومهمة الخبير ؟ وما هو الفرق بين مقتضيات التحكيم ومقتضيات الصلح ؟

ونود قبل الدخول فى صميم الموضوع ان نلقي نظرة تاريخية على التحكيم لنعرف بسنده فى الشرع الاسلامي وتطوراته فى القانون الغربي ، ويتخلل البحث دراسة مقارنة للتحكيم فى الفقه وفى القانونين المغربي والتونسي .

التحكيم في الشرع الاسلامي

تداخل الصلح والتحكيم :

ان الشرع الاسلامي يخلط نوعا ما بين التحكيم (Arbitrage) وبين الصلح (Transaction) فهو يجعل الاول في خدمة الثاني ويحث عليهما معا في صالح المجتمع الاسلامي والعدالة البشرية . فقد ورد في القرآن الكريم « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » . وكما ندب الله سبحانه الزوجين الى الصلح بواسطة حكمين عند التنازع في حقوقهما ندب طائفتين مقتتلتين الى الصلح وأمر المسلمين بالتحكيم بينهما « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما » وقال تعالى : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس » وقال ايضا « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

روى الترمذي ان النبي (صلعم) قال : « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او احل حراما والمسلمون على شروطهم الا شرطا حلل حراما او حرم حلالا» . فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله ورضى الخصمين ويعتمد العلم والعدل فيكون المصلح او الحكم عالما بالوقائع عارفا بالواجب قاصدا للعدل ، فدرجة هذا افضل من درجة الصائم القائم كما قال عليه السلام « الا انبئكم بأفضل من درجة الصائم القائم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «اصلاح ذات البين ..» واصلح (ص) بين كعب ابن مالك وابن ابي حدرد في دين على هذا الاخير بان استوضع من دين كعب شطرا وأمر غريمه بقضاء الشطر الباقي . ونرى في عمل الرسول عليه السلام نوعا من التحكيم على اساس المصالحة اذ كان ما صولح عليه الخصمان امرا صادرا منه عليه السلام باستيضاع شطر من دين الدائن والحكم على المدين بقضاء الشطر الباقي .

وجوز صلى الله عليه وسلم في دم العمد ان يأخذ اولياء القتيل ما صولحوا عليه . وقال عطاء عن ابن عباس انه كان لا يرى باسا بالمخارجة يعني الصلح في الميراث ، وسميت المخارجة لان الوارث يعطى ما يصالح عليه ويخرج نفسه من الميراث .

وحتى في القانون المغربي يمكن لعقد التحكيم ان يخول للمحكمين سلطة في النزاع كوسطاء للصلح ، فيصبح المحكمون مفوضين مصالحين غير مقيدين بالفصل طبقا لقواعد القانون (المادة 536) وهذه ظاهرة لتداخل الصلح والتحكيم .

ونجد نفس الظاهرة في القانون المدني التونسي، فقد نصت المادة 264 من مجلة المرافعات المدنية والتجارية على انه يجب على المحكمين أن يتبعوا في احكامهم القواعد القانونية ما لم يتضمن صك التحكيم صراحة تفويض الامر اليهم فيصيرون بذلك محكمين مصالحين وهم معفون بصفتهم تلك من التقيد بالاجراءات والقواعد القانونية ولهم حينئذ اتباع قواعد العدل والانصاف .

فالقاء نظرة على الفقه الاسلامي تدلنا على أن مواد الصلح والتحكيم لا يختلف بعضها عن بعض فالحقوق التي لا يسمح بالتحكيم فيها هي نفس الحقوق التي لا يكون للصلح مدخل فيها . فكما أنه من المقرربان لا صلح يحرم حلالا او يحل حراما يجوز التأكيد بان لا تحكيم يحرم حلالا او يحل حراما، كنقل نسب او ولاء عن محل الى محل او اكل ربا او اسقاط واجب اوتعطيل حد وما اشبه ذلك . فالشرع الاسلامي وضع للصلح شروطا واحكاما لا مجال هنا لتفصيلها اذ المرجع فيها لكتب الفقه ، وبالجملة فالحقوق نوعان : حقوق الله وحقوق العباد . فحقوق الله لا مدخل للصلح ولا للتحكيم فيها كالحدود والزكوات والكفارات ونحوها . واما حقوق الافراد فهي التي تقبل الصلح والصلح فيها نوعان : نوع يجيزه الشرع مطلقا وهو ما كان اسقاطا او ابراء ، وصلح على عوض وهذا يجوز الا ان ادى الى حرام ، وحكمه حكم البيع سواء كان في عين او دين بشرط الاحتراز من الجهل والغرر والربا والوضع على التعجيل الخ... ولا نريد بهذا ان ندخل في تفاصيل احكام الصلح في الفقه الاسلامي فقد لا يسع المجال لذلك ، وانما اردنا ان نذكر بان الشرع الاسلامي وضع للصلح شروطا وقيودا جعلته يسير جنبا لجنب مع العدل والحق ومراقبة القضاء ، ومن ثم فالتحكيم مثل الصلح يمارس شرعا في نطاقات معينة ومجالات محدودة حتى لا يؤثر في الحقوق البائنة ولا يطغى اثره على سلطة القضاء.

وتلك المبادىء الفقهية نجدها بعينها في مقتضيات الفصول 527 الى 543 المتعلقة بالتحكيم فالمشرع المغربي الذي يسعى دائما في أن تكون قوانينه العصرية

مستمدة من روح الشريعة الاسلامية اخضع « قضاء» التحكيم لعدة شروط واجراءات لوقاية المتحاكمين من كل حيف او شطط كما استثنى من النزاعات التي يمكن عرضها على المحكمين عدة مواد لها صلة بالهبات والوصايا وبنظام العائلة والاحوال الشخصية او بالنظام العام ، وذهب القانون التونسي في هذا المضمار الى حد ابعد مما ذهب اليه القانون المغربي فقد نصت المادة 260 من المجلة صراحة ان من المواد التي لا يجوز فيها التحكيم : المسائل التي لا يجوز فيها الصلح ، ومن ثم فحكم التحكيم في القانون التونسي هو حكم الصلح مثل ما هو مقرر في الفقه الاسلامي فيتضح مما تقدم عرضه ان احكام الصلح والتحكيم تتداخل بعضها في بعض وتربط بينها علاقة فقهية متينة .

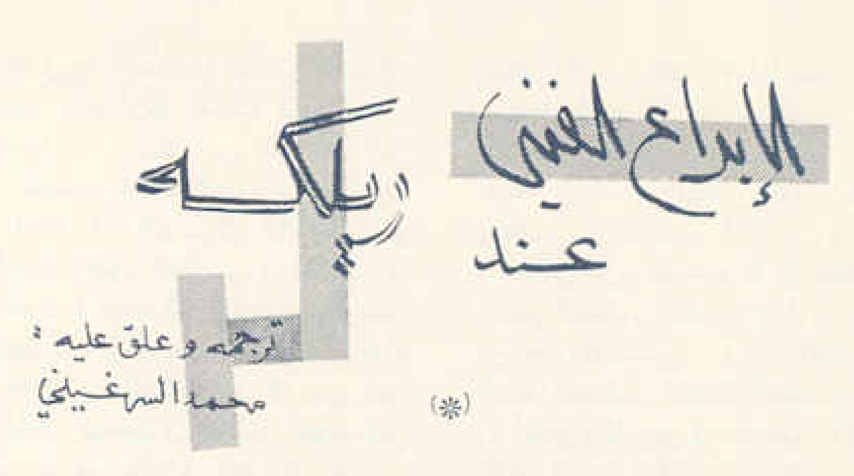
المعنى الشرعي والقانوني للتحكيم

واسند الشرع الاسلامي امر التحكيم والاصلاح بين المسلمين الى ذوي الراي المحمود فالحكم يستمد علم الواقعة من القرآن فان لم يجدها ففي السنة ، فان لم يجدها في السنة ففيما قضى به الخلفاء الراشدون فان لم يجده ففيما قاله واحد من الصحابة رضي الله عنهم فان لم يجده اجتهد رايه ، قال علي ابن الجعد : انبانا شعبة بن سيار عن الشعبي ، قال : اخذ عمر فرسا من رجل على سوم ، فحمل عليه فعطب ، فخاصمه الرجل ، فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا ؛ فقال الرجل : اني ارضى بشريح العراقي ، فقال شريح : « اخذته يا عمر صحيحا سليما فانت له ضامن حتى ترده صحيحا سليما . فاعجب عمر حكمه فبعثه قاضيا وقال له : ما استبان لك من كتاب الله فلا تسال عنه ، فان لم يستبن في كتاب الله فمن السنة ، فان لم تجده في السنة فاجتهد رايك » .

اما التحكيم بالمعنى العصري كما عالجه القانون المغربي فله سنده في الفقه الاسلامي ، فقد جاء في مذهب الامام مالك انه اذا حكم المتخاصمان رجلا لزمهما حكمه اذا حكم بما يجوز وذلك خلافا للامام الشافعي الذي لا يجيز اللزوم ، وفي مذهب ابي حنيفة يلزم حكم المحكمين اذا وافق حكم قاضي البلد . ويتضح من المذهبين المالكي والحنفي ان الحكم التحكيمي يلزم الخصوم الا ان هذا اللزوم مقيد بمطابقة الحكم التحكيمي للشرع وما جرى به العمل وبعبارة بموافقة القاضي . وهذا المبدا بالذات مبدا خضوع الحكم التحكيمي لسلطة القضاء ، هو الذي اخذ به به المشرع المغربي في الفصول 537 و 538 و543 من قانون المسطرة المدنية بمعنى ان حكم المحكمين لا يصير قابلا للتنفيذ الا بامر من رئيس المحكمة الاقليمية التي صدر في دائرة اختصاصها او رئيس محكمة الاستيناف اذا كان محل التحكيم النظر على وجه الاستئناف في حكم ، كما لا تنفذ احكام المحكمين ولو كانت تحضيرية الا بعد صدور امر في ذيل او في هامش اصل هذه الاحكام ياذن به رئيس المحكمة لكاتب الضبط بتسليم نسخة من هذه الاحكام بالصيغة التنفيذية ، وزيادة على ذلك فان المشرع اجاز للخصوم ان يطعنوا بالتعرض على الامر بالتنفيذ امام المحكمة التي اصدر رئيسها هذا الامر وان يطلبوا ابطال حكم المحكمين وذلك في الاحوال التي لا يجوز فيها للخصوم الطعن بالاستئناف او طلب اعادة النظر في الاحكام التحكيمية .

ونجد نفس القواعد في القانون التونسي طبقا لما نصت عليه المادتان 278 و 281 من مجلة المرافعات المدنية والتجارية فحكم المحكمين لا يصير نافذا الا باصدار الحاكم اذنه بذيل نسخة الحكم بعد الاطلاع عليه وعلى صك التحكيم والتثبت من عدم وجود ما يمنع من تنفيذه قانونا كما انه يمكن القيام بطلب ابطال حكم المحكمين الصادر نهائيا ولو اشترط الخصوم خلاف ذلك وقد عين القانون التونسي عدة احوال اجاز فيها طلب البطلان امام المحكمة التي صدر بدائرتها الحكم .

(يتبع) مكناس — **الحسن الحجوي**



(*)

اذا لم تكن نظرية الابداع الفني فكرة رئيسية عند «ريلكه (1)»، فهي على الاقل من العناصر الجوهرية في تفكيره الفلسفي . ومن اللائق ان لايغيب عن الاذهان ابدا ، ان الكاتب قبل ان يكون مفكرا يسلك سلوك رجل الخيال الذي هو الشاعر الحقيقي .

ان الابداع الفني يشكل لدى « ريلكه » نموذجا لتحقيق المطلق في هذه الدنيا . فالمرأة اذا كانت في الحب – وخاصة منه الحب الاموي – تصل من غير شعور منها الى المطلق (2) ، فان الفنان المبدع لكذلك . هذه هي الفكرة التي الح شاعرنا عليها . فقد بدا تأكده منها حوالي سنة 1894 عندما كان يوزع محاولاته الشعرية بالمجان على العمال والمرضى واهالي مدينة « براغ » . وازداد تأكده هذا ، في نهاية ديسمبر من سنة 1926 ، وهو على فراش الالام في مصحة « فالمونت Valmont قبل موته بأيام قلائل .

وبينما كانت فكرة الابداع عند « ريلكه » تستوعب اغلب تفكيره ، كان هناك اختلاف مهم في الطريقة التي عبر بها عن فكرته الاساسية فيها .

---

* ترجمت هذا الفصل من كتاب : « رينر ماريا ريلكه حياته وانتاجه وتفكيره » لادريان روبيني دوكليري Adrien Robinet de Clery وهو استاذ في جامعة جنيف .

1) Reiner Maria Rilke شاعر نمسوي ولد في براغ ، سنة 1875 . كان شاعر الفقر والموت والتشرد ، مطبوعا بالبحث عن الغامض والمبهم . سافر الى مصر واستلهم اهرامها وتغنى بكنوزها الفرعونية . وقبل ان يسافر اليها زار تونس والجزائر واحب الاسلام والعربية ، حتى انه انشا قصيدة كشف فيها عن اعجابه الشديد بالنبي ، فيقول فيها:

ولم ييأس ، بل ظل
يردد دائما : اقرا
فقرا حتى انحنى الملك
واصبح ممن يعرفون
كيف يقراون
ويستمعون ويتمون (الرسالة)

ومات (ريلكه) في مستشفى (فال مون) (Val-Mont) بسويسرة في 29 ديسمبر 1926 .
ولعل السبب في موته انه اراد يقطف وردة من حديقة قصر (ميزو) ليقدمها الى سيدة مصرية جميلة، هي نعمت علوي بك ، احبها ، واحب فيها سحر مصر الاسلامية والفرعونية ، فوخزته شوكة منها ، وكانت السبب في دخوله الى المستشفى وموته (المترجم)

2) الشعر المطلقي هو ذاك الذي يتعارض مع الطموح اللامقاس للرومانسية ، حين كانت تريد ان تلعب دور النبي ، ولهذا فلا يجب الخلط لا بينه وبين رمزية (ملارميه Mallarmé) ، ولا بينه وبين شعر الأب (بريمون هنري L'Abbé Henri Brémond) الخالص ، ولا بينه وبين فكرة الفن للفن عند البرناسيين الفرنسيين . ان الشعر المطلقي (الريلكي) شعر كله اصيل ، ويرتبط من بعض وجوهه فقط ، بتقاليد (شارل بودلير) ، و (بول فاليري) . (المؤلف).

وفي هذا المجال كاكثر غيره من المجالات ، فان علاقات شاعرنا « برودان » Rodin (3) كانت تشكل دائرة

فقبل مجيء شاعرنا الناشيء الى باريس فى اوائل القرن العشرين ، كان على وعي تام برسالته الفنيـة ، كما سنبين فيما بعد ، انه كـان يضم الى هذه الرسالة كل السلوك الداخلـي لحياته ، سلوكه ككاتب ناشيء لازال يبحث عن طريقه ، ثم سلوكه كأب وزوج ، حيث تنكر للرغبات الشخصية لفائدة موهبته الشعرية .

فبالنسبة الى شاعـرنا فى ديوانيـن من مثـل: « الفجـر الشعـري » و « كتاب الصور » ، لابد مـن النفاذ الى عمق الاشياء ، وتذوقها ، والتوصل الى نفس جوهرها ، بل الى روحها ، اذ قصد بالروح تعريتها من كل محتوى ماورائي يمكن ان تشتمل عليه . فبعيـــدا من الضوضاء والصخب اللامجدي ، يتحول الجـــو نفـسه الى اشياء عند استعمالنا للمصطلحات الاكثـــر بساطة ، هذا هو الواجب الاول الذي على الشاعـــر الحق ان يؤديه ، ولهذا قال « ريلكـه » :

ان الكلمات الفقيرة ، تندغم فى حياة كل الايام
تلك الكلمات التي لا اشعاع فيها ، والتي احبها كثيرا
فقلبي الذي يغمره فرح العيد ، يمنحها اللون
فتبتسم ويعـود اليها الجذل ببطء
انها لاتوجد ابدا فى الاناشيـد
ولكنها فى اشعـاري تتقدم مرتعشة .

وكما تتوجه العذراء الشابة فى صلاتها الى مريم، فالشاعر يجب أن يعيش شبابه المزهر ، فهو يشعر بانه فى عالمه بين اليوم والحلم . ان ترك ايـة فكرة مؤقتة ، ورفض « معرفة الحياة » حسب قاعـــدة ، واعطـاء النفس روح طفـل ، والاستسلام دون احتيـاط الـى الشعور بالغربة ، معناه خلق شروط افضل للابـــداع الشعـري ، ولاجـل التوضيـح ، نضيف الى قـول « ريلكـــه » :

ينبغي الا يكون عند الشاعـر وطـن فى الزمـن، وفى الوحـدة ، وفي السكينـة ، وفي المبهم ، ينبغـي الاقتراب بتواضع من الواقع الاقل انتصارا ، والاكثر تجردا من السـحر . اذ من المهم التعرف على النفـس فى الاشياء ، وجعلها رهن اشارتها ، حتى يصبح وجودها معاشا ، وينبغي على الاخص ، ان يتجنب الشاعـــر فرض نفسـهعليها من الخارج ، بهذا وحده ، يستطيـع ان يجعل الصمت يتحدث . ومن اللائق قبل كل شيء، ان يفتح روحه لادنى نفس . فهذا ما يجعـل الفنـان المبدع يحول الحياة الى عيد للعقل ، حيث تتمــدد الـروح :

كثـوب زينـــة
فـوق اشيـاء تتأمـل

هذه الاشياء التي تشير اليهـا تلعب دورا اوليا فى الجمالية « الريلكيـة » انها ذات حساسية لامتنهية للفــاد الاكثر خفة ؛ اذ هي قبل كـل شيء ، تحتفظ بمظهر بخاري . فاقل هرج من الخارج ، واصغر اشاعة تروج حولها تكفـي لهدمها والقضاء على جوهرهـا . فالتعبير عن الاشياء شرف خطير . ان كلمات اللغات الانســانية تقتبل هذه الاشياء اقتبالا سيئا . اما اسمنا فليـس هو ذاك الذي يعطي الجاه لها

ومـن اللائـق ايضا التجنب النهائـي للكلمات التجريدية وللاصطلاحات التي لها خاصية عتيقة جـدا، او معروفة جدا . كما انه ينبغـي ترك الاشياء تغنـي بنفسها ؛ حيث نتلذذها ونتعرف فيها على انفسنـا . وبغير هذا ، نخاطر بأن نفسد كل شيء .

من اجل هذا كانت صعوبات كبيـرة تعتـرض الابداع الفني . يجب ان تكون ملتقى لكل الاشياء ، فلا نترك ايا منها يتسرب او يضيع منـا . ومـن المهم ان نذكر حقيقة أن الكلمات ليست غيـر اسوار صمـاء ، خلفها تنهض جبال كلها اشعاع ، وذات زرقة دائمـة، بفعل المعنى الواقعي للاشياء . وبهذا الثمن ، وبـه وحده ، يتوصل الفنان المبدع حين يتغلف بالضعف ، الى ان يكون خادما مخلصا للاشيـاء . الى تحقيـــق المصطلح الذي وضعه « ريلكة » « تعمق فى الداخـل نفسـه للاشياء لتكون فى خدمتها . »

(3 Auguste Rodin نحات فرنسـي ، ولد بباريس سنة 1840 ، ومات بها سنة 1917 . وهو واقعي ذو قوة على النفاذ الى عمق منحوتاته . ومن اعمالـه الشهيرة : تمثال الشهيد (اوسطاس (Eustache فى كنيسـة القديس (سان بيير) ، ثم المجموعـــة الشهيـرة المسمـاة : (بورجوازيـو كاليـه Bourgeois de Calais) من البرونز ، ثـم القبلـة ، ثـم المفكر ، ثم باب جهنم ، وتمثال (بلزاك) . ويقال ان جبران خليلا جبران تلمذ له فى باريس فى مدرســة الفنون الجميلة بحي (بونابارت) . ويبدو ان هذا من الدعاوي الجبرانية الكاذبة . (المترجم)

وفي هذه القواعد للابداع الفني، بعض اشياء اكثر ترددا مما اكتشفه « رودان » Rodin ذلك الذي كان قد وضع اكتشافه بعنف في يوم جديد. وبعد ذلك، اكتشف « ريلكه » في « رودان » الاستاذ، حين اتاه سائلا مستفهما، قاعدة الحياة، وليس فقط قواعد جمالية.

(كتب « ريلكه » الى « رودان » في سبتمبر من سنة 1902 : انني لم آتك لاقوم بدراسة، ولكن لاسالك عن الكيفية التي يجب ان اعيش عليها. وحين اجبتني : بانها العمل، فهمت جيدا، وشعرت بان العمل حياة لا موت وراءها. فانا كلي اعتراف وجدل، اذ منذ شبابي لم اكن اريد غير هذا العمل.)

وبعد اسبوعين من العلاقات الشخصية بينهما، اقترح « رودان » على « ريلكه » : ان قانون العمل في هذا العالم، هو قاعدته الجوهرية، كما هو الحال عليه في مجالات اخرى من حياة الانسان.

ان الابداع الفني مستحيل التحقق بدون عمل يومي متحمس. « فالعبقرية ليست غير صبر طويل »، كما عبر عن ذلك « بيفون » (4) Buffon في القرن الثامن عشر. وحين اتى هذا النحات الكبير الذي استحق اعجاب « ريلكة » العميق، اكد هذه القاعدة. ففي العصور الوسطى، رجع الفضل في تشييد الكنائس الى قوة عمل المعماريين، حيث حصلوا على شرف انجاز الاشياء العظيمة. فكان ان انطبعت كل الاعمال الشعرية لشاعرنا بهذه النصيحة.

وفي هذا المجال، يمثل ديوان « كتاب الصور » مرحلة وسطى. فلقد اعطى شاعرنا للنحات الفرنسي: مثالا مؤلفا ومطبوعا بعناية. وبما ان هذا النحات كان يجهل اللغة الالمانية، فلم يمكنه الاعجاب بغير مظهره الخارجي، فانه حين نفض يديه منه، كان متيقنا ان شاعرنا قد تعمق نصائحه، وجرى على التاثر بمثاله.

ان الابداع بالنسبة الى الفنان يعني محاولة التعمق الى نواة الابدية، حيث ان الوجود يتاكد للبعض تحت ظواهر محسوسة. وعلى العموم، هو مسك شرارة الحياة. اننا لن نخطيء ابدا حين نصف الاعراض الزائلة للشيء، وحين نضم مجموعة من الخطوط الواقعية، مرتبين الانطباعات والاحساسات التي تثيرها الاشياء فينا، فسيكون من الجائز ان نتوصل اليها فيها. الفنان ابن، وهذا يعني انه حصيلة Résultante (قوة تفاعلية تقوم مقام قوات تفاعلية مختلفة). ولكن الابن يجب ان يكون اعلى من الاب. اننا نرى في هذا الشعر الرمزي Der Sohn لشاعرنا، « امـا تمشي لابسة ثيابا بيضاء عبر المراعي المخضرة، وهي على ما يبدو تنتظر ساعة الغروب » وكان الابن متهيئا للرد على ندائها، ولكن هذه الام لم تكن قد نادته. وشيئا فشيئا، اخذت تنام. ولقد تحدث الابن الذي كان راسه متوجا طيلة ليال كاملة مع ابيه عن رسالة غامضة وصلت اليه، واستطاع ان يخبره عن مصدر هذه الرسالة، وعن قيمة الاشياء في البلد الذي يقطنه، وحكى له ما اذا كانت المدينة المائلة هناك مبنية من الحجارة، او اذا كان يجب عليه انتظاره في خيمة.

فاذا اصررنا على هذه الصورة الشعرية التي استعملها الشاعر نفسه، فان الابداع الفني يهدف الى اعادة احياء الاشكال التي لا شك في انها لم توجد ابدا. وينتهي الى الجمع في اللاواقع بين اوجه زخرفية لا تنتسب ابدا الى الزمن، لخلق طريقة للعلاقات بين الاشياء التي لها علاقة ثابتة. ان شعر (Der Sohn) هو مفتاح هذا. فالاصوات لاتجعل النبرة خالصة الا في وسط الصمت.

والواقع اليومي يبدو مؤلما وعبيا
نعم؛ ولكنه وراء كل غروره
لا يحتوي على بعض الجوهر الخالد.

لقد عاش « ريلكه » نفس التجربة الحية بصفة متتابعة، فهو قد قال في مسرحية اسماها « التقدم »:

(ان الاشياء عادت الى اكثر ارتباطا. فحين اجتاز قمم السلاسل انهض في مثل غزارة السماوات التي تجتازها الريح، واشعر انني اكثر قربا من اللامعبر عنه.)

4) Georges Luis le Clerc, Comte de Buffon عالم طبيعي وكاتب فرنسي، ولد في (Montbard) سنة 1707. ومات سنة 1788. وهو مؤلف التاريخ الطبيعي المنشور من سنة 1749 الى سنة 1789 كان صاحب نظر واسع وخصب. ولقد وضع رهن اشارة الجماهير كل المعلومات العلمية لعصره، وارتقى الى درجة انه وضع نظرية عن تشكيل وتطور العالم. وكان في الوقت نفسه كاتبا مهتما بالتعبير عن افكاره بوضوح ونبل. (المترجم)

ان الشاعر حين يبقى جد متعلق بالاشياء المادية وبظاهرها ، فانه لكي يكون حقيقيا ، عليه ان يصل خارج هذا الظاهر الى لمس العناصر الدائمة لواقع لا يشبه بكثرة الواقع الذي تعكسه حواسنا وتصوراتنا . اذ في هذا وحده ، يكمن نمو الابداع الفني . ولكن ابداعا كهذا ليس نتيجة اتفاقية لرؤية ثابتة بالصدفة . هكذا استطاع (رودان) ان يقنع محاوره بأن الابداع الفني ليس الا العمل بصبر وتؤدة .

وامام ضرورة العمل المستمر ، تلك الضرورة البينة . فان الفنون التشكيلية وكذلك الشعر ، مهددة بان تحرف المعطيات الجمالية (الريلكية) تحريفا خطيرا بسبب من فقدان شجاعة اصيلة ، لانها عابرة .

وبكثرة الانتظار وتوقع الوحي الذي لن يأتي ، فان الموهبة الادبية الاكثر ثراء يمكن ان يلحقها الذبول . ان الابداع الفني الناجح ، ينبغي ان يكون عيدا حقيقيا . ولكن « اللحظة الخلاقة » كما عبر عنها الشاعر نفسه ، لا يجب ان تنتظر في كسل وبطالة تأملية خالصة . والواقع ان هذه اللحظة ، تتعرض لخطر واحد ، هو ان لا تدق ابدا . فيجب للحصول عليها ان توضع لها شروط مناسبة . ومن اللائق في هذا المجال ، ان نسرد الجزء الاخير من الرسالة التي وجهها (ريلكه) الى (رودان) بتاريخ 11 سبتمبر 1902 ، تلك التي رأينا من اللازم الرجوع اليها .

« ان عملي ، لانني احببته ، صار بعد سنين شيئا مقدسا ، بل عيدا مرتبطا بالهامات نادرة . فهناك اسابيع لا افعل فيها شيئا غير الانتظار ، انتظار اللحظة الخلاقة ، وكلي احزان لانهائية . ولقد كانت هذه حياة مليئة بالحفر . لقد تجنبت بكثير من القلق ، جميع الوسائل الاصطناعية لنداء الالهام . فابتدأت بالامتناع عن شرب الخمر ، الشيء الذي كنت افعله منذ عدة سنوات . وقربت حياتي من الطبيعة نفسها . ولكن في كل ما كان عقليا ، لم اكن بدون شك ، اتوفر على شجاعة تجعلني ادفع الالهام الى مداه البعيد حين اعمل . والان وبعد ان عرفت وسيلة الحفاظ عليه ، اعتبر ان ما اعطيتني كان اكبر ميلاد لحياتي ولأملي . »

ينبغي ان يضحى بكل شيء في سبيل العمل اليومي الذي يسمح وحده للشاعر بان يعبر عن اللا معبر عنه ، هنا تكمن عناصر الفن الشعري ، وهنا تنتصر العوامل اللا عقلانية ، رغم ان العمل حسب اعتقاد الشاعر ، يكاد دائما ان ينطلق من الواقع كما يتمثل .

وبالتأكيد ، فهذا لا يفسر بتأثير (رودان) بل انه ليفسر على الخصوص اذا حللت اعمال هذا الاخير الذي استطاع (ريلكه) المرتبط به كما كان مريدو (ميسي Messie) (5) يفعلون معه ، ان يندفع لتعريف الفن على العموم . ان هذا النحات قال في أول دراسة خص بها الشاعر : « انه كان في مدرسة (دانتي) (Dante ومدرسة (بودلير Beaudelaire) . فلقد وجد عند هذا الاخير مجموعة من الكلمات ذابت في يديه الساخنتين ، وخطوطا لمس وجهها ، وقصائد بدت كما لو كانت اعمدة ذات تاج مرتبك ، وثقل فكرة قلقة » .

ولقد قال (ريلكه) في محاضرة عن (رودان) القاها سنة 1907 : ان العمل الفني المنتهي في اللحظة ، عند الانسان البدائي ، « يدخل الى عالم الاشياء ، ويحصل على طمأنينتها وكرامتها الهادئة ، ولا ينظر ابدا الا مشابها لمن ينظر بقلق فهمي خارج ديمومتها . وهذه الاشياء تعني اننا نبدع بالعناصر الانسانية والحيوانية او عناصر اخرى تقع عليها حواسنا ، « اننا لا نعرف ان ما لا يموت معنا ، ما يستمر ، اكثر قربا مما هو فوقنا ، وانه شيء » .

ان الشيء لا يمكن ان يتحول الى حياة « بفضل الافكار الكبيرة ، ولكنه يستطيع ذلك ، لو جعلنا منه حرفة ، وشيئا يوميا يستمر امامكم الى النهاية » . هذا ما قاله (ريلكه) في نفس المحاضرة السابقة الذكر . ونحن نعتقد انه من الضروري استقلال هذه النصوص المختلقة ، لانها تبدو لنا مشتملة على الجوهري من الافكار (الريلكية) حول الابداع الفني .

ما ذا يميز الفنان الحقيقي ؟ انه ليس تقنية التركيب ، ولا المواد المستعملة لجمع الشخوص والاسباب ، بالنسبة الى النحات . ان كل هذا ، يبقى من التوابع ، انه موهبة لمس الحياة التي تبقى ابدا عنصرا رئيسيا . ففي اليوم الذي اعترف فيه (رودان)

5) Messie . كلمة في الفرنسية من اصل عبري ، وتعني مخلص ومحرر اسرائيل الذي سيقوم في آخر الزمن ، وهذا شبيه بما عند المسيحية من ان المسيح سيقوم في آخر الزمن ويخلص العالم من الشرور وهذا نفس ما تعتقده بعض فرق الشيعة من بعث للامام الذي سيعيد العدالة والخلافة الى اهلها . ولعل المؤلف يعني به موسى مع حوارييه . (المترجم) .

بهذا ، بفضل حدسه ، صار اكثر عظمة من مصممي الكنائس . وكما قال (اوجين كاريير (6)) (Eugène Carrière) في القرن العشرين : « ان (رودان) لم يستطع الاسهام في الكنيسة القائبة » . بينما نجح في ان يتابع ويلمس الحياة .

ان هذا النحات عرف كيف يأخذها من كل النواحي التي تتمثل فيها ، لقد رصدها ، وانتظرها ، بل لقد طاردها حين كان ذلك ضروريا . ان الحياة التي كان يميل اليها لم تكن هي تلك المرسومة على الاوجه ، كما لو كانت مرسومة على رخام الساعة . وفي فراغ جسم الرجل والمراة العصرية ، حيث لا يبدو اي جزء منه قابلا للاهمال ، فان (رودان) الفنان المبدع ، توصل الى لمس الحياة في وجهها الغير المقنع . لتتقدم الحياة بلا مبالاة او بخطى واثقة ، «وراء كواليس الثياب » فانها تخلع القناع .

ويندفع (ريلكه) بدوره في مطاردة الوجود ، في ديوانه : (اشعار جديدة) . فبجانب القانون المقدس ، الذي هو حصيلة جوهرية ناتجة عن علاقته بالفن التشكيلي الفرنسي ، فمن العسير تدقيق القياس الذي بموجبه يكون الرسام (سيزان (7) Paul Cezanne قد اتى ليتم تأثير (رودان) ، ولان يجعل من الشاعر كما قيل ، « شاعر الاشياء » او « مبشرا بالواقع » .

وحوالي سنة 1910 اخذت الجمالية (الريلكية) صيغتها النهائية . وبما انها جزء من اساس لا عقلاني ، فكان يجب ان تقطع مسافة طويلة لكي تلتقي في بعض المجالات مع فكرة (بول فاليري (Paul Valéry ويجب التذكير بأنه ابتداء من ديوانه : كتاب الصور ، ، كان (الريلكه) Duino الى ديوانه : مرثية دوينو على الرغم من بعض المظاهر ، طريقة واحدة بنفسها ، لملاحظة الابداع الفني .

ان العمل يمنحنا السعادة ، ولكن بقدر ما يحب الفنان عمله، فانه يحكم عليه ويقدره . الا انه لا يجب عليه ان يتصرف هكذا ، فعليه ان يعيش عمله ، ولا يليق به ان يتحمس للاشياء التي كلف بها ، بل عليه ان يعمل بشكل يجعله خادما لها بحيث يندمج فيها بشكل من الاشكال قبل ان يعبر عنها ويقولها .

غن للملاك امداح العالم . . . غن له الاشياء

ان المراة في الحب الاموسي ، تستطيع ان تحقق المطلق : وما الفنان الا متصرفا كذلك ، بفضل قوته الخلاقة ، هذا هو المعنى الحقيقي للجزء السابع من « مرثية دوينو » وخاصة الجزء الشعري منها :

ان تكون في الارض ، فذلك روعة وسحر

هكذا يكون دور الفنان هو اعطاء الحياة للدمن الجامدة ، وخلق عالم لا يوجد الا في نفسه . ان الانسان ليختتم « عمل المرئي » بدون انقطاع ، ليجمعها في « الخلية الكبيرة المذهبة للامرئي » . ان (ريلكه) يشعرنا في هذا الحديث الرمزي ، بعد ان عرض لنا الانسان الذي يؤلمه محيطه، ويختنق بالطبيعة ، وتطرحه الملائكة ارضا ، ولا تفهمه الحيوانات نفسها . يشعرنا بانتصارنا عند ما تتملك هذا الاكتشاف الذي يمنحنا الابداع الفني سمة الدخول اليه . بينما لا بد من المرور بتجربة الموت ، من اجل ان تكون قادرين على البدء بغناء نشيد انتصار كل من يحيا .

وسيبقى بعد ذلك ، سلم لا بد من صعوده ، انه التحول الذي يغذي في الانسان القوة على المرور في المجال الفائق الوصف .

ترجمة وتعليق : محمد السرغيني

---

6) Eugène Carrière رسام ونقاش فرنسي ولد في Gournay سنة 1849 . ومات سنة 1906 ولقد كان فنه الشخصي يتعد فضاء معتما في لوحاته . (المترجم)

7) Paul Cézanne رسام فرنسي ولد في (ايكس ان بروفانس) سنة 1839 . ومات سنة 1906 . كان يرسم كزملائه الانطباعيين في الهواء الطلق ، ولكنه جهد في ان يرسم حسب تعبيره الخاص : « افراخا في الطبيعة » ليعلم على الخصوص بأن ردود الفعل النفسية تعدل من الرؤية . ولقد كان معتبرا من اكابر الذين مهدوا لكل الحركات المعاصرة في الفن . ولقد نعى عليه الرسام الاسباني المعاصر : (سالفادور دالي) الذي يتزعم وحده الاتجاه السوريالي في الرسم : « جهله المطبق بالرسم ، ذلك انه كان عاجزا عن ان يرسم صورة لامه المتوفاة ، حيث رغب الى احد المغمورين من الرسامين بوضع هذه الصورة .

لغة الشعر بين المنتج والمتلقي

للأستاذ عبد العلي الوزاني

- 2 -

واذن يتنازع الشاعر والقارىء او السامع ثوب الشعر، ويوسعان منه ويضيقان، حسب اختلافهما في الطبائع والاستعدادات الفنية والثوب بمرونته كقطعة مطاط، ينقبض وينبسط، ويطوى وينشر، ويزيد وينقص، وياخذ فنونا من الاشكال، ويسع القامات الفكرية والشعورية على تفاوت احجامها. وليس من سبيل الى استغلال ما للشعر من قدرة على الايحاء والاثراء النفسي الا عن طريق هذا التنازع الخصب، الذي يضاعف من دلالات الالفاظ، ويجعل من العمل الشعري ميدانا حيويا لتالق المواهب والملكات، فهو يجذبها ويتحداها ويراوغها، ويستثير ما كمن فيها من اسرار الفن والجمال، فتقبل عليه من هنا وهناك فاحصة مستعدة للاخذ والعطاء، حتى ليستحيل العمل الشعري كوجه الحسناء، تراه من ناحية فيشوقك بلون رائع من شيات الحسن، ثم تراه من ناحية اخرى فيطالعك بلون آخر لا يقل عن سابقه رواء وفتنة. اتكون لقصيدة الشاعر نسخ مختلفة باختلاف متلقيها من هواة الفن ؟ اتكون لغة الشعر تتلون بحسب النفوس التي تتلقاها، كما يتلون ضوء الشمس بتلون ما ينعكس عليه من اشياء هذا الكون ؟ ايعتبر هذا هيمنة للشاعر على الناس، اذ يدفع اليهم بكلماته، ليعيشوا عليها فنونا من العيش ؟ ام يعتبر تطاولا على الشاعر المبدع، وانتزاعا لبعض حقوقه، وسطوا عنويا على لغته التي غداها بدمه، وادارها على خواطر ومعان ادى ضريبتها من ذات نفسه ؟ انها لعجيبة هذه الحرية التي ترتع فيها الاعمال الشعرية، فيما تتخذه من اشكال، وما تشقه من دروب في مجاهل النفس الانسانية، حتى لنقف ازاءها حائرين، لا ندري هل نحن اصحاب القضية او نحن المتهمون، هل نحن طرف فيها له كامل الحق في ان يقول ما في نفسه، او نحن خارج نطاقها نسجل ونرتب، وليس لنا حق التدخل.

والقضية القائمة بين الشاعر وقرائه، قضية قائمة ابدا، لا نعرف حلها النهائي، يموت الشاعر وتتعاقب الاجيال من بعده، تتجدد القضية اثناءها جيلا بعد جيل، كل جيل يبعثها من جديد، ليقول فيها كلمته، ويؤتى بالشاعر حينا بعد حين الى محكمة التاريخ الادبي، ليخرج منها اما متوجا بتاج التبجيل والتقديس، واما محملا باللعنة والويل، او بشيء بين هذا وذاك. يا لها من محنة هذه التي تجرها على الشاعر كلمات جميلة تنفس بها في لحظات خاطفة، ولكنها اوقفته في محكمة التاريخ دهرا كاملا والى ابد الآبدين !! وهي قضية كلما تقادم عليها العهد كلما عز شهودها واعوز قضاتها كثير من الوثائق والمستندات، فتذهب بهم الظنون بعيدا في متاهات الفكر والخيال !! وويل للشاعر اذا تقرر مصيره بين الاعيب الخيال ومذاهب الظنون !! فحظ الشاعر هنا هو حظ شخص يفصل في قضيته بعد ان ذهبت به عوادي الايام..

ومحور القضية التي بين الشاعر وبين المتلقي عنه، هو ان صاحب الفن ينظر اليه دائما على انه

متهم . فلغة الشعر ان هي الا ضروب من الوعود والمزاعم ، تخترق المألوف ، وتخرج عما تعارف عليه الناس ، وتدعي للشاعر مكانة عالية يشرف منها على ماجريات الحياة ، فيراها من افق واسع ، وتصدم زبناء الفن الشعري اذ تطلعهم على بشاعة نقائصهم عند مقارنتها بما ينصبه الشاعر امام اعينهم من صور مثالية جميلة التكوين رائعة التنسيق . انها لدعوى عريضة هذه التي يعلنها الشاعر العربي اذ يقول :

وكنت مجهولة حتى اتيت انا
ارمي على صدرك الافلاك والشهبا

وحتى عندما نجد الشاعر لا يتطاول هذا التطاول المكشوف ، لا يخلو شعره من امارات الزهو والتيه والادعاء ، فمجرد كلفه بالصور الشعرية ، واخذه لغته بفنون من التوشية ، وابتعاده بالفاظه عن مألوف المعاني ، متضمن لمعنى الزعم والادعاء ، واي زعم اروع من قول الشاعر :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

او قول الآخر :

ربيب ملك كان الله انشاه
مسكا وقدر انشاء الورى طينا

فالقضية كامنة في لغة الشعر نفسها ، لكونها تهب الالفاظ ابعادا خاصة ، وتجعل من الظنون والاوهام الممتنعة بالنسبة الى الواقع ، امرا ممكنا بالنسبة الى الواقع النفسي ، وتفرق بين الاشياء التي طالما تعانقت في اذهان الناس ، وتؤلف بين الاشياء التي تباعدت عندهم ، وتمد اليهم يدا سحرية لترفعهم من عالمهم المشوش المضطرب ، الى عالم آخر يهزا باعرافهم واساليب حياتهم ، وتريهم من الاشياء صورا خلفية تتهمهم في سلامة نظراتهم المادية الى ما يحيط بهم . وهذا فيه تجاوز لمنطق العقل ، ومخالفة لمسلمات الناس التي رسخت في عقولهم ونفوسهم بحكم مقاييسهم وبحكم الالف والعادة . كيف لا ايزعم الشاعر ان صاحبته ممتازة حتى لكان الله انشاها من مادة المسك ، على حين انشا بقية الناس من طين ؟ فما خطر ببالنا ابدا ان هذا ممكن . والشاعر لا يملك دليلا واحدا يستطيع اقناعنا به حتى نومن بدعواه ، وليس هو بالشخص الذي يطالب بالدليل ، وكل ما له من حجة هو هذا الصدى الحلو اللذيذ، الذي تردد بين جنبات نفسه الشاعرة ، عندما اخذته صاحبته بروعتها الطاغية . ونحن كقراء للشعر ، قد لا نكون مستعدين لتصديقه فيما زعمه وما احسه ، الا اذا استطاع ان يستولي علينا كما استولت عليه صاحبته، فهي لا تملك اية قوة تفرض بها نفسها عليه ، الا قوة جمالها وروعتها وقدرتها على اللعب بالعقول والالباب. وفعلا لقد استطاع ابن زيدون ان يفتننا عن منطقنا ومقاييسنا المحددة الجامدة ، كما استطاعت صاحبته ان تفتنه عن صوابه ، فقلنا آمنا وصدقنا وامرنا الى الله .. وقضيتنا مع الشاعر لم تقف عند هذا الحد ، وجميع القضايا التي بين الشعراء وقرائهم لا تقف عند حد ، وانما تظل دائما معلقة ، تثار من حين لآخر ، واقل القراء شأنا وخطرا قد يثيرها ليضيف اليها عنصرا جديدا ، سواء بينه وبين نفسه ، او بينه وبين شركائه في القراءة والدرس . قضيتنا مع الشاعر تعود ونعود اليها مرات ومرات ، كلما اقبلنا على نصه الشعري نقراه في احدى حالاتنا النفسية والفكرية المختلفة . ودائما نستنطق النص ، وننتظر منه ان يجيبنا ، ويرد الينا شيئا من الاطمئنان الى اننا لم نكن مخدوعين به ، عندما استرحنا اليه في مرة او مرات سابقة . وكم نود ان يكبر النص معنا كلما كبرنا ، وان يتسع في جوانبه كلما اتسعت تجاربنا ، وان يكون قادرا على ان يهبنا شيئا جديدا كلما تجددت اليه نظراتنا . ومن خصائص الشعر التي يزدان بها الى جانب بقية الفنون الجميلة ، ان له قابلية — في نصوصه القوية البارعة — ليمتع نفوسنا مهما تعاقبت الايام ، وتدرجنا في ادوار العمر ، فامرؤ القيس الذي امتعنا ونحن اطفال مدارس ، هو الذي يمتعنا اليوم ويستجيب لحاجياتنا الروحية او بعضها على الاقل ، ونحن كبار لنا حظنا من الفهم ، ونصيبنا من التجربة .

ومتى كان الشاعر ما يزال يعيش بيننا ، فقد يضع قضية علاقته بقرائه موضع الدرس والمناقشة، فهو يتبين اولا طبيعة الصلة التي تربطه بنا ، ثم مدى الاثر الذي استطاع ان يخلفه فينا ، فاسلوب رد الفعل الذي قمنا به عندما وقعت الاستجابة . وقد يتجاوز شعره حدود الوطن والمنشا ، فيكون صاحبه مدعوا الى ان يقوم بنفس العملية بالنسبة لنطاق واسع من الحياة الانسانية . وقد يكون العكس ، اعني ان الشاعر ربما يقول قصيدته ، ويدفع بها الى قرائه ، ثم يقطع كل صلة له بالمسالة ، لينصرف الى دنياه الخاصة ، لا يعنيه في شيء ان يرضى القراء

او يسخطوا ؛ ان ينفذ الى صميم مشاعرهم ليحملهم على الاعجاب به والافتتان بروائعه ؛ او يطرق قلوبهم فيجدها مقفلة لا تريد ان تنفتح ، وان كان كل شاعر حريصا على ان يجس نبض قرائه ؛ ليعرف مدى تأثيره فيهم ، واستحواذه على مشاعرهم ، الا ان هذا الموقف لا يكون دائما نوعا من الاهتمام الخاص الذي يكتسي شيئا من الخطورة ، وانما هو شبيه بموقف شخص الى جانب غدير ، يرمي الفتات الى الاسماك ، ليرى كيف تجتمع عليه وتفترق ، على حد تعبير الحكيم . وقد يكون للشاعر في موقفه هذا من قرائه منطق خاص . اليس الشعر في لغته الجميلة الساحرة ابداعا لصور من العيش ؟ اليس صوتا عذبا مؤثرا يسكر آذان الناس ويأخذهم من جميع اقطارهم ؟ اليس من افضاله على الناس انه ينتزعهم من ضرورات الارض ويهبهم اجنحة خفية ليحلقوا في سماوات مشرقة ؟ ان الشاعر ليشعر احيانا كثيرة بنوع من الكبرياء الفنية ، مقتنعا بتفضله على الناس، واحسانه اليهم ، وحسبهم هذا امتاعا لنفوسهم ، وتجميلا لحياتهم ، وترقيقا لحواشي عيشهم ، ففيم السؤال اذن ، وفيم البحث عن اسباب المتعة ، وعن علة هذا الجمال الشعري الذي حققها ؟ اليست النتيجة واحدة في كلتا الحالتين ، حالة البحث وعدمه، وهي ان الشعر فن جميل مؤثر ، يهب الحياة معناها الجميل ؟ كثيرون من الشعراء يرون هذا الراي ، ويصدرون عنه عندما لا يعيرون كبير اهتمام لما يكتب او يقال عن شعرهم . وليس من شأن هذا أن يصرف القراء عن تدارس الشعر ونقده ، احب الشعراء ام كرهوا ، لانهم يعتبرون هذا من حقوقهم ، بصفتهم طرفا في القضية ، بل قد يكون سكوت الشاعر عنهم واهماله لشأنهم ، دافعا لهم لكي يحتدوا في المناقشة ، ويتشددوا في البحث عما عساه ان يكون في نصوصه الشعرية من عيوب وثغرات ، ينفذون منها الى نقده واقلاق راحته . فكأنما يعتبرون سكوت الشاعر نوعا من التعالي يستفز شعورهم ، ويتهمهم في جدوى رد الفعل الذي يقومون به . فأي الطرفين على خطأ ، وايهما على صواب ؟

اتكون لنا الصلاحية لاصدار الحكم ، ونحن نعتبر انفسنا طرفا في القضية التي نحن بصددها ؟ اذن سيكون حكمنا مرفوضا ابتداء ، ولكن هيا لنضع شخصيتنا كقراء جانبا ، ونحاول تناسيها مستعيرين شخصية الناقد النزيه الذي لا يحكم الا وفق المستندات التي بين يديه . أما القارىء فاليه يلقى الشعر ، وبه يخاطب ، ولاجله يخرج الى النور ، ولذلك كان من حقه ان يحاكم الشاعر ويطالبه بما تقتضيه طبيعة الفن الذي يزاوله وشرائطه وقوانينه. واما الشاعر فله ان يتمسك بموقفه الذي ارتضاه لنفسه ، وان يصب عواطفه في القالب الذي يريد ، شريطة حفاظه على ما للفن الشعري من مميزات عامة خالدة ، لا تتنافى مع الخصائص التي يتصف بها في مراحل معينة من تاريخه ، ولكن ليس له ان يصد الناس عن النظر في شعره بعين فاحصة ، بحجة انه يبلغ من امتاعهم شأوا بعيدا ، ذلك ان ظرف المتعة يمر سريعا ، بحيث لا يستطيع الشاعر امساكنا بين يدي روعته الا لحظات قصارا ، ثم نستيقظ من الحلم الجميل الذي اتاحه لنا ، لنعود الى النص ، باحثين عن اسباب انتشائنا واسرار غلبة النص الشعري علينا .

ودلال الشعراء بحكم انهم ممتازون بين اصناف البشر ، طالما وقف حاجزا بينهم وبين جمهورهم من جهة ، وبينهم وبين اسرار صناعتهم من جهة اخرى ، اما الاولى فلان الشاعر قد يعتبر تنازله من عليائه ليأخذ باطراف الحوار بينه وبين جمهوره ، اعتداء صريحا على قداسته ، وانتهاكا لسموه . فالفنان الخالق عنده يوشك ان يكون اسمى من كل جدل او نقاش . واما الثانية فلان محك الفلسفات والقضايا الفكرية والصور الجمالية التي يقوم الشعر عليها ، هو البحث الحر النزيه ، الذي لا يعترف بقداسة النص الشعري بمعنى تأبيه وامتناعه عن كل درس .

ولكن اذا كنا بهذا قد انصفنا القارىء ، بقي ان نقول كلمة لعلها ان ترد الى الشاعر بعض حقوقه ، وقصدنا الى ان الشاعر قد لا يستطيع ان يبرر جميع مزاعمه ووعوده وادعاءاته ، وقد لا يقوى على ان يحيط علما بجميع بواعثها ومصادرها وابعادها . وقد فرغ الباحثون من ايضاح ان عملية الانتاج الشعري قد تتم بوعي غير تام ، بحيث يكون الشاعر في حالة حلم ، تتم اثناءه العملية الشعرية بصورها واشكالها ومضامينها ، حتى اذا انتهى الشاعر منها ادهشه ان يجد بين يديه عملا غنيا رائعا يكون أول المندهشين له . وفي هذه الحالة يلفي نفسه ازاء خواطر وسبحات خيالية قد لا يدرك مأتاها ومصدرها ومدى معقوليتها ، فاذا وضعها موضع البحث لم يجد لها مبررا الا شعوره بها ، وهو شعور قد يكون في منتهى الغموض والابهام . فكيف نستطيع حينئذ ان نطالب الشاعر بأن يقدم لنا تفسيرا لخواطر لا يدرك هو نفسه مصدرها وبواعثها والغاية

منها ؟ لم يبق اذن الا ان نعرف الحدود التي تجوز فيها مناقشة الشاعر ، وان نعمد الى النص الشعري نفسه لنستنطقه ونستفسره ، جاعلين نصب اعيننا كلمة قالها احد البلاغيين العرب القدماء وهي : (من الاشياء ما تحيط به المعرفة ، ولا تدركه الصفة) .

ولكي يكون قارىء النص الشعري رحيما بصاحبه ، مشفقا عليه من قسوة الفحص الذي لا يقتنع بشيء ، ادعوه الى ان يفكر قليلا في هذه المسألة : الم يسبق له ان صار مرة او مرات نهبا لمشاعر حادة غامضة اخرجته عن صوابه ، أو مشاعر خافتة شاحبة بعثت في عقله الحيرة ، وملأت نفسه بالهواجس ، ووضعته في دوار خيالي وفكري لا يعرف له علة او مصدرا ؟ الم يجد نفسه احيانا في حالة غير عادية ، بحيث ينكر منها اشياء ، ويعجب منها باشياء ، دون ان يعرف بوضوح سر انكاره اذا كان منكرا ، او اعجابه اذا كان معجبا ؟ وهل اذا مرت حالته هذه قادر هو على ان يعطينا تفسيرا دقيقا لها بنفس الدقة التي يفسر بها مواقفه المعقولة الهادفة في اخص شؤون حياته ؟ اذا كان الجواب بالنفي ، فلماذا يشتط في محاسبة الشاعر على كل صغيرة وكبيرة ، فيطالبه بخلاف ما يطالب به نفسه ، في حالة ما اذا وجد في شبه الظروف النفسية الغامضة الغائمة التي قد يوجد فيها قائل الشعر ؟ الا رفقا بهذه الكائنات التي تمتع الناس وتشوقهم ، دون ان تدركمن أمر نفسها شيئا في بعض الاحيان !!

لا اريد بهذا الكلام الى اعفاء الشاعر من كل تبعة او مسؤولية ، ولا وضعه في موضع يتناءى به عن النقد والملاحظة ، والا فلماذا نحن نسوق هذا الحديث ؟ وانما نريد فقط الا نتهم الشاعر اذا نحن لم نفهم عنه بعض ما يقول ، وما يحس ، وان نطا من غلونا في النقد ، منتظرين ان تزداد تجاربنا في الحياة، عساها ان تضع ايدينا على كثير مما خفي علينا من اسرار النفوس الشاعرة ، وكل هذا يتعلق بالآفاق الغامضة من تصورات الشاعر ، أما الصياغة فلا عذر فيها للشاعر مطلقا ، ولا يحول حائل دون مناقشتها الى ابعد الحدود . ذلك انها ظاهرة حسية مشتركة ، على حين ان بعض الخواطر الغامضة قد تكون محجوبة عن عدد كبير من الناس ، متى كانوا في استعداداتهم اقل مستوى من استعداد الشاعر . دونك مثلا شعر الصوفية ، فانك واجد فيه تصورات وخواطر وسبحات خيالية موغلة في الغرابة ، فاذا كنت عجولا تبادر بالحكم عليها بأنها مظهر من مظاهر الجنون لا اقل ولا اكثر ، ولكن اذا انت قرأتها قراءة متأنية ربما تلتمس العذر لاصحابها ، لانهم يصدرون عن حالات نفسية شاذة بالنسبة الينا نحن الناس العاديين ، ولكنها طبيعية بالنسبة الى الزاوية التي ينظر منها اصحابها الى الحياة والكون . وقد لا نعيها الا اذا استطعنا ان نرتفع الى حالات التجلي التي تمخضت عن ذلك الشعر الصوفي الموغل في الرمز .

وبعد ، فكيف تصبح لغة الشعر المؤلفة بين ابناء البشر ، مهما تناءت بهم الازمنة والامكنة ، مثار نزاع وخلاف ؟ وهل يريد الشاعر الا ان يدعونا بواسطتها الى الاتصات اليه ، ومشاركته آلامه او مسراته ؟ وهل نريد نحن قراءه الا ان نتمكن من الاستجابة لما يدعونا اليه خفاف الخطى ؟ وهل يستقيم للغة الشعر معنى الا بهذا اللقاء الجميل الرائع ، الذي يهزأ بعوامل التفرقة الكثيرة التي تباعد ما بين الناس ؟ فما جمع بين الناس شيء كالاشياء الجميلة ، اذ يلتفون حولها ، ليذوب ما بينهم من خلافات ، ولا يبقى الا هذا الشعور الذي ينتظمهم جميعا بجمال الشيء في الادب او الفن او الطبيعة ، بقطع النظر عما يكون هناك من خلاف في ملابسات الشعور الدقيقة . فحول ورود الخمائل تحوم قلوب حانية ولهى ، وفي موجات النغم تتعانق ارواح هائمة سكرى ، وفي رياض الادب والشعر تتزاوج الضمائر والقلوب والارواح تزاوجها الذي لا يقلروعة عنتزاوجالكلمات الراعشة في ديباجةالادب والبيان . فكيف يقدم لنا الشاعر عواطفه تختال في نغم يصبي الالباب ، ويضع بين ايدينا قلبه نابضا متدفقا بالنور ، ثم نخلص من كل هذا السحر لنسأله: كيف ؟ ولماذا ؟ وعلام ؟ هل نحن قادرون على ان نواجه بنفس الاسئلة النجم اللامع ، والبلبل الغريد ، والحمامة النائحة ، والنسمات الرقاق ، والاصائل العذاب ؟ انها يا صديقي ضريبة الكلمة !! الكلمة التي لم يعرف الانسان مسؤولية في الحياة الا منذ ان عرفها فادرك المهام الجسام التي تنتظره في الحياة . قالها رب العالمين لرسله العظام ، فحملهم مسؤولية تنوء بحملها الجبال الرواسي ، وقالها هؤلاء لاقوامهم فغيروا من مصائرهم ، ووضعوا على كواهلهم التمكين لكلمة الله في الارض ، والقاها المصلحون وقادة الفكر الى شعوبهم فتجشموا غوالي التضحيات لاعطائها مدلولها الحقيقي ، فاذا نطق بها الشاعر والقى بها الى الناس ، كان مطالبا بان ينهض

بأعبائها ، ويتحمل مسؤولية الجهر بها ؛ فبغير ذلك لا يدفع الناس الى احترامها والاحساس بخطورتها ، والعمل بوحي منها ، والاندفاع وراء تحقيق رسالتها . فما شاعت تداسة الكلمة بين قوم الا هانت عليهم نفوسهم ، وتلاشت مبادئهم ومثلهم ، وخلت حياتهم من كل شيء نفيس ، لان الاشياء النفيسة ان هي الا هبة الكلمة عندما يحافظ لها على جديتها وخطرها وشرفها . ولو انك تدبرت عصور الانحطاط الادبي ، لوجدت ان السبب الرئيسي في ذلك هو هوان الكلمة على الناس ، بحيث صار يقصد بها الى الملق والزيف والرياء والعبث ، فضاعت قيمتها بين الناس . افلا يكون بعد هذا من اللائق بل من الواجب ان يدخل القارىء والمنتج فيحوار جدي ايجابي خصب، من اجل احترام الكلمة ، لتكون مثالا من امثلة الخير والحق والجمال في حياة الناس الادبية والفنية ؟

وكلمة الشاعر الى الناس لها ميزة خصوصية لا توجد في غيرها ، وهي انها على شيء غير قليل من الفضول الفني ، اذ نجدها تدخل بين القراء او السامعين ، وبين خاصة انفسهم ، تمس حياتهم العاطفية في الصميم ، وتضعهم امام منازعهم الباطنية وجها لوجه ، وتمتزج بدموعهم وآهاتهم ومسراتهم فتخلق لها ابعادا جديدة ؛ تفعل كل ذلك من غير ان يقصد اليه الشاعر قصدا ، وانما يجيىء نتيجة لتعبيره عن نفسه ، التي تربطها بنفوس الناس روابط عميقة الجذور قوية الاصول ؛ فالشاعر ايليا ابو ماضي عندما يقول :

قال السماء كئيبة وتجهما

قلت ابتسم يكفي التجهم في السما

يخاطب المجموع في مخاطبة الفرد ؛ وبذلك يتدخل في اخص شؤوننا ، اذ يريد لنا ان نبتسم ، على حين اننا قد تكون لنا بواعثنا المختلفة التي تدفع بالاكفهرار الى وجوهنا ، وليس لنا اعتراض على الشاعر اذ يدعونا الى الابتسام ، اذ ان ديدن الشعراء ان يريدوا الدنيا ضاحكة مرحة الاعطاف ، عندما يجدون في نفوسهم البهجة والحبور ، ويريدونها مظلمة كئيبة عندما يستولي عليهم القنوط والسخط . ولكن الذي نقصد اليه هنا هو ان الشاعر ينقل وجوده النفسي الى نفوسنا ، فلا يعدم هذا ان يصادف عندنا ردود افعال مختلفة ، وهذا هو مبدأ ما قد يكون بين الشاعر — كل شاعر — وبين قرائه من اتفاق حينا واختلاف حينا آخر .

وكلمات الشاعر لا تنقل الينا وجوده النفسي الا مصحوبا بفنون من الاغراء ، والوان من الدعوة الواضحة حينا ، والخفية احيانا ، اي ان الشاعر لا يتركنا لانفسنا ، وانما يحاول بحيل فنية مختلفة ان يعدينا ويكسب عطفنا ، ويدفعنا الى ان ننظر الى الحياة بالمنظار الذي وضعه على عيوننا . وهذا لا يتوقفدائما على الدعوة الصريحةكان يقول الشاعر:

عش عزيزا او مت وانت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

بل ربما لم تكن هناك دعوة مطلقا في الظاهر ، اذ يخيل الينا ان الشاعر لا يزيد على ان يعبر عن عاطفة يحس بها من غير ان يكون ذلك متضمنا لاي اغراء بشيء ، او دفع الى شيء ، كان يقول محيي الدين بن عربي :

ادين بدين الحب انى توجهت

ركائبه فالحب ديني وايماني

ها هنا يكتفي الشاعر بالتعبير عن مذهبه في الحب ، ولكن اي اغراء بالحب يرقد في اعماق هذه الكلمات القوية !!

واذا كان الشاعر يتدخل في اخص شؤون الناس العاطفية ، فلانه يبدأ بنفسه فيضعها مكشوفة بين أيديهم ، ليروا ما فيها من اسرار ، حاملا قلبه على كفه مفتوحا لمن أراد ان ينظر فيه ؛ فكأنه يتخذ ذلك ذريعة ليتحدث الى الناس في اخص شؤونهم العاطفية ، اذ اصبحت له شبه دالة عليهم ؛ شأن صديقين زالت بينهما الكلفة وارتفعت الحجب ، فهما يتناجيان دون حيطة او تحفظ . لذلك نجد لغة الشعر تحمل ضروبا من الاوامر والنواهي والنداءات والاستفهامات والوان العتاب والتقريع ، التي يفسرها رجل البلاغة على وجه ، والناقد الادبي على وجه ، وهي في عمومها لا تخرج في مغزاها العميق عن هذا الذي شرحناه ، وهو ان الشاعر يضع نفسه من الناس في موضع يسمح له باستدراجهم الى الجو الروحي الذي يعيش فيه .

ومما يساعد كلمة الشاعر الى الناس على ان تقع من نفوسهم موقعها المؤثر الجميل في اكثر الاحيان، هو انها لا توجه الى انسان معين غالبا ، وانما توجه الى الانسان من حيث هو انسان ، بقطع النظر عن حيثيته الخاصة ، الامر الذي يزيل اسباب الحرج والتحفظ ، ويهيىء النفوس لتقبل ما يلقيه الشاعر

اليها عن رضى واختيار ، ديدن الانسان في جميع مواقفه في الحياة . فهو يخاطب بصفة فردية يحتاط في تقبل ما يلقى اليه ، ولا يمزجه بنفسه بكل سهولة ، وبالعكس عندما يكون الخطاب موجها الى مجموعة من الناس يكون هو ضمنهم ، فانه تسقط عنه بعض الكلفة ، ويولي عنه الحرج .

بيد ان القارىء او السامع يخيل اليه وهو يتلقى الوحي الشعري عن الشاعر على انفراد ، انه مسوق اليه وحده ، على حين ان ارواحا عديدة حامت حول النص الشعري ، وحملت عنه انطباعات، ومستها منه نفحات من شواظ الجحيم ، او نسمات من برد الجنة . فليت شعري كم مهج تلظت حول بيت قيس ليلى :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير حب ليلى ابتلانيا

وكم نفوس تفتحت للدنيا ، وافتتنت برونق العيش، منشدة مع بشار :

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ
ـه ثيابها ذهبا وعطرا

ولكنك اذ تقرأ هذا الشعر في وحدتك ، بعيدا عن ضجيج الدنيا من حولك ، لا تسمح الا لهذا الصوت العذب الذي يحدثك به كل من قيس وبشار ، توشك ان ترى ان الشاعرين انما يتحدثان اليك انت دون بقية الناس ، لولا السياق الذي ينفي كل مواجهة خاصة ، ولولا ان بينك وبينهما عصورا من التاريخ . فهذا الازدواج بين عالمية الشعر ، بوصفه لغة انسانية ، وبين انسجامه مع الحياة النفسية الخاصة بالفرد ، بقطع النظر عن لونه او جنسه او وطنه ، او احد مقومات الشعر في نقطة ابتدائه ونقطة وصوله ، وهو المعادل الخارجي لانبثاق الشعر عن الشاعر باعتباره فردا له مقوماته الذاتية ، وباعتباره انسانا تتمثل فيه المشاعر الانسانية العامة، في مستواها العالي وافقها المشرق . فعند ما نتلقى العمل الشعري من مبدع الفن ، تقع الاستجابة السريعة في نطاق المشاعر الانسانية المشتركة ، لتمهد الجو للاضافة الخاصة التي يقدمها المبدع الينا من خلال الشعور العام ، الذي يكون حينئذ بمثابة رشوة لاذواق القراء وحواسهم الفنية ، كي تتقبل تلك الاضافة بكل ما تحمله في طبيعتها من خصائص ومميزات ، قد تكون شاذة احيانا او هي موغلة في فرديتها . فانت ـ مثلا ـ عندما تقرا لابي نواس ، تجده يمزج بين شذوذه الجنسي ، وبين ملامح الغزل الذي يسير وفق الفطرة السوية ، فينقل بعض صفات الانثى الى الغلام ، ويبرز الغلام في هيئة الانثى، ويسوق اليه العواطف الحسية التي قد تساق الانثى عند الشعراء الغزليين . وابو العلاء يثير احساسنا المشترك ، ويخاطب عواطفنا العامة ، بواسطة مرثيته المعروفة بالدالية ، فهو يذكرنا بالموت، متخذا من شحنة العواطف الحزينة التي يفجرها في نفوسنا وسيلته لبث آرائه في عبث الدهر وضياع جهود الانسان ، والتناقض المر البغيض ، بين طموح الانسان وبين هذه الجبرية الصارمة التي تخضعه لنواميس الكون ونظام الحياة والموت ، هذا الى ايغاله في نظرته التشاؤمية التي قد تعدينا احيانا ، لانها قدمت الينا في شحنة من العواطف العامة التي نتقبلها دون تحفظ ، فهي اذ تعمل عملها فينا تبث في في نفوسنا ما تحمله في تموجاتها من آراء غريبة ، او معتقدات شاذة ، او خواطر لا عهد لنا بها ، كنا قمينين برفضها لو انها قدمت الينا بأسلوب مباشر . قد يشق علينا جدا ان نتقبل قول ابن الرومي في رثاء ابنه الاوسط :

وما سرني ان بعته بثوابه
ولو انه التخليد في جنة الخلد

لو لم يضع الشاعر احساسه هذا ضمن مزيج من الاحساسات التي تصلنا بمكانة كل ولد من ابيه ، واللواعج المحرقة التي تنتابه عندما يودعه باطن الارض ، بعد ما يملأ نفسه بالآمال ، وبيته بالمرح ، وابوته بالغرور ، بحيث لم نكد نصل الى بيته السابق حتى كنا مستعدين نفسيا للتجاوب مع هذا الحنان الابوي البالغ حدا بعيدا من القوة والعمق ، والذي لا يخلو من علو لا يتناسب وصدوره من اب مومن بالله راض بحكمه ، حتى اننا نترك كل مناقشة مع الشاعر في هذا الذي احسه وذهب اليه ، لاننا مغلوبون على امرنا ، من جراء ما تقدم بين يدي ذلك من شعر رائع ، يخاطب العواطف الانسانية العامة ، ويصيبها في الصميم .

فاذا نحن خضعنا لسلطان الشعر ، واسلمناه زمام نفوسنا ولو الى حين ، وتكرر هذا الموقف منا بالنسبة لشعراء عديدين ، يملكون من قوة

الشاعرية ما يبوئهم مكانة عالية في قلوب عشاقهم ، اذا نحن فعلنا ذلك ، ارتبطت عندنا اخيلة الشعراء الافذاذ وعواطفهم بالصور ، والقوالب التي افرغوها فيها ، بحيث كثيرا ما يحدث ان تختلج نفوسنا بعاطفة شبيهة بالعاطفة التي سبق ان اثارها الشاعر فينا عند قراءتنا لقصيدته ، فنستدعي صورتها اللفظية لاذهاننا بطريقة محض تلقائية ، كما صاغها فيها الشاعر . فنحن مثلا لا نتألم لتطاول الصغار على الكبار الا ويطفح على السنتنا قول الشاعر :

واذا اتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

ولا نتعرض مرة لظلم الاخ او الصديق ، الا ونلقي بثقلنا على بيت زهير :

وظلم ذي القربى اشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وهكذا دواليك .

والسؤال الموضوع الآن هو : هل تكون لغة الشعر بهذا الاعتبار حائلا دون انطلاقتنا العاطفية التي نود الا يحدها شيء ؟ ذلك ان عاطفتنا عندما تندفع تصطدم بالنص الشعري الملائم لها تماما فتتبلور فيه ، وقد تتحول الى معنى محنط في لفظ . هل يكون الشاعر قد اساء الينا عندما فرض علينا عبارة قوية ترتبط بالاحساس الذي ترمز اليه ، كلما تحرك في حياتنا النفسية ، بحيث لو لم تقف هذه العبارة في مواجهتنا تحاصرنا من كل جانب ، لكانت لنا وثبات خيالية وشطحات عاطفية لا يحدها شكل معين من اشكال التعبير ؟

نريد أن نتناول القضية في نطاقها الواسع ، واضعين نصب اعيننا باديء ذي بدء ، ان العواطف المجردة عن اي قالب او شكل حسي تكاد تكون منعدمة . فكل عواطفنا تقريبا ترتبط بمدركاتنا الحسية المتنوعة ، فالاماكن والاشخاص والاحداث والاصوات كلها تكون اشكالا لعواطفنا لا تنفصل عنها ابدا ، بل تنتقل معها بانتقالها معنا من طور الى طور ، ومن حالة الى اخرى ، فعندنا من العواطف ــ مثلا ــ ما يرتبط بظلام الليل ، او حريق مهول ، او امطار طوفانية ، او شخص اتصلنا به زمنا ثم ولى عنا الى الابد ، او قطعة موسيقية انتشينا بسحرها زمنا ، وما الى ذلك مما لا يحصى عددا لانه يتسع اتساع تجاربنا العاطفية . ولعل العلة في ذلك ميل الانسان الفطري الى ان يركز خواطره وعواطفه في اتجاه معين او اتجاهات معينة ، كبديل عن تشوشها واضطرابها والاشكال الحسية هي خير ما يحقق هذا الغرض . وما القالب اللفظي الا احد هذه الاشكال بل هو اقواها فعالية واسرعها استجابة لحاجيات الانسان العقلية والروحية . وقد لا نأتي بجديد عندما نقول مع علماء اللغة ان الانسان يفكر بالالفاظ ، فكل عملياته العقلية تتخذ من الالفاظ قالبها الطبيعي الذي به تنتظم الافكار ، وفيه تتبلور الاحاسيس . وهذا هو الاساس الاولي في ارتباط كثير من خواطرنا وافكارنا ومشاعرنا بقوالب شعرية قوية ، لها علينا سلطان ليس الى مقاومته من سبيل . فنحن نلقي بثقلنا المعنوي على النص الشعري ، لكوننا نجد فيه الصورة التي نرتضيها لمشاعرنا ، والتي ما كنا لنعثر على اجود منها ــ في اعتقادنا ــ لو كان الينا شيء من مقاليد الكلمة الشعرية . والنص الشعري يختلف اسلوب تأثيره فينا باختلافنا في خصوبة النفس قوة وضعفا ، فهو حاجز يعوق عن الانطلاقة الروحية بالنسبة لبعض النفوس الفتيرة ، في استعدادها الفكري والعاطفي ، وهو نقطة انطلاق نحو آفاق مشرقة بالنسبة لبعض النفوس الغنية القوية الخصوبة . هذا الى ان النص الشعري نفسه قد يكون محدود الدلالة ، شحيح المعاني ، ضئيل الايحاء ، وقد يكون مثالا للحيوية والقوة والعمق ، فيحول دون توثب المواهب وتفتحها في الحالة الاولى ، ويكون قوة دافعة لها في الحالة الثانية ، وقوة النص وضعفه يقاسان بمدى استعداد المتلقي ، فرب نص تعتبره أنت في منتهى القوة والاصالة ، وهو عند غيرك متهافت هزيل ، الى طبيعة اللحظة التي تكون فيها عندما تستعير النص الشعري للتعبير عما نجده من خاطر او احساس ، فهي قد تكون على شيء ، غير قليل من الكثافة وضيق الافق ، فتصيب الطبع بالبلادة ، والسليقة الفنية بالجمود ، او تكون فياضة المعاني ، مشرقة الجوانب ، فتتيح لنا ان نحيي النص الشعري الى ابعد جوانبه ، ونمتص كل معطياته ، وكأنما هو مفتاح لدنيا من السحر والفتون . واجمل القراءة الشعرية تلك التي تجتمع لها هذه العناصر الاساسية : نص شعري فيه طرافة وابداع ، يتجدد كلما عاودت النظر اليه ، والتأمل فيه ، وقارىء كفء للنص ، يمتاز بخصب النفس ، وقوة الطبع ، والمرونة النفسية للتكيف مع الاجواء الشعرية على اختلافها ، ولحظة غنية مشرقة تتم فيها عملية القراءة ، فاذا اجتمعت هذه العناصر ، فلا خوف على حرية خيالاتنا وعواطفنا من هذا السياج الرقيق ، الذي تضربه النصوص الشعرية حولنا ، لانه سيكون حينئذ من الشفوف ،

بحيث لا يحجبنا عن انفسنا ، ولا يحجب مطارح الخيال عنا ، وانما يكون باعثا على كثير من الابداع في تخيل انماط الحياة المعنوية وتمثلها .

ولسنا مجانبين للصواب ، اذا ذهبنا الى ان لغة الشعر قد تكون اقوى ايحاء عند الطرف المتلقي ، منها عند الطرف المبدع ، ذلك لان هذه اللغة تعيش بالنسبة لهذا الاخير بروحين : روح الشاعر بما لها من خصائص وشيات ، وروح المتلقي بما لها من ملامح ومميزات . فهي تاخذ من هذا وذاك ، ويتكون لها مزيج عجيب يزيد في عمقها وفعاليتها حتى لتصبح احيانا لغة جديدة في نكهتها وطبيعتها . فتقابل الطبائع والميول واجتماعها حول النص الشعري هو في الحقيقة عملية خلق جديدة ، قد لا تقل عمقا واصالة عن عملية الخلق الاولى ، تماما كما يحدث عندما تطالعك وجوه مشرقة كلها صباحة ورواء ، فانت تستمد قبسا من هذا الوجه ، لتمزجه بقبس من وجه آخر ، فيتكون عندك انطباع خاص لا ينتسب الى وجه دون وجه ، وانما ينتسب الى الوجوه التي طالعتك كلها ، عند تحليل العناصر التي يتكون منها ، وفي الوقت نفسه يكون فيه شيء من نفسك انت ، كما تشعر بالاشياء الجميلة وتتجاوب معها .

وما دمنا بصدد الحديث عن اسلوب تاثرنا كقراء بالنصوص الشعرية الجميلة ، فلا باس ان نقف وقفة قصيرة عند مسالة اراها كالنتيجة الطبيعية لما سبقها من مقدمات : هل صحيح ما يزعمه بعض الباحثين من أن الاثر الذي يحدثه النص الشعري في نفوسنا سريع الزوال ، وانه اذ يزول ، يترك المجال لنص آخر ليشغلنا هو الآخر فترة من زمن ؟ ان هذه الفكرة تكاد تتحول الى عقيدة عند الباحثين، ان لم تكن قد تحولت فعلا ، والطلاب يلقونها فيما بين أيديهم من كتب ، فياخذونها على انها حقيقة مسلمة لا تقبل نقدا او مناقشة . فهيا لنختبر مدى صمود الفكرة امام ما تبعثه في عقولنا من شكوك حول قيمتها . فاذا كان المراد زوال كل اثر للنص الشعري من نفوسنا بعد انتهائنا من قراءته ، بحيث يمحى منها محوا ، بعد ان ملأها بكيفية مؤقتة ، فهذا لا يتفق مع ابسط نظريات علم النفس ، اذ الثابت ان كل شيء يمر بنفس الانسان او يؤثر فيها من قريب او بعيد ، لابد ان يخلف فيها آثارا لا تزول ابدا ، وانما تصاحبه في كل ادوار حياته ، ويكون لها دخل كبير في اسلوب تفكيره ، وطريقة تذوقه ، ومنهجه في النظرة الى الاشياء . قد تستقر هذه الآثار في ذاتنا السفلى ، او ما يسمى بالعقل الباطن ، لتعود الى الظهور على مسرح الحياة النفسية ، كلما استدعاها مؤثر من مؤثرات الحياة المختلفة . وهكذا نستطيع ان نفهم ما يخلفه النص الشعري عندنا من اثر ، يدخل في صميم حياتنا النفسية ، ولا يزول نهائيا . وما يظهر علينا من ابتهاج ببعض نصوص الشعر ، واكتئاب بنصوص اخرى ، ليس في الحقيقة محوا لنوع من البواعث ، لتحل محله بواعث اخرى ، وانما ذلك ابعاد لشيء منها ليستكين في عقلنا الباطن ، فيحل محله شيء آخر في عقلنا الواعي . فنحن مثلا عند ما نقرا هذا الشعر :

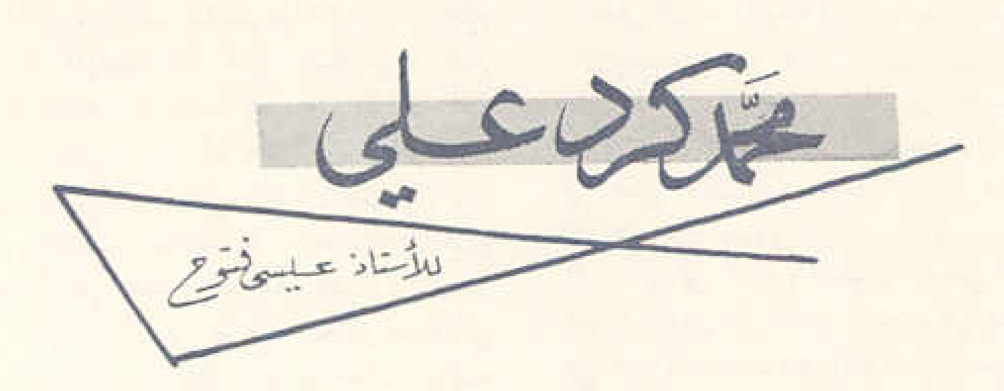
يا خليلي تيمتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد
غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد

ينقل الينا ابن الرومي اعجابه بوحيد المغنية ذات القد الاهيف ، والعينين الجميلتين ، والصوت الهادىء الرخيم الذي يصبي القلوب والآذان ، وهو يجعلنا نتمثلها بكل هاتيك المفاتن والروائع التي خلعها عليها ، فنقع تحت سلطانها صانعة بنا مثل ما صنعته بالشاعر المسحور ، فاذا نحن انتقلنا من هذا الشعر لننشد مع الشاعر الآخر :

انساك محياك المماتا
فطلبت في الدنيا الثباتا
اوثقت بالدنيا وانت
ترى جماعتها شتاتا ؟
وعزمت منك على الحيا
ة وطولها عزما بتاتا
يا من رأى أبويه فيـ
ـمن قد رأى كانا فماتا

لا يكون معنى ذلك ان آثار الابيات الاولى في انفسنا التي بها خارجها بقدرة قادر ، لتهتلىء بايحاء الابيات الثانية ، وانما معناه فقط ان الاولى صارت ذكرى وشعورا غامضا يستقر هادئا وادعا في اللاشعور ، وقد يتسلل خفية ليخفف من كآبتنا ونحن في ظلال ابي العتاهية ، فاذا اخذنا شاعر مرح بعد خروجنا من جو اليأس المميت ، فقد لا يتركنا ما تخلف في نفوسنا من هذا الجو ، وانما يجعل انشراحنا مبطنا بشيء من الظلال القاتمة التي القاها في جنبات قلوبنا شاعر الموت في الادب العربي، وهكذا تختلط عندنا حالات الاكتئاب بحالات الابتهاج ، واي الناس تصفو مشاربه ؟

فاس : **عبد العلي الوزاني**



عصـــــره :

ولد محمد كرد علي بدمشق عام 1876 ، وما كاد يفتح عينيه للنور ، ويفرغ في مبادىء دراسته الاولى حتى وجد نفسه في عصر يعمه الفساد من جميع النواحي السياسية والدينية والاجتماعية ، فالعصر عصر الولاة العثمانيين مملوء بحوادث النهب والسلب والقتل والمصادرة ... كما قامت الدعوة الوهابية في نجد وقد سميت هذه الايام بالايام السود « في السياسة والادارة والدين » ولخص كرد علي هذا العصر في فصل من فصول مذكراته بعنوان « عيدنا الوطني » اشار فيه الى احتفال سورية بعيد الجلاء ، كما اتى على ذكر امراضنا وعيوبنا كفقدان الحرية والاستقلال ، وما نشأ عن ذلك من ضعف السياسة والعلم والاخلاق واللغة والتفكير والصناعات وتباعد ما بين الطبقات ، وسطوة القوي على الضعيف ... فلا بد من رجال يؤيدون المسألة ويضعون الدواء موضع الداء

وقد اشار احمد فارس الشدياق من ادباء القرن التاسع عشر الى سطوة الترك اكثر من اهتمامه بسوء سياستهم وولايتهم ، وهكذا كان عصر الشدياق ومحمد كرد علي من اسوأ العصور في الاجتماع والسياسة والاخلاق والعادات ، وقد اتفق على الاعتراف بمساوىء العصر واختلف في اساليب الاصلاح .

صحافتــه في مصــر :

لم يجد كرد علي اداة ينبه بها الاذهان ويبصر بها الولاة على سوء سياستهم الا الصحافة فمارسها وهو ابن ست عشر سنة ، وحرر اول جريدة ظهرت في دمشق عقب اعلان الدستور العثماني واسمها « الشام » وبقي فيها ثلاث سنوات يكتب المقالات والاخبار ، ولم يستطع التعبير عما يريد لانها كانت خاضعة للرقابة ، ثم اتصل بمجلة « المقتطف » ، وكتب اول مقالاته فيها بعنوان « اصل الوهابية » ، فشاعت شهرته ثم حرر في «الرائد» المصرية موضوعات فيه السياسة والاجتماع والاداب ، ثم كتب في « المؤيد » لعلي يوسف واحمد ماضي ، فطارت شهرته . واصدر وهو في مصر مجلة « المقتبس » ولما عاد الى دمشق اصدر فيها جريدة « المقتبس » ، وما ان اعلن الاتراك الدستور ، حتى كانت اول جريدة يومية تصدر في دمشق هي «الشام» فكانت اسبوعية بالعربية والتركية .

لقد رزق كرد علي ملكة بالغة في النقد ، فصور في عصر الظلمات تأصل الاوهام والجهل وتقديس اقوال ادعياء العلم والتقوى ، كما انتقد العصر الحديث واستفاضة علوم الدنيا فيه ... يبحث في الصحافة عن مرض الامة فيصف له الدواء الناجع ويفتش عن فساد القول فيهديه الى الاصلاح ، وقد اعانه على هذا النوع من البحث والارشاد تعمقه في تاريخ العرب والاسلام واطلاعه على كثير من آراء الفرنسيين في النقد والاجتماع ، وكان في صحافته مصلحا اجتماعيا وناقدا خلقيـــــا

صحافتــه في دمشق :

لقد وضع كرد علي اسلوبه في اصلاح المجتمع . اذ كان يعف عن ذكر المسائل الخاصة ويخوضه لباب المسائل العامة ، ومن شأن هذا الاسلوب ان يكون ذا تأثير كبير في المجتمع ، فقد اقبل الناس على قراءة « المقتبس » في بدء صدورها لانهم احبوا ان يتطلعوا الى

النور بعد الظلام ، وكانت تهديهم سواء السبيل ، وتفتح اذهانهم وتثقف عقولهم ، وقد كان « للمقتبس » اثار معنوية ونتائج عملية ، اذ كانت تفصح على الرأي العام في البلاد ، كما نحى من جرائها بعض الولاة والموظفين، ولا ادل على تأثير جريدته في بيئته ، وعمل مقالاتها في القراء من اضطهاد الولاة لـه ، للعداء الذي لقيه بسبب الصحافة ، حتى اضطره الامر الى الفرار من دمشق مرتين ، مرة الى بيروت عن طريق البحر ، ومرة الى القاهرة عن طريق البر ، فلاقى انواع العذاب ، وقد حاول حزب الاتحاديين اغتياله لانه – كما قال – اصلاهم نارا حامية على السياسة التي انتهجوها مع العرب . الى جانب مقالاته القومية .. كان يدافع عن العرب باحياء اعاظم الرجال ، حتى تتفتح عيون اهل العصر عليهم .

ثقافتـــه :

اشار كرد علي الى دراسته الابتدائية في مدارس (كافل سپاي) الاميرية وانه نال هناك شهادته من الدرجة الاولى ، ثم دخل المكتب الرشيدي العسكري ، فدرس فيه مبادىء التركية وبعض مبادىء الفرنسية واحرز شهادته بدرجة متوسط ، والواقع ان الذي انضج عقله هم شيوخه بصورة خاصة ومطالعاته الكثيرة ، اما شيوخه فيذكر منهم الشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ سليم البخاري ، واما مطالعاته فكانت في كتب اللغة والادب والبيان والاجتماع والتاريـخ والتفسير والفلسفة من الكتب القديمة ، وكذلك انكب على دراسة المحدثين كالشدياق والطهطاوي وغيرهما ، كما طالع كتب كتاب المهجر ، وكانت له صلة باكثر المستشرقين ، وقد اتاحت له اسفاره الاتصال بثقافة الغرب وزيارة المدارس في نواحي فرنسا لكونه وزيرا للمعارف السورية ... لقد انتفع بمطالعاته جدا ولو انه جرى على الاصول الحديثة فيها وثبت المهم على جزازات لكانت الاستفادة اعظم .

دفاعه عن العرب والاسلام :

كان هذا الدفاع مزدوجا – فمرة يدافع عن العرب ومرة يدافع عن الدين ، وينقد الكتب التي يقرؤها

وتتجلى النزعة القومية في نقده بصورة سهلة بسيطة . اذ كان يقف بالمرصاد لكل كاتب يحس بان في كتاباته بعض الانحراف عن الحقيقة بين العرب والاسلام ولم يقتصر في ذلك على الشعور وانما ياخذ بحجج لا ترد في بعض الاحيان ، لم ينقد الرهبان الذين غمزوا في الاسلام وانما تصدى لغير رجال الدين امثال امين الريحاني في كتابه (النكبات) وعلى الرغم من شدة شعوره القومي فان افكاره لا تخلو في بعض الاحيان من شيء من الانصاف – فمن ذلك اعترافه بمساوىء الامويين الى جانب محاسنهم ، وهو من المائلين الى التعاون بين الشرق والغرب . ومن هنا اختلفت نظرته عن نظرة الجمهور الذي جهد في سبيل حرية بلاده . ويبدو لنا رأيه هذا في رده على كتاب (تاريخ فلسطين)

لقد اندفع كرد علي في حب مصر ويرجع ذلك من جهة الى صلة مصر بالشام منذ القديم ، والى فضل مصر واثرها في بلاد العرب الحديثة . ومن جهة ثانية الى ما لقيه في مصر من ادب المصريين ورفعتهم ، حتى انه اثنى على العقاد والزيات والمازني وهيكل ، وغيرهم الا ان لهجته بحب المصريين لم تستمر على حالة واحدة وانما انخفضت انخفاضا شديدا وانقلب الرضى الى سخط عند اكل ، واذا رجعنا الى الاسباب التي انقلب من اجلها وجدناها ناشئة غالبا عن طبيعة مزاجه العصبي وهو اذا غضب لا يبالي بنتيجة غضبه وانما همه ارخاء نفسه على سجيتها ، وهكذا هدم في اواخر حياته ما بناه من حب مصر والمصريين

مؤلفاتـــه :

1 – « خطط الشام » : ويقع في ستة اجزاء تشمل على تاريخ سياسة الديار الشامية ومدنيتها من اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، ونجد فيها خصائص كتابته للتاريـــــخ

2 – « امراء البيان » : وهو جزءان ، تعرض فيهما لعشرة من امراء البيان ، ووصف عصورهم في السياسة والمدنية وذكر عوامل نشأتهم ، وتوخى تحليل ادبهم وعلمهم ، وفيه نجد خصائصه في الادب

3 ـ « كنوز الاجداد » : اهداه الى شيخه طاهر الجزائري ، وفيه تعريف ببعض رجال الاسلام والادب والتاريخ والفلسفة .

4 ـ « اقوالنا وافعالنا » : اهداه الى الملك فاروق وقد حاول فيه ان يعالج بعض المشاكل الاجتماعية كما تعرض فيه لوصف طبقة من الناس ويشتمل على اربعين مقالة .

5 ـ « غرائب الغرب» : سرد فيه ووصف ما رآى في رحلاته الى اوربا وخاصة فرنسا التي اشاد بمدنيتها ومن هذا الوصف نستطيع ان نستنبط سرا من اسراره وهو تجرده لاصلاح المجتمع ، وذلك بعد ان رآى من اثار الحضارة والسياسة والاجتماع والعلم والاخلاق والزراعة والاقتصاد في مظاهر الحياة كلها ، وهو بهذا مثل احمد فارس الشدياق في اهدافه الاصلاحية وفي تحسره على الشرق وتخلفه عن الغرب .

6 ـ « مذكراته » : وقد تعرض فيها لاخلاق رجال باسمائهم ، عاش بينهم فدون كل حق عرفه ... ويجمع اسلوبها بين الهزل والسخرية ، وقد مدح الملك فيصل بصحة عقله وسداد رآيه في الجزء الثالث منها ، وكان قد نعته بضعف الارادة وسوء السياسة في الجزء الاول ، وفي الجزء الثالث ذكر ايضا حسني الزعيم وقال عنه بانه ادهش العالم بثورته ، ثم ذكر قول سامي الحناوي فيه ، بانه طاغية مجرم ، وكان كرد علي شعر بتناقضه فقال بعنوان«انا والعقيدة» . اما بعد فلا يطلب ممن كثر اطلاعه على الاراء المختلفة ان يظل على راي واحد طوال عمره في عويص المسائل » ، وقد كان لهذا الكتاب ضجة في مصر والشام لانه هتك ستر كثير من الناس . والناحية التي برز فيها انما هي جملة من الخواطر العامة التي لم يعرض فيها الاشخاص معنين ، وفى الكتاب موضوعات مختلفة فى الاجتماع والعادات والاخلاق والسياسة والادب ، واذا كنا لا نرى في المذكرات تسلسلا في حياة صاحبها ، فانا نجد فيها مزاجه وعصبيته .

فنـــــه :

ان بيانه هو ابرز ناحية من نواحي عبقريته ، فاسلوبه هو خلاصة اساليب عبد الحميد الكاتب والجاحظ وابن المقفع وابن عبد ربه والغزالي وابن خلدون . علما ان هذا البيان قد عملت فيه عوامل اخرى هي مطالعته الكثيرة لكتب الغرب فاكتسبته الصحافة مرونة عجيبة على الكتابة ، وقد صلحت لغته للموضوعات العاطفية والعقلية ، وهو يقطع جملة في بعض الاحيان تقطيعا موسيقيا فنلمس فى تقاطيعها روح الجاحظ ، كما يعدل عن ذلك احيانا اخرى فيعد العبارة ويبسطها .

وخلاصة القول ان كرد علي يرتفع في بعض الاحيان الى منازل البلغاء المتقدمين ثم ينخفض الى مراتب دون مراتبهم كما نراه يساير الاخباريين في الصحف الاخباريين الذين همهم رواية الاخبار على اي وجه كان . وهكذا فليس لكرد علي نمط واحد في الانشاء ولكنه اذا ارتفع في انشائه بلغ من المكانة مكانا رفيعا .

اللاذقية ـ عيسى فتوح

المؤتمر التاسع والعشرون للتربية والتعليم

البحث التربوي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

- 3 -

تعرضنا في الفصل السابق الى موضوع البحث التربوي وبينا الاهمية التي اخذ يكتسبها في مضمار التعليم والتربية والتي تجلت في مختلف التقارير التي اعدتها الدول المشاركة في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للتربية والتعليم والتدخلات والملاحظات التي ابداها الاعضاء والنواب الذين ساهموا في اشغال هذا المؤتمر ، ونود اليوم ان نلقي نظرة على التوصيات التي خص بها المؤتمر قضية تنظيم البحث التربوي .

لقد افتتح المؤتمر هذه التوصية التي تحمل رقم ستين باستعراض الاعتبارات التي دفعت اعضاءه الى الاهتمام بالبحث التربوي ثم قسمها الى ستة اقسام تشتمل في مجموعها على اثنين واربعين من الفقرات وهذه الاقسام هي :

1 — اهداف البحث التربوي ويتركب من ست نقط .

2 — تنظيم البحث التربوي وطبيعة الاشغال التي يتطلبها ، ويحتوي هذا القسم على 12 فقرة .

3 — تطبيق النتائج وتوزيعها على الدول الاعضاء ، ويتكون هذا الفصل من عشر نقط .

4 — الموظفون المكلفون بالبحث التربوي ، ويضم هذا الجزء 16 نقطة.

5 — التعاون الدولي في ميدان البحث التربوي وهو يشتمل على ثلاث نقط .

6 — تطبيق التوصية في ثلاث نقط .

وقد ورد في الجزء الخاص بالاعتبارات الدواعي الاساسية التي ادت بالمؤتمر الى اظهار اهمية البحث التربوي وابراز الدور الحيوي الذي اخذ يلعبه في مضمار التربية ، ان المؤتمر الدولي للتعليم العمومي ما فتئ يلح اثناء الدورات الماضية وخلال المهرجانات والندوات التربوية التي عقدت في مختلف جهات العالم حول ضرورة معرفة الطفل والكائن البشري ، بصفة عامة ، من حيث جوانبه النفسانية والتربوية ، وجعل هذه المعرفة نقطة الانطلاق لكل عمل تربوي .

ونصت هذه الاعتبارات على الاهمية القصوى التي يكتسيها البحث العلمي في جميع الميادين المتعلقة بالنشاط البشري ، كما جاء فيها ان حل المشاكل التربوية يتوقف عاجلا او آجلا على البحث المجرد والتجربة العملية وان الاهمية المتزايدة التي عدت تكتسيها الدراسات المتعلقة بالتربية تدل على ان هذه الاخيرة ترمي الى تحقيق تقدم البشرية من النواحي الخلقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد اعتبر هذا الجزء بصفة خاصة الالتزامات والفروض المتكاثرة التي تحتمها التخطيطات الدراسية في مختلف مراحل التعليم واطواره والعواقب الخطيرة التي تنتج عنها فيما يخص صحة الاطفال وتطور دراساتهم كما اعتبر ضرورة نشر تربية مستمرة وتربية الكهول التي تقتضي استعمال طرق جديدة وتقنيات حديثة ، وسجل المؤتمرون في هذا الفصل

الطلبات المتواصلة التي تتقدم بها مختلف البلدان للحصول على خبراء في ميادين علم النفس المدرسي والتربية التجريبية وتخطيط التعليم وعلم الاجتماع الخاص بالتربية والنمو كما سجلوا فيه تعدد نشاط المعلمين والتلاميذ وما يتوقف عليه من اماكن دراسية ملائمة ومضاعفة الاصلاحات المدرسية في جميع الاقطار وضرورة اعتبار هذه القضايا من جهة مظهرها العلمي . وقد نص المؤتمر على ضرورة ايجاد حلول مختلفة لمشاكل البحث التربوي تستجيب للظروف والامكانيات والتقاليد والانظمة الخاصة بكل قطر كما نص على أن من واجب علوم التربية باختلاف ضروبها وانواعها واشكالها ان تحقق النمو الكامل للكائن البشري ، من جميع نواحيه البدنية والمعنوية والخلقية والجمالية والاجتماعية حتى يحصل على امثل تكوين واحسن اندماج اجتماعي .

1 — اهداف البحث التربوي :

يعد تحديد هذه الاعتبارات الاساسية التي لا يتصور الاهتمام بالبحث التربوي دون تقديرها والتمكن منها انتقلت التوصية الى الكلام عن اهداف البحث التربوي . ويمكن اجمال هذه الاهداف في النقط التالية :

يتعين على التربية ان تحدد غاياتها وتحسن باستمرار وسائل عملها ومحتواها وطرقها ، ولن يتأتى هذا الا اذا تم تنظيم البحث التربوي وتطوره .

يعد البحث التربوي ضرورة ملحة لاقرار التربية على مقاييس علمية ناتجة عن الدراسات النظرية والتاريخية والملاحظة المجردة وتجربة المربين .

ويتلخص هدف البحث التربوي في اكتشاف القوانين المجردة والمبادىء الاساسية لنظام التربية وضمان تطور النظرية وتحسين طرق تطبيق العمل التربوي .

ولتحقيق هذا الهدف يتحتم وضع دعائم نظرية وعلمية لتصميم عام للتربية بواسطة دراسات مجردة متعلقة بالامكانيات والحاجيات البشرية والمادية في الحاضر والمستقبل ، ومن الضروري أن ينسجم هذا التصميم الهام مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتشريعية والسياسية للتربية .

ومن أهداف البحث التربوي تحسين قيمة التعليم ورفع انتاجه ، ويتحقق هذا التحسين باصلاح البرامج والطرق التربوية في جميع مراحل التعليم واطواره حسب طاقة جميع التلاميذ في مختلف اعمارهم وقدرتهم على هضم هذه الاصلاحات وقابليتهم لهذه التغييرات .

ولن يتسنى للبحث التربوي ان يلعب دوره كاملا في رقي التعليم وتطور التربية الا اذا درست الوسائل الكفيلة :

أولا — بتحسين انتاج طرق التوجيه المدرسي والمهني .

ثانيا — برفع قيمة التربية التي يتلقاها الطفل خارج اسوار المدرسة من طرف عائلته ومنظمات الشباب التي ينتمي اليها .

ثالثا — بتنظيم الدراسات في موضوع التربية المقارنة . هذه هي الاهداف التي حددها المؤتمر للبحث التربوي ، ومما يلفت النظر في هذه الفقرات الحاح المربين على ضرورة تحلي البحث بالتجرد الكامل عن النزعات السياسية واعمال الديماغوجية وابتعاده عن كل ما لا يتصل بميدانه حتى لا تكون اعماله عرضة للضياع .

2 — تنظيم البحث التربوي وطبيعة الاشغال المتعلقة به :

بعد ما تعرضت التوصية المتعلقة بالبحث التربوي الى اهداف هذا البحث والحث على صبغة التجرد التي يتحتم ان يتزين بها انتقلت الى الكلام على تنظيمه ونوع الاعمال التي يتطلبها ويختص بها . وقد جاء في هذا الجزء ان من الواجب على المؤسسات الحكومية والحرة على السواء تخصيص اعتمادات مهمة للبحث التربوي ولباحثين مستقلين حتى يستطيعوا ان يضطلعوا باعمالهم ، في احسن الاحوال ، وان يقوموا بتنفيذ منجزاتهم ونشر آثارهم ويتعين اعتبار قيمة الابحاث في ميدان التربية والتوفر على شروط التجرد والنزاهة والمراقبة والصرامة والجدية العلمية التي يفرضها جميع الذين يقفون حياتهم للقيام بهذه الابحاث على انفسهم .

وتنحصر ميادين نشاط البحث التربوي في الغايات التي تحدد له كعلم قائم بذاته ، ويشمل هذا النشاط الدراسات ذات الطابع النفساني والاجتماعي والاقتصادي كما يشمل دراسة طرق التربية ووسائلها في مختلف اشكالها بعد اعتبار حاجيات التلاميذ والطلبة ومؤهلاتهم وحاجيات المجتمع وامكانياته .

واذا كان في الامكان اجراء الاعمال الخاصة بالبحث التربوي في المعامل والمختبرات والاقسام وغيرها من المرافق الاجتماعية فان هذه الاعمال تحتم استعمال طرق الرياضيات والاحصائيات وتحليل

نتائج الابحاث تحليلا دقيقا ، ومما لا ريب فيه ان اعمالا من هذا النوع تتطلب عمليات تهيىء نظرية حتى يتيسر التمييز بين البحث الصرف نفسه والاختراعات الحديثة وتدخل فى اطار البحث التربوي الابحاث المتعلقة بقوانين التربية وتاريخها بشرط ان تتم هذه الابحاث وفقا لمنهجها العلمي .

وقد عبر المؤتمر عن آماله فى ان يندمج البحث التربوي المتعلق بالقضايا العامة للتربية والتعليم فى تصميم شامل ذي غايات متوقعة حتى يتحقق بين بين الباحثين تعاون وثيق .

ويفرض تنظيم البحث التربوي الذي يعم البلاد وضع تخطيطات بعيدة المدى وتصميمات سنوية لكل مؤسسة علمية كما يفرض تنسيق مؤسسات علمية عديدة تتعاون لدراسة قضية واحدة .

وينبغي التفكير فى كل بحث وكل تجربة تخص التربية ومواصلتها حتى لا يلحق أي ضرر بالتلاميذ ولا بالطلبة الذين هم موضوع هذه الدراسات.

ومما لا شك فيه ان التربية بصفة عامة والبحث التربوي بصفة خاصة ، يهمان مختلف العلوم ، وهذا ما يفرض الاستعانة ببعض الفلاسفة والفيزيقيين والنفسانيين والاجتماعيين وغيرهم من العلماء حتى تتم دراسة تكوين التلميذ فى مختلف مظاهر حياته ووجوده .

وقد نص المؤتمرون فى هذه التوصية على ضرورة توفر كل قطر على مراكز للبحث التربوي ومختبرات خاصة به . حتى يضمن تنظيم هذا البحث بكيفية فعالة مع العلم بأن نشاط مخبر للتربية التجريبية موقوف على بعض الشروط من الوجهة المادية ، ومما يحمل التفكير ان المخبر لا يحتاج الى ادوات مرتفعة الاثمان لانجاز عدد كبير من الابحاث .

ومن الشروط الضرورية لنجاح هذا العمل التربوي ان يشترك فيه المربون والسلطات التعليمية فقد اظهرت التجربة التي جرت فى بعض الاقطار ضرورة مساهمة المعلمين العاملين بمختلف المؤسسات التربوية والمدرسية فى هذا العمل مساهمة نشيطة مباشرة .

وبما ان البحث التربوي التطبيقي يتجاوز المجهودات الفردية التي يقوم بها كل معلم لتحسين وسائل نشاطه فان هذا البحث يتطلب انشاء مدارس تطبيقية يتم فيها تغيير الوسائل بصفة جماعية وتتاتى فيها مراقبة هذه الاعمال حتى لا يتضرر منها النشاط المدرسي .

3 — تطبيق النتائج واذاعتها :

لا يعتبر البحث التربوي منتهيا الا اذا تأتى الشروع فى تطبيق نتائجه ، وهذا ما يجعل من الضروري تطبيق النتائج التي تم الوصول اليها بعد وضع تخطيط للبحث وبعد تنظيمه تنظيما محكما . ولن يتسنى دخول هذه النتائج فى حيز التطبيق الا بعد نشرها واذاعتها عن طريق المحاضرات والمعارض والدروس النموذجية .

فاذا تهيأت هذه النتائج انتصبت المصلحة المكلفة بتنسيق البحث التربوي لوضع كشف عام لهذه التجارب ونشرها فى الاطارين الوطني والدولي .

وتكتسي عملية نشر هذه النتائج شكلين اثنين :

اولهما : تحرير مقالات واعداد كتب تشرح الاحداث والنتائج المتولدة عنها حتى يتمكن الباحثون فى اقطار اخرى من تقدير العمل المنجز وتحديد الظروف التي يمكن أن تطبق فيها هذه النتائج فى بلدانهم .

ثانيهما : تحرير مقالات موجهة للمسؤولين الاداريين ورجال التعليم ومربين آخرين بشرط ان تكون هذه المقالات التوجيهية خالية من المفردات والعبارات التي لا يدركها الا المختصون .

ومن اهم شروط البحث التربوي اجراؤه باتصال وثيق مع المدارس نفسها حتى تستغل النتائج المتوصل اليها فى هذه المدارس كمراجع لابحاث اخرى .

ان البحث التربوي لا يعتبر غاية فى حد ذاته ولكنه وسيلة فعالة لنقل النتائج الى ميدان عملي يتجلى فى البرامج الدراسية والمشاريع التربوية .

واذا كانت بعض المصالح المكلفة بالبحث التربوي لا تتوفر علىمدارس تجريبية فان فى امكانها ان تنشىء اقساما تجريبية فى المدارس العادية وتدخل فى هذه الاقسام بصفة تدريجية نتائج الابحاث التي تم الوصول اليها . ويتعين ادراج نتائج البحث التربوي ضمن برامج مدارس تكوين المعلمين بأسرع ما يمكن ، ومن اجل هذا يتعين اخبار المعلمين والمسؤولين الاداريين والمفتشين بنتائج الابحاث وطريقة تطبيقها اثناء ندوات خاصة وخلال دروس تهدف الى تحسين تكوينهم وتعمق معلوماتهم ورفع

مستوى تفكيرهم . ولن يكتب النجاح الكامل لهذا العمل الا اذا ربطت مراكز الابحاث التربوية صلات وثيقة بالسلطات المدرسية .

4 ـ الموظفون المكلفون بالبحث التربوي :

نظرا لاهمية البحث التربوي والآثار الجليلة التي يمكن ان يخلفها والتطورات الطيبة التي قد يحدثها في مجالي التعليم والتربية فان من آكد الواجبات أن يتوفر القائمون به على ثقافة محترمة وتكوين خاص لا يعقل أن تقل مدته على ثلاث سنوات ولا ان يعطى بغير الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا و المعاهد التربوية الخاصة ؛ ويتكون هذا التعليم من دراسات نظرية عامة كالفلسفة والتاريخ وتنظرية الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وتكوين الجهاز العصبي كما يتكون من تدريبات على بعض طرق البحث العلمي .

واذا كانت هذه التوصية قد نصت على ضرورة توفر الرجال القائمين بالبحث التربوي على تكوين جامعي فان ذلك يرجع الى ان عملهم التربوي سيجعلهم مضطرين للاهتمام بالتعليم في مختلف مستوياته كما سيجعلهم على اتصال وثيق بمجموع المربين والمؤسسات التربوية .

وبما ان المشاكل التي سيتعرض لها البحث التربوي ستتطلب حلولا تربوية شائكة فمن المتعين ان يجري اعمال البحث التربوي داخل مجموعات بشرية يتحتم فيها التعاون مع اخصائيين آخرين كالفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والاحصائيات والاقتصاديين والمهندسين والاطباء المختصين بالامراض العقلية .

ومما لا يعزب عن البال ان مراكز الابحاث التربوية لن تستطيع القيام بمهمتها الا اذا توفرت على حاجياتها الضرورية سواء كانت هذه الحاجيات تتعلق بالافراد من اخصائيين ومساعدين او كانت تتعلق بالتجهيز المادي من ادوات ومعلومات .

واذا كان من المرغوب فيه ان تنظم هذه الابحاث التربوية داخل المؤسسات الخاصة بها فان من المطلوب كذلك مساهمة بعض رجال التعليم فيها نظرا للمسؤوليات المتعددة التي يتحملها هؤلاء المعلمون والاساتذة وما يمكن ان يتوفروا عليه من ملاحظات ومعلومات خلال اضطلاعهم بأعبائهم المهنية اليومية ؛ ولن تأتي هذه المساهمة الا باجل الفوائد على البحث التربوي وعلى هؤلاء المعلمين الذين سيرتفع مستواهم ويتحسن تكوينهم كما ستسمح للبحث التربوي بادراك الغاية التي يسعى اليها وهي تحسين التربية .

ومما لا ريب فيه ان رجال التعليم الذين قد يرغبون في مثل هذه الابحاث لن يستطيعوا القيام بمهمتهم الا اذا حظوا بنظام خاص يخفض من عدد الساعات التي يدرسون فيها ويسمح لهم بالحصول على المستندات والوثائق التي قد يرغبون في الحصول عليها والاتصال بمن شاؤوا الاتصال به من الشخصيات والمراكز العلمية ويتوفرون على تعويضات محترمة .

واذا كان من المطلوب ان يساهم المعلمون والاساتذة القائمون بمهنة التدريس في البحث التربوي فان هذا لا يعني ان يقوم جميع رجال التعليم بهذه التجارب مهما كان مستواهم وكيفما كان تكوينهم بل يتعين ان لا يقوم بهذه التجارب التربوية الا رجال التعليم الذين تلقوا من الاخصائيين ارشادات وتوجيهات في الطريقة العلمية للتعليم والبحث التربوي والذين يخضعون باستمرار في اعمالهم التجريبية ، لمراقبة صارمة من طرف رجال مختصين يقدرون قيمة اعمالهم وفعاليتها .

نعم ! لقد اخذ البحث التربوي ينتشر انتشارا محمودا في كل مكان ، الامر الذي يبشر بان الاعمال التربوية لن تظل ضحية الارتجال والتهور ، وهذا ما يحتم ضرورة توفر اطارات التعليم والتربية ، سواء الاطارات التربوية أو الاطارات الادارية على تكوين نظري وعملي يجعلهم قادرين على تنظيم الابحاث التربوية تحت مسؤوليتهم والقيام بتجارب تربوية محدودة تدخل في مجموع الاشغال التي يقوم بها المسؤولون عن البحث التربوي ، ولن يتحقق هذا التكوين الا اذا حصل المعلمون والاساتذة على معرفة مبادىء البحث التربوي وتقنياته اثناء دراساتهم الجامعية حتى يكونوا على بينة من قيمة الاستقصاء العلمي في مضمار التربية وحتى تكون لهم الكفاءة المطلوبة لاستخلاص التطبيقات العلمية لهذه الابحاث .

5 ـ التعاون الدولي :

لن يستطيع البحث التربوي ان يدرك الغاية المنشودة الا اذا اعتمد سائر المهتمين به على تعاون دولي فعال بين المؤسسات الوطنية والاقليمية والدولية

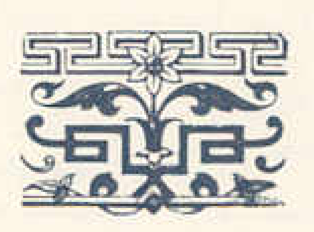
المكلفة بهذا النوع من الابحاث . وسيكون لهذا التعاون الدولي اجمل العواقب اذ سيسمح بتقوية التبادل بين مراكز البحث التربوي خصوصا اذا ما تم تأسيس مصلحة دولية تجمع هذه التجارب وتدرسها وتنشر مختلف النتائج في مجلات تربوية دولية كما سيسمح بتيسير الابحاث في مضمار التربية المقارنة وطرقها وتذليل العقوبات التي قد تحول دون القيام بهذه الابحاث والمساعدة على وضع المسائل التي قد يضطر بعض الباحثين الى وضعها وتحديد موضوعات مشتركة للبحث التربوي بين قطرين او ثلاثة والحيلولة دون تكرار نفس العمل والابتعاد عن التقيد وعدم الانطلاق الناتجين عن قلة الاتصال والاستخبار .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلم (اليونسكو) والمكتب الدولي للتربية يبذلان جهودا محمودة لتسهيل تنسيق اعمال مراكز الابحاث التربوية بعقد مؤتمرات دولية واقليمية لمقارنة هذه الاعمال وبضمان توزيع الاخبار المتعلقة بهذا النشاط التربوي عن طريق المجلات والافلام ...

ومع هذا فقد اوصى المؤتمر الشعوب المتقدمة في هذا المضمار باتخاذ التدابير اللازمة لمساعدة الدول النامية بمختلف الوسائل كامدادها بالخبراء الاكفاء وتشجيعها ماديا ومعنويا على تأسيس مراكز خاصة بهذا العمل واعطائها المنح الضرورية لتكوين طلبتها الراغبين في التخصص في البحث العلمي وقبول بعض الطلبة كمتدربين في المراكز الموجودة باقطارهم .

هذه نظرة موجزة عن التوصية الستين التي اصدرها المؤتمر الدولي التاسع والعشرون للتربية فيما يتعلق بتنظيم البحث التربوي ، وقد ختمها بفقرات تهتم بمتابعة كيفية تطبيقها وطريقة مراقبتها في مرحلة التنفيذ ملحا على مختلف الاقطار الاعضاء بالمكتب الدولي للتربية والتعليم حتى يعتنوا بالبحث التربوي وينظموا مراكز خاصة به نظرا لما في ذلك العمل من ربح للتعليم وفائدة على مستقبل التربية والمربين ، ويتجلى من هذه التوصية ان المؤتمر لم يهتم بالبحث التربوي من حيث تنظيمه المادي ولكنه انكب على دراسة الجوانب البشرية والمعنوية ملحا حول ضرورة الاهتمام بالموظفين الذين سيكلفون بهذا النشاط التربوي الهام والذين يتعين عليهم ان يتوفروا على جميع الضمانات المادية والمعنوية حتى يستطيعوا القيام باعمالهم في جو من الراحة والهناء دون ان تضغط عليهم السلطات مهما كان نوعها او اتجاهها ، ويتضح من الحاح التوصية أن من الواجب ان يتمتع المربون والعلماء المكلفون بالبحث التربوي بالحرية الكاملة والاستقلال التام في عملهم حتى لا يتأثر نشاطهم ويفتر حماسهم وتضيع بذلك التجارب التربوية التي يقومون بها ، ومما لا ريب فيه ان رجال البحث التربوي لن يتمكنوا من اداء مهمتهم الا اذا حصلوا على الاجور المناسبة حتى لا يظلوا منزعجين بالتفكير في احوالهم المادية وحاجياتهم اليومية ، وهكذا فقد نص المؤتمر على ضرورة احترام هؤلاء الموظفين وتمتعهم بالحرية والنزاهة والتجرد والحقوق المادية ليستطيعوا الاضطلاع بمسؤوليتهم التربية في احسن الاحوال واطيب الظروف .

الربـاط : **عبد اللطيف احمد خالص**





للأستاذ محمد العربي الخطابي

اولا :

تعترض سير اللغة العربية مشاكل جوهرية منها:

ا) تخلف الاقطار العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، واللغة تتاخر حتما بتخلف الامة وتزدهر وتترعرع بتقدم الجماعة التي تتكلم بها .

الم تكن اللغة اليابانية واللغة الروسية متخلفتين منذ نحو مائة عام ، وكانتا قاصرتين ، الى حد كبير ، عن التعبير العلمي والتقني الذي ظهر مع الحضارة الصناعية ؟

ولنا امثلة من التاريخ ايضا : فاللغة العربية التي كانت لغة الشعر والتعبير المجرد فى الجاهلية والصدر الاول من الاسلام استطاعت ان تطفر طفرة كبيرة ، بسبب الفتوحات والثروة والاحتكاك ، فما لبثت أن انفتحت امامها آفاق التقدم والرقي فاصبحت لغة العلم والفلسفة والادب والدواوين (الادارة) .

وبمقارنة ذكية يتضح لنا ما حققته اللغة العربية ، كذلك من تقدم ملموس فى مدة مائة عام فى مطلع النهضة العربية الحديثة .

ب) تقاعس الحكومات العربية او عجزها عن بناء الوحدة الثقافية التي هى فى نظري أس الوحدة السياسية والاقتصادية بين اقطار العرب . وقد بقي دستور الوحدة الثقافية العربية الذي وقعه وزراء التعليم فى بغداد منذ سنوات قليلة حبرا على ورق .

وما لم تصبح هذه الوحدة الثقافية العربية حقيقة قائمة فسوف يبقى الكلام عن توحيد المصطلحات العلمية ووضع المعاجم والموسوعات والكتب الدراسية على نحو منسق ، سوف يبقى الكلام عن ذلك ضربا من العبث .

ج) الاستعمار الفكري الاوربي الذي كان من العوامل التي اضعفت الثقة باللغة العربية وعممت الجهل بها بين المتعلمين فى عدد من الاقطار العربية . وقد ضرب الاستعمار الفرنسي الرقم القياسي فى ذلك باضطهاده لغة الضاد فى تونس والجزائر والمغرب وانشائه طبقة متعلمة منفصلة عن جذورها جاهلة بلغة قومها وبحضارتهم .

هذه هي المشاكل الجوهرية ، فى نظري ، اما تبسيط النحو العربي وتوليد المصطلحات ووضع المعاجم الضرورية فكلها مشاكل ثانوية متفرعة عن تلك ومرتبطة بها .

ثانيا :

الحلول الناجعة ، كما اراها ، هي :

ا) بناء الوحدة الثقافية العربية باسرع ما يمكن . ومعنى الوحدة هو :

— مناهج دراسية واحدة .

— كتب دراسية واحدة .

— مجمع لغوي وعلمي عربي واحد ، وجهود متناسقة ومتآلفة ، ماديا وعلميا ، لوضع المعاجم واقرار المصطلحات والالفاظ الجديدة .

ب) العناية الكبرى بالبحوث العلمية اللغوية وغيرها في الجامعات خاصة .

ج) ايجاد اساتذة جامعيين ، على مستوى عربي ، مؤهلين للتدريس والبحث باللغة العربية في جميع الكليات . وذلك طبق منهاج مخطط تتفق عليه كل الاقطار العربية .

ثالثا :

لا شك ان اللغة العربية تصلح للتدريس والبحث الجامعي ، لانها لو لم تكن كذلك لما استحقت ان تحمل اسم لغة ، ولما كانت قادرة ان تنقل عبر قرون عديدة ثقافية علمية وادبية وفلسفية تعد من المع الثقافات العالمية المعروفة لو ما استطاعت كذلك ان تقف في وجه استعمار غربي قوي تسلط على البلاد العربية اجيالا وحاول فيما حاوله القضاء على لغة العرب .

نعم ، ينقصها في الوقت الحاضر ، عديد من الالفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية التي ولدت مع حضارة العصر ، وهذا ليس عيب في اللغة العربية ، بل هو نقص في ابنائها وقصور وتخلف في شعوبها ، وليس من المستحيل ولا من الصعب تداركه .

رابعا :

من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين :

ا) نقص كتب الدراسة والمراجع والمعاجم ، وخاصة في الكليات العلمية .

ب) تقصير الجامعات نفسها في ميدان البحث العلمي الذي لا يتصور ان تستغني عنه جامعة عصرية . وما زلنا نشاهد في المغرب ، مثلا ، مسؤولين يؤمنون ان الجامعة ما هي الا مؤسسة غايتها تكوين الاطارات ، اي تكوين الموظفين واصحاب المهن الحرة .

ولا يخفى ان تشجيع البحوث في الجامعات عامل جوهري في ايجاد المراجع والكتب الدراسية وفي توليد المصطلحات وتعميمها بين الطلاب الجامعيين .

لقد دلت التجربة على ان العلماء الباحثين حينما يؤلفون كتابا او مرجعا علميا لا يعوزهم استنباط المصطلحات او توليدها او تعريبها ، وهم في ذلك لا ينتظرون ما ستعمله المجامع اللغوية ، بل يعتمدون على علمهم وخبرتهم ومعرفتهم بلغتهم مع لغة اجنبية او اكثر . والادلة على ذلك موفورة ، لذا فان تشجيع الباحثين والمؤلفين الجامعيين عمل هام من شانه ان يساعد على اثراء اللغة العربية بما هي في حاجة اليه من الفاظ ومصطلحات ومراجع وادوات علمية وتقنية .

خامسا :

من الخطأ الظن بان المجامع اللغوية هي وحدها المسؤولة عن استنباط المصطلحات وتوليد الالفاظ الجديدة . ان الجهود الفردية وجهود ارباب المهن المختلفة ضرورية في هذا الباب . فالعالم الذي يبحث ويؤلف ويترجم ، والخبير الذي يعمل في مكتبه او معمله ، والصناع الذين يشتغلون في المصانع، والرياضيون ورجال الفن كلهم يشاركون في ميدان اختصاصهم ، في ايجاد الالفاظ والمصطلحات التي تدعو اليها الحاجة . ومهمة المجامع اللغوية ، فضلا عن التوليد والابتكار ، هي الجمع والتنسيق وتبني الالفاظ الصالحة المبتكرة وتصنيفها في معاجم وقواميس .

وليس يخاف على احد ان معظم الالفاظ التي تستحدث يوميا في اللغات المتقدمة باوربا وامريكا تجري على الالسنة وفي الصحف السيارة حينما يبتكرها ذوو الاختصاص في المصنع او المختبر او النادي او المسرح او المرسم .

نعم ، المشكلة عندنا ، هي توحيد المصطلحات ولاجل ذلك وجد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وعمله في هذا الباب نافع جدا ، والمنهاج الذي اعده لجعل المصطلحات العربية « موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة » منهاج صالح جدا ، والمهم هو ان يسند عمل المكتب ، ماديا وعلميا (وسياسيا ايضا) حتى يؤدي واجبه في احسن الظروف والاحوال وحتى لا يعوقه عائق ، وهذا الاسناد حتمي ومستعجل لان عجلة التقدم لا تنتظره . وقد عرض المكتب الدائم حاجته ووسائله ، وبنى تقديراته على اسس علمية وتقنية ، وحدد زمن الانجاز ، وهو زمن ليس بطويل (عشر سنوات) اذا قسناه بمدة التخلف الفكري والاجتماعي التي عاشتها اقطارنا .

الرباط : محمد العربي الخطابي



للأستاذ عبد القادر زمامة

- 3 -

41 — معرفة محمد بن يزيد ... !

اورد صاحب النفح نادرة عن ابي القاسم الشريف السبتي استاذ لسان الدين بن الخطيب مجملها :

ان ابا القاسم هذا كان فى مجلس حكمه يتلقى شهادة من بعض الغزاة .. فقال لهم : هل ثم من يعرفكم ... ؟ فقالوا : نعم .. ! يعرفنا على الصباغ .. فتوجه اليه القاضي بسؤاله .. اتعرفهم يا ابا الحسن ..؟ فلم يكن من هذا الا ان اجاب القاضي على الفور .. نعم يا سيدي ..! معرفة محمد بن يزيد..!

فلم ينكر عليه شيئا .. ! وقال للغزاة : انظروا من يعرف معه رسم حالكم ... فانصرفوا راضين ...!

وقد تفطن ابو القاسم الشريف الى اشارة ابن الصباغ الذي كان يقصد بكلامه البيتين الشهيرين اللذين هجي بهما ابو العباس المبرد صاحب (الكامل)

اسائل عن ثمالة كل حي
فكلهم يقول : « وما ثماله .. ؟

فقلت : محمد بن يزيد منهم
فقالوا الان زدت بهم جهاله ...!

42 — سعد بلع

وجدت هذه القطعة منسوبة لابى القاسم الشريف .

قالوا : ابو بكر متى — ما حضر الاكل طلع
وان تكن وليمة — يخب فيها ويضع
ما اعجب السعد الذي — ساعد ذلك اللكع
فقلت : حقا قلتم — لكنه سعد بلع ...!!

43 — البيضاء والحمراء ... !

فى عصر بني مرين كانت — البيضاء — وهي فاس الجديد عاصمة المغرب .. كما كانت — حمراء غرناطة — عاصمة بني الاحمر وكان ذلك مدعاة الى استغلال ذلك فى المساجلات الادبية ..

فمن ذلك ما رواه ابو العباس المقري فى النفح..

ان اديبا اندلسيا سال عن صديق له اديب من اهل فاس رمدت عينه .. ! فقال الفاسي :

يا سيدي عيني قد
اودت قذاها بالانس
فانظر اليها ترها
دار مليك الاندلس ....!!

وهو يقصد ان عينه قد احمرت من اجل الرمد.. فاجابه الاندلسي :

وقيت مما تشتكي — من القذى والوصب
ما رمدت عيناك بل — عين العلا والادب
فلتحمدن ان لم تكن — دار مليك المغرب ..!

وهو يقصد فاس الجديد — البيضاء — التي كانت اذ ذاك عاصمة لبني مرين .

44 — ابد الدهـر يضـرب ... !

فى آخر ترجمة ابن خلكان لابى موسى الجزولي صاحب — المقدمة — الشهيرة — هذه الابيـات مـن نظمـه :

لسـت للنحـو جئتكـم لا . ولا فيـه ارغـب
خـل زيـدا لشانـه اينمـا شاء يذهـب
انـا مالـي ولامـرىء ابد الدهـر يضرب ...!!

45 — عقـوق وعنـاد ..!

وجدت منسوبا للشـاعر مالك بـن المرحـل السبتـي :

ان المتعلميـن عليـك اعـدى
اذا علمتهـم مـن كـل عـاد ..!
فمـا عنـد الصغير سوى عقوق
ومـا عنـد الكبير سوى عناد .!

46 — بيت فى سماط العدول ..!

وجدت بخط بعض الثقات انه كان مكتوبـا بسماط العدول بفاس سنـة 1193هـ هذا البيت ....

لقـد طلبـت هينـا موجـودا
ابهتـا تريـد ام غـنـودا .. !

47 — امام (العصر) فى (المغرب)

وجدت منسوبا لـذي الوزارتين لسان الديـن ابن الخطيب لما تحقق انه مقتول لا محالة .. وذلـك عشيـة يـوم قتلـه ..

قف لترى مغرب شمـس الضحى
بيـن صـلاة العصـر والمغـرب
واسترحـم اللـه قتيـلا بهـا
وهو امام (العصر) فى (المغـرب)

48 — خطيـب ..!

وجدت منسوبا لابي الربيع سليمان الحوات فى وصف خطيب :

هـذا الخطيب تمـج النفس خطبته
كانـه اليوم بين الضـال والسلم
والسامعون له من طول مـا لبثوا
(قـوم نيـام تسلوا عنه بالحلم)

49 — فردوسهـا الكيتـان .. !

وجدت فى رحلة ابن زاكور المسماة : (ازاهـر البستان فيمن اجازنـي بالجزائر وتطوان) قوله فى مدينة تطـوان

تطوان وما ادراك مـا تطـوان
سالت بهـا الانهـار والخلجـان
قل ان لحـاك مكابـر فى حبهـا
هـي جنـة فـردوسـها (الكيتان)

50 — الدغوغي شاعر الدلائيين ...

وجدت بكناشة الفقيه العباس بن عبد الرحمـن السجلماسي فى التعريف بالدغوغي الشاعر الهجـاء مـا يأتـي :

كان من موالي اهل الدلاء ، ونشأ فيهم وكـان هجاء لا يسلم احد من هجـوه منهم ولا من غيرهم . وكان يجلس فى موضع معد لازبالهم فلا يمر به ذكـر ولا انثى الا هجاه نظما او نثرا . وهجا جملة مـن الشعراء . ولم يفحمه الا رجل من الموالي ممن رضع ثدي الادب فى الزاوية الدلائية .. وكان الدغوغي فيـه نقطة برص . فقال الرجل المذكور فيه ، وكما يديـن الفتـى يـدان :

يا نقمة جلسـت بمريـض البقـر
ونقطـة ظهرت فى اقبح الصـور
اذ رآك انـاس قـال قـائلهـم
سبحان من اظهر الشيطان للبشـر

51 — وحرمت الشحوم على اليهود ...!

فى زاد المسافر ص 9 ، وقال شاعر متحامـق من اهل مراكش يعرف بابن تليس يهجو الجـراوي وكان يجالس بنـي الشحمـات ..

بنـي الشحمات انتـم خيـر آل
واكـرم مـن تسامـى بالجـدود
ارى نجـل الجراوي لكـم جليسـا
وحرمت الشحوم على اليهود * ..!

* يعرض بابن العباس الجراوي لان اليهوديـــةكانت منتشـــرة فى قبيلته قبل الاسلام .

52 ـ اليكـي الهجـاء ...!

اشتهر يحيى بن سهل اليكي ـ بالياء ـ بهجوه المتذع الذي نجده في معجم البلدان لياقوت .. ونفـح الطيب وزاد المسافر غير انه كان متناقضا يمـدح ويهجو لباعث شخصي ليس الا .. ومن اغرب ما وقـع له في ذلك .. انـه مدح المرابطين ببيتيـن شهيرين ..! ثم هجاهم ببيتين شهيرين ..! فقال في مدحهم :

قوم لهـم شرف العـلا من حمير
واذا انتمـوا لمتونـة فهـم هـم
لمـا حـووا احراز كـل فضيلـة
غلب الحيـاء عليهـم فتلثمـوا ...!

وقـال في هجوهم :

في كـل مـن ربط اللثـام دنـاءة
ولو انـه يعلـو علـى كيـوان
المنتمـون لحميـر لكنهـم
وضعـوا القرون مواضع التيجان..!

53 ـ لاكنسوس ام لمحمد عبـده .؟

ذكـر الشيخ رشيد رضا في كتاب حياة الاستاذ الامام ج 1 ص 1027 ان الامام (محمد عبده) انشـد هذه الابيات على فراش مرضه الذي توفي منه :

ولسـت ابالـي ان يقـال محمد
ابـل ام اكتظت عليه المآتـم
ولكن دينـا قـد اردت صلاحـه
احـاذر ان تقضي عليه العمائـم
وللنـاس آمـال يرجـون نيلهـا
وان مت ماتت واضمحلت عزائـم
فيا رب ان قدرت رجعـي قريبـة
الى عالـم الارواح وانفض خاتـم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليل قاتـم

ومن الغريب المستغرب انني وجدت في المجلـة التونسية (مرآة الساحل) العدد الاول الصادر بتاريخ ابريل 1966 ـ تصحيح ـ نسبت هـذه الابيـات الى الاديب المؤرخ المغربي محمد اكنسوس المتوفـى سنة 1294 هـ 1877 م .. وان محمدا عبده انمـا انشدها متمثلا فقـط .. !!!

ولم تذكـر المجلة ـ المصدر ـ الذي اعتمدته في هذا ـ التصحيح ـ .. !!!

54 ـ سابق البربـري

وجدت ابـا عبيد البكـري المتوفى سنة 487 هـ يذكر في كتابه ـ فصل المقال ـ الذي طبعته جامعـة الخرطوم سنة 1958 ... الشاعـر سابـق البربري ثلاث مرات ص 85 و157 و258 وينسب اليـه الابيـات الشهيـرة

ابـدا بنفسـك فانههـا عن غيها
فاذا انتهت عنـه فانـت حكيـم
فهناك تقبـل ان وعظـت ويقتدى
بالقـول منـك وينفع التعليـم
لا تنـه عـن خلـق وتأتـي مثله
عـار عليك اذا فعلت عظيـم ...

وقد نسبت الابيات كما هو معلوم للمتوكـل الليثـي ...

ويفهم من كلام البكري انه اطلع على ـ ديوان ـ سابـق البربـري ... !!

فـاس : عبد القادر زمامة

ديوان المجلة



وطئتك اقدام الذئاب العادية ... وغزوك – يا قمري – بشهب نارية
طاروا اليك على صواعق نارها ... في الارض والاجواء نار عاتية
ترقى معارجك الشداد كأنها ... جن تزمجر او رعود داوية
نهضت تمزق في علاك مجاهدا ... وتزيح استار الفضاء العالية
وتذوب من حر اللظى احشاؤها ... فتغيب عن ابصارنا في ثانية !
لا البرق عند مروقها برق ولا ... شم الجبال اذا انبرت راسية
وتظل تسبح في الفضا دوامة ... لا تستريح ولا تراها وانية
من كان يحسب ان اقمار السما ... ستصاب يوما في الحياة بداهية !
فتدور في هالاتها وكأننا ... في نزهة او رحلة سندبادية !
ذلت جباه النيرات ولم تعد ... في مأمن تلك الشموس النائية
وتضاءلت ابعادها في لمحة ... وتفتحت ابوابها المتعالية
وكأنما ترنو الى اقمارنا ... شزرا وتوشك ان تصد الغازية
وتعد صنع العبقرية دمية ... عمياء تزحف بالوجود لهاوية
في كل يوم غزوة واغارة ... ومراكب وقذائف شيطانية
قد هنت يا قمري فلم تعصمك ... من جشع الورى ابعادك المترامية
او ليس ابلغ في الاهانة ان ترى ... قردا يؤمك او كلابا عاوية ؟!
ما زال صدر الارض رحبا لم يضق ... وكنوزها بالخير تطفح جارية
في الارض طاقات وخير ضائع ... وتموت حرمانا شعوب طاوية !

في الارض جهل ضارب اطنابه ومجازر في كل ركن دامية
ما ذا يفيد الضائعين لو انشا سقنا لهم فتحا لدنيا ثانية ؟
والارض ليس لهم بها شبر فمن يعطيهم ذررا هناك فضائية ؟

* * *

يا وجه ليلى في البراءة والسنا ونجي قيس في الليالي الماضية !
يا ملهم الشعراء من عليائه وحيا يسيل سبالكا في قافية
بالامس كنت شبيه وجه حبيبتي تجلو بنورك شجو نفسي الداجية
ان قلت مثل البدر وجه حبيبتي لم آل في وصفي مناى الغالية
او قلت غاب البدر لم يكن غالبا الا شبيهك عن عيوني الرانية
واضيعة الشعراء بعدك ان سطت ايدي الغزاة على رباك الزاهية !
ايريد طاغي الارض ان يطأ السما اسكندريا كالعصور الخالية ؟ !
ليبث فيها عدله وسلامه والارض مثخنة بايدي الطاغية !
ايريد سفاح الدماء مارحا اخرى ليفتك بالضحايا النائية ؟ !
ضاقت فجاج الارض عن نزواته فرمى على الاقمار نارا حامية
يا غازي الاقمار ! هذي ارضنا عطشى وجوعى في مآس ضارية
وجه جهودك للسلام وللبنا وارفع صروح العدل فيها عالية
حول صحاريها جنانا تشتهى وجبالها مدنا شوامخ هادية
عار على دنيا الحضارة ان ترى فيها جسوم جائعات عارية !

* * *

اني اخاف على ثراك وقدسه من ان تدنسه الخطايا الفاشية
واخاف ان يغدو ضياؤك ظلمة تضفي على الدنيا مسوحا بالية
العيش دونك مجدب لا يشتهى وتفاهة وخسارة متناهية
خلوا حبيب الشمس في أبراجه ودعوه يدلف في سماه العالية
خلوه يغمر ارضنا من نوره ويزيح احزان النفوس الصادية
فلبعده عنا تدفق نوره لا تطفئوا فينا الحياة السارية
لا تطلبوا فوق النجوم سعادة ان النجوم شقاوة الانسانية !

تطوان : محمد الحلوي



للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

الفصل الثاني

المشهد الاول :

المنظر :

يدخل تغيير يسير على المنظر الاول ، بحيث لانرى النافذة ، ويكون الاثاث هنا ثمينا ، ويتخذ الجميع شكل « ناد » يجتمع فيه ادباء « قرطبة » بمنزل « ولادة » .

ونراها الآن .. وقد انهت تصفيف شعرها وارتدت افخر ثيابها ، ولكن (عائشة المغربية) اتت لزيارتها ، ونشاهدها وهي داخلة من الباب الخارجي ،

عائشة : لك « ولادة » اتيت اشتياقا
ولادة : لك شكري ....
عائشة : انت الفتاة الوفية
ولادة : اخبريني .. اختاه – عائشة الا ن ، فهل زانتني الثياب السنية
عائشة : هذه حلة الجمال بلون يفتن العين
ولادة : انها لهدية
عائشة : اخبريني – يا ربة الحسن – من ذا لك اهداها غضة قرمزية
ولادة : « ابن عبدوس »
عائشة : يا له من حبيب
ولادة : لست تدرين ..
عائشة : اخبري .. لست ادري
ولادة : هو يهوى ان يفتدي لي زوجا وهو بين الشباب اصدح طير
لا تظنيه شاعرا ... ليس الا انه في الحديث يغري بسحر
عائشة (كمن تريد أن تعترض ، فتقول في عدم اكتراث) :
قد سمعنا حديثه ، وقرانا شعره ...
ولادة : انني سأتبع نصحك
عائشة : اسمعي – يا ولادة – ان رايي ان تكون الحياة تتبع فكرك
فكري .. فالفتاة بنت التمني كل حلم عند الفتاة سيدرك

هـل سترضينه لنفسك زوجا ..؟

ولادة : لا . .

عائشة : هـل يملك الحب امرك

ولادة : قـولـة منك طالمـا سمعتهـا — اذنـي حكمـة مـن العقـلاء
اخبريني هـل اصبح الحب نحـا ؟ — ام تـرى يخنقون حب الفتـاة ؟
ان فـي الحـب للفتـاة حيـاة — هل سوى الحب عيشة في الحياة ؟

عائشة : اقصري ـ يا ولادة ـ واسمعيني — ان في الشرع فصل هذا الخطـاب

ولادة : انت تدريـن ما اطلاعـي عليـه — ان رايـي مطابـق للكتـاب ...
ان زوجـي ما يرتضيـه فـؤادي — لا الذي ترتضيـه لـي الاوضـاع
خبريني .. حبيبتي .. خبريني — عن حقـوق الفتـاة كيف تضـاع
لن يعـود الفخار للشعب ، ما لم — يكـن الـراي للفتـاة يـطـاع

عائشة (تقاطعهـا)

اقصري ـ ياولادة ـ واذكري لـي — هل تكونين لابن عبـدوس زوجـة

ولادة : لست ادري ..

عائشة : اذن فما لك حيرى ؟ — ان في القلـب مـن حديثك رجـة

ولادة : ضاع فكري ما بين قلبي وعقلي

عائشة (وقد شعرت بان (ولادة)تشرك في حبها رجلا آخر مـع ابن‌عبـدوس) :

مـن وراء الكـلام يكمـن سـر
خبريني من ذا هـويت ، فانـي — مثـل ام يهـولها منـك امـر

ولادة ـ (تلوح لابن زيدون) ـ ،

انـا اهوى نجمـا ، ولكن خفيـا — اين منه مجـد ، وعـز وفخـر؟
ليس يدري بان في الكـون قلبـا — خافقـا مـن هـواه لا يستقـر
واری دونـه فتـى ذا ازدهـاء — وله في الحياة مجد ، وذكـر ...
طامعا في اغتنـام حبي كـي يـز — داد مجـدا ، لكن فـؤادي يفـر

عائشة : من يكون الفتـى الخفـي ، فانـي — اعـرف الماجـد الذي قـد عنيت

ولادة : ان هذا النجـم الخفـي يسمـى — « ابن زيدون »

عائشة : نعم من قد عشقت

ولادة : انشدتني من شعره « مهجة » اليو — م ،

عائشة : واني روت قريضه « مهجـة »

ولادة : لست ادري ..

عائشة : فربمـا قد راتـه — تاليا شعـره لطـرب فـوجـه

ولادة : حدثتنـي عنـه جمـالا وخلقـا

عائشة : انـه في البـلاد احـدث ضجـة

فلمـاذا جهلتـه ؟

ولادة : ويك مهـلا — ان هـذا ما حـذر العقـل منـه
ان يكـن من هواة فن القـوافـي — فلماذا عـن فنـه الحلـو يلهـو
ولمـاذا لم يات نـادي يـومـا — ان للامـر فـوق ذلـك معنـى
انـا اخشـى منـه بـرودة روح — انـا اخشى منـه خمولا وجبنـا

عائشة : سامحي ـ يا سمـاء ـ قلب فتـاة

ولادة : هـو لا شيء .. شاعـر يتغنـى

عائشة : لا تظنيـه شاعـرا ينظـم القـو — ل ، وظنيـه ماجـدا عبقـريـا
هل رايت البركـان ينفث نـارا — انـه قلبـه شـريفـا ابيـا

عائشـة : كيف ادعاؤك .. ؟ والحياة شهيدة هيا اسمعي عنه حديثا صافيا
بالامس .. قد عقد ابن زيدون محفلا في داره .. فرايت فكرا عاليا
وابن الحياة شعوره .. لا قوله وابن المكارم من يحبك وافيا
يفدي (ابن زيدون) الحياة عزيزة بالروح ، لا يرضى المعيشة غافيا
في الحفل لا انساه ينصر فكرة لك .. حينما ذكروا له ناديك
ويرى برايك .. هذه افكاره جنحت بزورقه الى واديك
ولادة : هو يهوى مثلي القديم ، ويابى ان يكون القديم قولا معادا
عائشـة : لست تدرين – يا بنتي – اي عز سيلاقي .. واي مجد ارادا ..؟
اسمعي .. انني اسائل عنه فاراه ذي الحياة معادى (1)
قد سالت « العميد » عنه ، فابدى لي سرا ... اهاج مني الفؤادا
« سوف نعلي قدر ابن زيدون يوما سوف نحبوه في الحياة ودادا
هل سيرضى ان يفتدي كوزير .. » هكذا قال نخوة واعتدادا
قلت : مهلا .. مولاي .. كيف سيابى انه طامح ، وخير منادى
منية النفس – (تدخل – :
ان « ماري » بالباب
عائشـة : ماذا ارادت ؟
عائشـة : لست ادري ..
منية النفس : عودي لها .. واساليها ..
ولادة : ان « ماري » خليلتي
عائشـة : غير اني في مجال الاخلاق لا ارتضيها
ولادة : اي شيء تعنين .. لست اماما
(ثم تلتفت جهة « منية النفس »)
صاحبيها الى هنا .. واقدريها ..
منية النفس : لك سمعا ...
ثم تقول لماري : تفضلي
ماري تدخل فسلامي لملاك الجمال ...
ولادة (وهي تقبلها) اهلا وسهلا
ماري : لك شكري ...
ثم تقبل على عائشة وانت يا سلوة الروح ..
عائشـة : لك الشكر ..
ماري : انت احرى واولى
ولادة (تشير الى المقعد) ،
فتفضلي ..
ماري : شكرا ..
ولادة : فقولي « مريمي » ماذا حملت لنا من الاخبار
ماري : خبر له تهتاج « عائشتي » اذا سمعت صداه كرنة الاوتار
ثم تقول لعائشة :
طيري اذن فرحا ..
عائشـة : وكيف ؟
ماري : فقد غدا بالامس «ابن زيدون» الهمام وزيرا
عائشـة (ترفع يديها الى السماء) :

1) من المعاداة

سبحان ربي ناصرا من لا نرى لطموحه في ذى الحياة نصيرا
ما كان من صعب يهون ، اذا اغتدى قلب الشباب مكافحا وصبورا
لا يأس في الدنيا من الامل الذي في القلب ما دام الفؤاد سعيرا
الله ينصر كل روح حرة ويكون للقلب الابي ظهيرا
وابن الحياة شعوره وضميره لا ان يعيش من الخمول حقيرا
هذا «ابن زيدون» الذي من حوله زمر العداوة قد غدا منصورا

ماري : مهلا « اعائشتي » اثرت شجوننا ولقد ظننتك عند هذا تضحكين

عائشة : تتلون الاشياء مثل شعورنا كم تضحك الاحزان من قلب حزين

ولادة : ما هذه الافكار ؟

عائشة : انت كزهرة ريانة ... تندى بنفح عاطر
اما انا ... اما انا ..

ولادة (فى حركة تقليدية) :
اما انا ماذا .. ؟ افيقي من نعاس قاهر

ماري (وهي تبتسم) :
هذه يا « ولادة » اضحكتني ان في قولك الجميل لنغمة
خفة في وداعة .. اين منها وثبة الظبي ...

عائشة : ان تلك لنغمة

ماري : ولمن .. ؟

عائشة : للحبيب

ماري : اي حبيب

عائشة : «ابن زيدون» قد سما اخلاقا
لا ارى في شباب « قرطبة » اليوم همامـا نحو العلا سباقا
كابن زيدون .. شعره في الغواني سار سير الصباح بالاضواء

ماري (وقد احست بنار الغيرة) :
ارتاي ان شعره غير سام و « ابن عبدوس » شعره في ارتقاء
اسمعيه مغنيا بحبيب فاق في حسنه جمال البدور
صادني حبها لاول نظرة فعشقت الجمال منها وسحره
ابذل الروح في هواها ، وحسبي ان اذوق الهوى لاول مرة
صنت حبي بين الضلوع لهيبا وسكبت الدموع اطفيء حره
حرت ما الحب ؟ ما الهوى .. اين مني من يريني وجد الغرام وسره
هي احلى من رنة العود صوتا هي ازهى من ظبية الرمل خطره
زرتها في الظلام ..

عائشة (تقاطعها) مريم يكفي قبل ان تنطقي بفحش الكلام
« زرتها في الظلام » ما بعد هذا غير ذكر الفحشاء ... قبل الختام
اسمعي .. حينما ابن زيدون يشدو فيصب الانغام خمرا حلالا
قد راى زورقا على اليم يجري هيج الذكرى في الفؤاد .. فقالا:
ايه يا زورقا حملت حبيبي قف على الشط ان لي فيك ذكرى
هل وعى الموج فيك نجوى غرامي او درى الريح في شراعك سرا
انت ذكرى لقلبين عاشا بعرفان الغرام قدسا وطهرا
قلت : مهلا .. فقال : لست اناجي شاعر الحب .. قلت : بل هو احرى
تلك يا « مريمي » عواطف صب انها السحر .. بل من السحر اغرى
شبهوه « بالبحتري » ضلالا هو اصفى خمرا ، واجزل درا

ماري : لا تطيلي الكلام .. ذلك بيت فاقرايه ...
عائشة : واي بيت ساقرا ؟
ماري : « قلت : مهلا .. فقال : لست اناجي شاعر الحب .. قلت: بل هو احرى »
(قال) (قلت) (قلنا) فاي جمال فيه .. ؟ الا ان يقتدي الشعر (قالا)
ولادة : لا تطيلا هذا الجدال .. سندعو ابن زيدون ، وابن عبدوس حالا
(تقف)
لنرى من يكون اصدح طير .. ؟ يعرف الحب ، والهوى ، والجمالا..
في غد نلتقي هنا .. سوف ادعو من يجيد الاشعار والامثالا
ماري : ليس عند النساء الا جمال هبة الله .. يستثير الرجالا
ولادة : ان يثرن ضد القوي تهاوى واذا كن حوله يتعالى
ماري : ان عقل النساء عقل شجاع لا يرى في الحياة شيئا محالا
عائشة لماري: لا تطيلي الكلام .. ماري .. وداعا
عائشة ثم لولادة: منيتي ... دومي للسلام حمامة
ولادة (لعائشة التي تخطو نحو الباب الخارجي) :
فوداعا .. الى اللقاء ..
ماري : سامضي (تقبل ولادة ثم تتجه نحو الباب)
ولادة : صحبتك على الدوام السلامة
(ستار)

المشهد الثاني :

في المنظر نفسه ــ ابن زيدن وولادة ،وهما يتحدثان قبل اجتماع الحفل.

ولادة : انت كالطير صادحا ..
ابن زيدون ، غير اني سابح الروح في سماء الجمال
ها هو الآن .. في الوجود ، امامي هل انا في حقيقة ام خيال
ولادة (تجس النبض هل يفردها بحبه) :
يا ابن زيدون .. نلت حب الغواني وسكبت الاشعار خمرا حلالا
ابن زيدون (يؤكد لها هذه الفكرة) :
اسمعي ــ يا ولادة ــ كل قول كتبته الاقلام كان ضلالا
كخطوط ــ الوان شعري ــ تجافت تفقد الحب ، والهوى ، والجمالا
وهي فيك الفداة لاقت حياة ستنال الخلود والاجلالا
ولادة (مع نفسها) :
قد ارى الآن في السماء هلاليــ ـن ، فمن يختفي كطيف الخيال؟
ابن زيدون (يحس بحركة) :
صه .. كفى .. قد فهمت
ولادة (تتساءل) : ويحك من ذا
ابن زيدون (يلمح ابن عبدوس داخلا) « ابن عبدوس »
ابن عبدوس (لابن زيدون) : قد سبقت الجمعيا
ثم (لولادة) ان بالباب ثلة من صحاب
ولادة : ليف نفسي .. واين من ذاك «منية»
ثم تنادي : « منية »

منيـــة (تدخـل) : هـاانـا ..

ولادة : اردت عقابـا افـلا تسمعيـن بالباب ضجـة

منيـــة : سارى .. مـن .. ؟

ابن عبدوس : هل كنتما في ذهول كيـف « ولادة » نسيت الجموعـا

ولادة : ابن زيدون .. قد سقاني سلافـا من حديث .. والوقت يمضي سريعا

الجمـع (يدخـل) السلام عليكم

الثلاثـة : وعليكم منا السـلام

ولادة (مشيرة الى المقاعد) : فتفضلــوا

الجمـع : شكـــرا

ابن الحناط الكفيف (يبقى متاخرا): ابـا ولادة في ذ المقـام . . ؟

ولادة : لا ... بـل تفضـل نحـونـا يا ابن الحنـاط ...

(تاخذ بيده وتجلسه قائلـة : كذاك فاقعـد

ابو بكـر : في المعهـد المعمـــور « عـا نشـــة » ....

ابن عبدوس : « ابا بكر » الى المعهد

منيـــة : بالباب « عائشـــة »

عائشـة (تدخل مـع شاب في زي المغاربـة) : سـلام عاطـر

الجمـع : وعليكمـا منا السـلام

ولادة : تفضـلا ...

عائشـة : هذا فتـى يسمى « ابا عبد الالـــه » ، اتى من فاس الحبيبة مقبلا

الجمـع : اهـلا بـه ..

عائشـة : احضرته كمحاضر في الحفـل ..

ولادة : (لعائشـة) يشكرك الحضور جميعـا

عائشـة : لا شكر ان قمنا بواجبنـا ..

ابو عبد الاله المغربي : الـى ارجـاء « قرطبـة » اتيت هلوعـا

كي انظر الشبان .. ماذا حققـوا من مـامـل .. ام ضيعوه هجوعـا

لن ندرك الآمال فالحـة الشـدى حتى نوحـد في الرجـاء ربوعـا

ابن زيدون : حدث عن الوطن المجـاور ، انـه عنـوان مجد ، والشعاع الهـادي

المغربـي : سمعـا .. فما اسمك ..؟

عائشـة : ابن زيدون الوز ير ، هوالحبيب .. هوالهزار الشـادي

المغربـي : اثنان قد نفـذا الينا .. من هنـا « ولادة » وصدى « ابن زيدونـا »

اخوانكم بالمغـرب الاقصى الـذي بلسانـه ادعـوكمـو : زورونـا

ابن « ابن ذاكون » الفقيه .. احاضر؟

ابن زيدون : هـو ذا ...

المغربـي : به انا معجب مسرور

ما دام ديـن الله معتـز الـذرى الا ومنـه مساعـد ونصيـر

في الشرق .. عاشت فكرتان : تغلبت احداهما ، فهوت بمجـد الاربـع

بالامس كـان الشرق حكم عروبـة والى بنيها كـان حسن المفـزع

واليوم .. ملنا للنعيـم وللهـوى نبغي الفخار ، ونحن رهن المضجـع

تدرون.. ما سر القدوم .. الى هنا؟ اني اوجـه ذا الحديث لمن يعـي

قد زرت « اندلس » الجمال مؤملا ان تجمـع الابناء بعـد تـوزع

هيا انبذوا عنكم خـلافـا زائفـا ما « اشبيليا » حتى تكون كمطمـع

الديـن وحدنا ، والهب عـزمنـا — والعـرب ما خلقوا [illegible]
ما نحـن الا امـة عـربيـة — كـل البـلاد لنا تكون كموضـع

ابن زيدون : مهـلا .. ابا عبد الالـه ، فاننـا — تـدري بانك قـد اتيت رسـولا
تدعو الشباب الى الوفاق وترتجي — جمـع العروبـة امـة وقبيـلا
لكن اذا كنت الرسول .. رسول من؟

المغربـي : انـي اجيب سـؤالك المعقـولا
لست ادعـو الـى فتـى امـوي — لست اهـوى الا الفتى الوطنيـا
حين نضحى تحت اللـواء جميعـا — سوف نختـار من يكـون ابيـا
اعرفونـي رسول فـوج شبـاب — عـاش برعـى تراثنـا العربيـا
كم سعينـا فاصبح الفوج جيشـا — من وزيـر ، وقائـد ، وسفيـر
في بـلاد الاسلام طـرا لـدينـا — من خطيب ، وشاعـر ، ونصيـر

ابن عبدوس : كل شيء نسديه نحوك .. فارحـل — ـ ان اردت النجاة ـ من ذى البلاد
لن ترى ما يريد قلبك ... لكـن — ربمـا صـرت طعمـة الجـلاد

مـاري : ان حكم « ابن جهور » اليوم فينـا — لـنديـد ، وعـادل ، وحميـد
نحـن لا نبتغـي البديـل ، وانـا — نبـديء الشكر حولـه ونعيـد

المغربـي : يا قوم .. ما شئت الفساد بدعوتي — فدعـوا الجدال ، وجانبوا الاقـوالا
ابناء قرطبـة .. اتيت مهاجـرا — في الله .. كي تسمو العروبة حـالا
والمـرء يدعـو للصلاح عشيـره — ان كـان يهـوى قلبـه الآمـالا

ابن المكـري : تدري ـ ابا عبد الالـه ـ باننـا — وزراء مـن تدعـو لهـدم كيانـه
كن كافرا .. او كن لعينا .. لا تكن — ضد « العميد » فنحن في سلطانـه
(ثـم يشهـر سيفـه)
خذها بسيفـي ضربـة عـربيـة

عائشة المغربيـة : لا تعجلـوا
مـاري : اضـرب ..
ابن عبدوس : بـذاك جديـر

ابن زيدون (وهو يتقـدم نحـوابن المكـري) :
هكذا « ابن المكري » يقابـل حـق — اغمد السيف ... انني لنصيـر
هكـذا يسكـن القـريب الينـا — فنجازيـه قـوة وعقـابـا
يا « ابن زيدون » خل مكانك عنـي — لا تقـم بيننـا لـذاك حجـابـا

ابن زيدون (وهو يشهر سيفه) :
لا تـزد في الكـلام
مـاري (وهي تجر ابن المكري) : انت ازالـي
عائشـة : لم هذا الخصام .. فالصلح يحمـد

المغربـي : ايهـا القـوم رحمـة وحنـانـا — ان فهمتم خـلاف ما انـا اقصـد
لم اقل : خالفوا « الولاة » فهـذي — ضلة .. بل اقول ما ليس يحمـد
ايدوهم .. وارغموهـم جميعـا — ان يضمـوا ملك البـلاد كمفـرد
ارغموهم ان يتركـوا كل ضغـن — بينهم .. فالعدو من ذلك يسعـد
هـذه دعـوتـي ..

اصـوات :
امانا .. امانا ..

ابن زيدون : انـه الحـق ..

ابو بكـــر : سامح القوم .. واقعد

ولادة : انت اقـوى الدعـاة ....

المغربـي (وهو يجلس) : شكـــرا

ولادة : قل اليـو م ، افي « فـاس » للفتاة ارتقـاء

المغربـي : قد تركنا امـر الشريعــة في البنـ ـت ، وهـذي جهالـة وشقـاء
لو فككنـا عـن الفتـاة اسـارا لزها الشرق ، واعتلـى ما يشـاء
لو جعلنـا فكـر الفتاة معينـا لحياة الرجال ... حـق الهنـاء
انني من بنـات « قرطبة » اليـوم اوالـي الاعجـاب والتقـديـرا
ادب زاخـر ، وفكـر سليـــم فاق عندي التمثيـل والتصويـرا

ابن الحناط الشاعـر :
ان ما قلتـه اعتقـادك ، لكـن ذاك « عبد الالـه » لم يك حقـا
ان فكـر الفتاة في « الغرب » لاه مثلهـا فائـر غـراما وعشقـا
لم يكـن هكـذا الرقي ..

ولادة : رويـــدا انت اعمى .. فكيف تنطق صدقـا

ابن الحنـاط : انها لا تعمـى الجفـون ، ولكـن حين تعمى القلـوب ادهى واشقـى

ولادة (لابن زيدون كانها تريـد انتتحول عن هذا الموضـوع) :
انــا اعـددت مــن يغنـــي بشعر لك ... لكنهم اطالوا الجدالا

المغربـي : اسمعوني من فن « قرطبة » اللحـ ـن صفيا ... ينفي الاسى والملالا

ولادة : « منية النفس » اقبلي ..

منيـة لـك سمعـا

ولادة : اطربي الجمـع بالغنـاء الجديـد

منيـة (تغني) يا غزالا .. صاد القلوب .. امانـا لفـؤاد جـم الحنـان شجـي
ليتني البدر .. كي يداعب نـوري خصلات مـن شعـرك الذهبـي
املاك نـزلت .. ام انت سحـر عذبي القلب ، فالدمـوع شهـودي
انـا في شاطىء الغـرام ، انـادي فيك حبي ، وصبوتي ، وخلـودي

(تسكـــت)

المغربـي : هكذا الشعـر ، والغنـاء ..

ابن زيدون : فشكـرا ان « ولادة » الهـة شعـــري

المغربـي (يردد ابيات القطعة ، بينماتكون امارة القلق والضجر والغيرة
بادية على ابن عبدوس وماري)

ابن عبدوس (يقف ، ويمسك بيـدولادة) :
هـل لك الآن ان يقـوم كـلانـا نتمشى بين الزهـور قليـلا ..
(ولادة تريد ان تجيب بالقبـول ،ولكنها تسمع صوتـا) :

الصـــوت : ابن زيدون

فتجيب ابن عبدوس لا ..

ابن عبدوس : لمـاذا ..؟

ولادة : فهيـا ..

الصـــوت : ابن زيدون ..

ولادة : لا ..

ابن عبدوس : لمـاذا ..

ولادة (في تحمس) فهيـا

(يخـــرجـــان)

(يبقى ابن زيدون قرب عائشة المغربية .... ثم يسمعان مناجاة ابن عبدوس لولادة ، وهما يبتعدان قليلا قليلا ...)

ابن عبدوس : الحب مازج روحينا ... والهمنا ان نترك الجمع كي نشكو الصبابات

ولادة : ارجوك ان تبقى شعاعا خالدا في مهجتي بدماثة الاخلاق

ابن عبدوس : لك روحي ، وانني لك عبد لك رقى على المدى وعتاقي

ولادة : ان الغرام لفي الفؤا د ، وليس لفظا في الفم

ابن عبدوس : انت تدرين بحبي هو نور في دمي
هو دنيا حلمي

(بينما يخيم السكون على الجميع ،وهنا تبدا مجموعة اصوات في الغناء بهذا الموشح :

انا من سهرت مع القمر ومع الحبيب حلا السمر
اشكو اليه جوى الغرام والنجم عين لا تنام
انا من عشقتك يا قمر
العاشقون مع الحبيب وانا هنا وحدي غريب
النجم راح عن السماء والفجر يسطع بالضياء
فارحم فؤادي يا قمر
آه . . . حبيبي هل اراك اني هنا اشكو هواك
بعد اللقاء هجرتني والى اساي تركتني
انا من رجوتك يا قمر

(الموشح كانه يصور وضعية « ابن زيدون » فيظهر عليه الغضب ، ويغادر المكان مسرعا ، وتتبعه عائشة المغربية .)

(ستار)

الرباط : علال بن الهاشي الفيلالي

دراسات مغربية :



بعد ما مضى على مقالنا المنشور بدعوة الحق وجدت الصديق الدكتور عبد اللطيف السعداني ، يذكره ويعقب عليه ، بعلمه الغزير وادبه الجم ، فاشكر للاستاذ الصديق هذه العناية وهذا الادب اللطيف الذي استعمله معي ، ومع مقالي المتواضع ، واعود لاذكر فيه ما يلي :

لم اقل — ولا اريد أن يفهم مما قلت — ان العرب هم من اطلقوا هذا الاسم فارس) على ايران .

اما كون « الفرس هم الذين اطلقوا على العرب طائي » تازي أو طازي ، فلا يدفعه كون العرب كانوا يعرفون بهذا الاسم ، طائي ، عند السريان ، والعمدة فى ذلك الاشتقاق والتاريخ المؤيد بالبقعة الجغرافية ، ثم الاستاذ الراحل بول كراوس ، الضليع فى اللغات السامية ، ومنها السريانية ، طبعا : فلقد كنا ندرس عليه فقه اللغة سنة 42 — 43 ، فعلمنا ان اطلاق طائي على العرب كان فارسيا ، لانهم كانوا ملاصقين لهم ، ولا اظن ذلك كان لاولئك السريان الذين جاروا الاستعمال الفارسي ، عن علم او غير علم منهم .

اما ايران ، ففي اقدم كتاب للجغرافية العربية ، نجد ابن خرذاذبه يذكر ان « ايرانشهر هي العراق وان «السواد .. كانت ملوك الفرس تسميه دل‌ايرانشر اي قلب العراق ، وهو نفسه يذكر ان افريدون ... ملك ايران وهو ايرج على ايرانشهر وهو العراق ...

ثم اتى بالابيات المذكورة فى عدة كتب ، والتي سقناها — كما نظن — فيما سبق لنا نشره بهذه المجلة ، وآخرها :

ولايـــران جعلنـــا عنـــوة
فـارس الملـك وفزنـا بالنعـم

اما كون هذا اسطورة ، فلا نتعرض لنفيه ولا اثباته ، لانه لا فائدة فى نفيه او اثباته ، من حيث انه وهو اسطورة ، لا يعرف الناس الاول عن تلك التسمية لذلك الاعتبار الاسطوري ، فالارية وغير الارية مسالة صارت فى عمومها لا فى خصوصها تخضع للعلم ، والعلم لا يحتم على الناس فى ماضيهم السحيق ان يكونوا مناطقة مصيبين فى كل اشيائهم ؛ ومنها هذه التسمية ، التي ذكر وجه اعتبارها ابن خرداذبه منذ ما يزيد على الف ومائة سنة ، وكان فيها لا محالة معتمدا على من سبقوه بمئات او الاف السنين ، وهو طبيعي قائم على فكرة النظام الابوي (Patriarcat) للشعوب .

اما كون كلمة خاور من قبيل المشترك بين المغرب والمشرق فهو ما يفصح به اهل اللغة ، ولا نحتاج لهؤلاء لنرد على صديقنا فى قوله « ليست كلمة المغرب (خاور) فى اللغة الفارسية من قبيل المشترك » لانه نفسه سيقول بعد اسطر قليلة « وقد يطلق الاثنان (خاور وباختر) على المعنى الاخر » يعني المشرق والمغرب، عكسا بعكس،وهذا الذي ذكرههو الفاصل فى

هذا الاشتراك ، فما الاشتراك الا جعل كلمة دالة على عدة معان ، منها الاضداد ، بطريق ما ، يكون فيها المجاز وغير المجاز . وزادنا علما بأن « باختر » هذه اطلقت في لغة الابستاق على الشمال ، زيادة على كونها ، اطلقت على المغرب ، بشيوع كثير ، ثم على المشرق بغير شيوع ، لا كثير ولا قليل ، على عكس « خاور » التي يجعل الشيوع فيها للمشرق عند الاطلاق .

وبهذه المناسبة ، قد استرعى نظرنا اخيرا ، ونحن ما زلنا دائبين في بحثنا ، ان (خاوار) كانت عاصمة لاقليم كوار فيما وراء فزان بالصحراء ، بل عند اول الصحراء الكبرى ، كمفازة على ظهر جبل ، وقد ضرب عقبة الحصار على هذه المدينة فامتنعت عليه . « فخاوار » هذه يظهر انها « خاور » الفارسية، بمعنى المغرب ، هنا ، لا المشرق الذي جعله الاستاذ الزميل هو الشائع الكثير ، وان كنا ما تعرضنا للشيوع بالمرة ، بل قلنا الاشتراك المجرد الذي ينشأ في اللغة لعوامل شتى كما قلنا .

وكون المغرب في اللغة الفارسية كان يعني « في كثير من الاحيان المغرب الذي نعرفه ونسكنه » لا يقدح في كونهم كانوا يطلقون المغرب على غير هذا المغرب الذي لا نعرفه ولا نسكنه ، وان كان ذلك منهم في غير كثير من الاحيان ، فنحن لم نقل بالكثير ولا بالقليل في ذلك ، وانما قلنا بالاطلاق ، كما لم نقل بالشيوع الكثير وغيره قبيل هذا ، وبذلك لا يكون مفهوم المغرب « واضحا في ذلك العهد » بالضرورة ، كما يرى صديقي الاستاذ عبد اللطيف ، ونحو هذا يقال في البربر ، فلا نطيل فيه الكلام ، وقد قال فيه الاستاذ « بتارة » و « تارة اخرى » ..

وما قلنا بـ « ان يكون البربر بمعنى بابر الفارسية » بل قلنا بما معناه — وليس بيدي مقالي — ان كثيرا من الاساطير قد تدخل في الحقائق التاريخية في يوم من الايام كما ان كثيرا من الحقائق التاريخية قد تدخل في حيز الاساطير يوما من الايام ، واذكر ان السفير الايراني بالمغرب ، قال لي ان البربر لعلهم اتوا من ايران ، فهم عندنا جماعة رحل يسمون برابر الى آخر ما قال وذكرناه ، فقلنا نحن : هذا كلام لا يقبله العلم اليوم وقد يقبله غدا ، او كما قلنا ، وبذلك لا نلزم بغيرنا فيقال لنا « هذا تكلف لا مبرر له ..الخ»

واظن اني في غنى عن التذكير بان كلمة «القيروان» عرفت في العربية معربة بهذا اللفظ قبل ان توخذ لتسمية المدينة التونسية (كما يعتقد) ، ولعلي اشرت الى هذا نفسه فيما كتبت ، والذي ما زلت اذكره ، واذكر به هو انا قلنا ان المكان كان معروفا بهذا الاسم قبل تاسيس المدينة به ، ولهذا وجدنا ابن خلكان في احدى وفياته ، ينقل ان المكان كان معروفا بهذا الاسم فيما قبل لنزول القوافل به ، ولا لزوم لان يكون (Caravannage) هكذا ، وان كان يذكر بصورة قريبة منه « قروان » كذلك ، وعن الليث بن سعد ان عقبة رحمه الله غزا افريقية فاتى وادي القيروان ، كما نقل السلاوي في الاستقصا ، وعلق عليه الاستاذان ولداه بهذا التعليق « في تاريخ الفلاسفة في ترجمة أرستيب منهم انه كان من مدينة القيروان من مدن برقة وكان هذا الفيلسوف معاصرا لافلاطون الحكيم قبل الاسكندر ، فدل هذا على ان القيروان كانت مدينة قديمة بنواحي برقة فاندثرت والله اعلم » فليحقق هذا الكلام الذي يفيد ان تحقق وتأييدا لما قلنا من ان العرب آنذاك احتفظوا بالاسماء الموجودة في اماكنها ، ان القيروان لو روعي فيها ان تكون معسكرا للجيش اي تكون مدينة عسكرية ، فقد روعي هذا في غيرها ولم يسم قيروانا ، بل سمي « كوفة » و« بصرة » و«فسطاطا» لان كل واحدمن هذه اتخذتالاسم الاقليمي المحلي،فلم ينشىء لها العرب اسماءها من عندياتهم ، كالاعتقاد السائد عند الناس .

ولم اثبت ان اسم مدينة فاس هو فارس ، بل نقلت ذلك عن روض القرطاس ، ذاكرا هذا النقل عنه ، وعبارة صاحب الروض ليست كما ساقها الاستاذ الصديق ، حتى لا يكون فيها دليل على ما ستناه نحن ، فليس فيها جماعة من «الناس» بل جماعة من « الفرس » ، كما نقل ذلك صاحب الاستقصا ، فلعل نسخة الصديق سقيمة محرفة مصحفة .

ولم استدل بدليل في غير محله ، لا في كتابي ولا في مقالي ، فتخليد وجودهم بالمدينة ، هدفت اليه التسمية لاحد ابواب المدينة لا محالة ، سواء سقط عليهم السور ، فكان تخليدا لمأساتهم هم ام لم يسقط فكان تخليدا لذكراهم كذلك ، فلا تهم المأساة في حد ذاتها بقدر ما يهم الوجود الذي عنيناه ، ولا افهم كيف تدفع عبارة « فصنع هناك بابا سماه باب الفصيل » الاستاذ الزميل لان يرى « في الكلمة فرسا » « Faras » لا فرسا « Fors »

ولا ضير على الصديق ان يرى « عن طريق الحدس ان فاسا هي فاس بالالف وهذه اسم مدينة

معروفة بمنطقة فارس في ايـران وهذا التأويل غيـر بعيد عما علل به صاحب روض القرطاس تسمية مدينة فاس » فهذا ما قلناه منذ خمس عشرة سنة فيمـا نشرناه بمجلة الانيـس او لسان الدين .

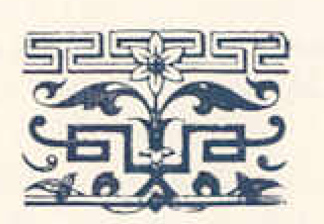
واذا استأنسنا ، ولنا صبابة من الفارسيـة ، بمن قال ان البصرة معربة عن « بس‌راه » الفارسية، فلا يضيرنا أن ذكر ياقوب احتمالات اخرى قبل هذه ، بل لا يضيرنا في هذا حتـى لو لم يذكر هذا الاحتمال بالمرة ، وذكره غيره ، لان الله لم يخلق غيـر ياقوت ، بل خلق غيره من الجغرافيين واللغويين والرواة، وهم كثيـر بحمـد اللـه .

ثم استفيد الصديق ، عن ابي عثمان المغربـي الذي زار ايران في القرن الثالث الهجري ، من هو هذا الزائر ، وهل كان من مغربنا الـذي يعنينا وتعنيه ؟

وأما ميـا Misa الاسبانية فليست فارسية، كما ان Mesa ليست كذلك ، فالاولى المسيحية والثانية المعتادة والتي يقصدها الاستاذ وكلتاهمـا ليست فارسية ، بل لاتينيـة ، الاولى Missa والثانية Messa

واخيرا اؤكد للاستاذ من جديد أن كلمة خنجـر وطرة ليستا عربيتين كما قال ، بل هما فارسيتـان كما قلت وشاهدي معاجم اللغـة ومعالم الاشتقاق ، والله الموفق للصواب ، وشكـرا للاستاذ الصديق ، وحمد الله ان صار الموضوع يهتم بـه الناس ، بعـد ما مضى على اهتمامنا وحدنا به ، نحو العشريـن سنة ، فلله الحمـد مرة اخرى ثـم للـه الحمد .

تطوان — محمد بن تاويت



من الوثائق التاريخية المغربية في بغداد :

رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق

صورة عن الحالة الاجتماعية والسياسية في المملكة المغربية

للأستاذ عبد الهادي التازي

خزائن العراق بصفة عامة وخزائن بغداد بصفة خاصة لاتكاد تخلو من الحديث عن المغرب واراضيه ورجالاته ... وقد كان من بين ما لفت نظري ما وقفت عليه في كتاب المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف (1) فقد ورد ضمن المستدركات «مجموع» يحتوي على عدة مؤلفات (2) كان منها صورة لمكتوب ورد من حضرة ملك مراكش مولانا السيد الشريف الى حضرة ملك العلماء شيخ الاسلام الشيخ محمد البكري الصديقي غفر الله له » . كان المجموع لطيف الحجم قديم التجليد ، اوراقه بيضاء

1) الف الدكتور محمد اسعد طلس كتابا اسماه « الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف » مطبعة العاني بغداد 1953 من الحجم الكبير عدد الصفحات 429 ، ضمنه اسماء الكتب التي جمعت من مختلف المعاهد واصبحت خزانة الاوقاف تضمها اليوم ، وقد بدا ان هناك بعض الكتب مما لم يتضمنه « الكشاف » فتصدى صديقنا الاستاذ عبد الله الجبوري محافظ خزانة الاوقاف فأصدر كتابا بعنوان « المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف » مطبعة المعارف ـ بغداد 1965 صفحات 411 وكلا العملين مما يستحق التقدير والتنويه .

2) المجموع رقم 12331/403 ـ 21 سم × 15 سم يحتوي على : عبرة اللبيب ؛ وعلى ديوان الصاحب ابن مطروح ، وعلى مكتوب سلطان المغرب للشيخ البكري ، وعلى رسالة في علم العروض للشيخ الدماميني ، وعلى مقدمة للشيخ العسيلي ، وعلى سجع المطوق لابن نباتة ، وعلى مقامة الشعراء للسرقسطي ، وعلى كتاب السحر في علم الموسيقى ، وعلى اعراب لامية العرب للعكبري .
انظر المستدرك على الكشاف للاستاذ الجبوري ص 361 ـ 362 ـ 363 ـ 364 ـ 365 .

سميكة جيدة ؛ وقد نسخه الاديب الشاعر يوسف (3) المغربي عن خط الامام الشيخ يحيى (4) الاصيلي

المنصور الذهبي وعلماء المشرق

في الوقت الذي كان فيه ابو العباس احمد المنصور السعدي على صلة تامة بدولة اروبا ... بالملكة اليزابيث مثلا ملكة بريطانيا التي كانت تفاوضه مطلع القرن السابع عشر في شأن طلب عونه من اجل « عملية النزول » بامريكا للقضاء على النفوذ الاسباني هناك (5)

---

3) يوسف المغربي : هو ابن زكرياء المغربي نزيل مصرالاديب الشاعر الحنفي المذهب ، قال الشهاب في ترجمته : « عزيز مصر بنانا وبيانا ويوسف عصره حسنا واحسانا نشأ بمصر يتعاطى صنعة الادب ويربط باوتاد شعره كل سبب ، ويشارك في تجارة الفضل بنصيب ، ويرمي لاغراضها كل سهم مصيب بطبع الطف من نسمة الشمال ... درس بمصر القاهرة واخذ عن الاستاذ يحيى الاصيلي وعليه تخرج ... من شعره قوله :

اشرب ولا تعتب على عاذل ... فمثله في الناس لم يعتب
وان تكن ياسيدي طالبا ... درا وياقوتا من المطلب
فالكاس والصهباء فيها الفنا ... فخذ حديث الكنز عن مغربي ! !

وله في مليح اسمه رمضان :

رمضان قد جئته رمضانا ... وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت : صلني فقال وهو مجيب ... « لايجوز الوصال في رمضان » !

كانت وفاته بمصر يوم الاربعاء ثامن عشر ذيالقعدة سنة 1019 وقد رثاه الاجهوري :

رحم الله المعنى يوسفا ... كان زهرا في رياض الادب !
فسقاه الموت كاسات الردى ... فبكى الشرق لفقد المغرب ! !

4) يحيى الاصيلي : نسبة لاصيل الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان بن ايوب . وهو يحيى المصري الاديب الشاعر ، ذكره الخفاجي في كتابه **واثنى عليه كثيرا** ، يقول صاحب خلاصة الاثر : انه راى له ترجمة في مجموع الشيخ مصطفى بن فتح الله قيل فيها : « في شعره رقة طبع وخفة روح ، ودماثة اخلاق توسى بها الجروح ، ومجون تسلب الحكيم ثوب وقاره وتنسي الخليع كاس عقاره ، لم يزل موفور الجاه بالديار المصرية لا سيما عند السادة البكرية حتى توفي بمكة المكرمة عند قضائه فريضة الحج في الثالث من المحرم 1010

له فيمن اسمها شمس الضحى موريا :

لما وفت شمس الضحى ... لي موعدي وشفت غليلي
شاهدت اي عجيبة ... شمس الضحى عند الاصيلي ! !

وله من قصيدة يمدح الاستاذ محمد البكري :

الا ان لي يا ال صديق احمد ... لشمس هدى منكم به الكرب ينجلي
فلي منه استاذ ولي منه مرشد ... ولي منه قطب ذو اتصال ولي ولي !

وكتب الى احد اصدقائه يستاذنه في الدخول :

على الباب من كاد شوقه ... يموت وذاك يحيى الاصيلي
اتى يتغنى باوصافكم ... فهل تاذنون له في الدخول؟

فاجاب الصديق :

لمولاي يحيى رقيق الطباع ... ولطف السماع وحسن القبول
امولاي هل خارج صوتكم ... لتحتاج للاذن وقت الدخول

والدخول عند المولدين : حسن الصوت الجاري على قانون الموسيقى وضده الخروج .
ومن شعره قصيدة ذات 77 بيتا مطلعها :

فديت من حسنه الفتان اشجاني ... فطال في حبه وجدي واشجاني

الجبوري : المستدرك ص 363 .

5) Novill Barbour : Morocco, p. 111
عبد الهادي التازي : مدخل الى تاريخ العلاقات المغربية الامريكية . محاضرة القيت بقاعة كلية العلوم يوم 10 – 11 – 1966 بدعوة من النادي المغربي الامريكي

في هذا الوقت بالذات كان ايضا على اتصال مستمر بفقهاء مدينة فاس يكاتبهم بما جد ويكاشفهم بما يعتزم عليه من مشاريع ، وفي هذا الوقت ايضا نراه يراسل علماء المشرق ويستقدمهم من العراق والحجاز والشام ومصر (6) ، ويبذل الغالي والنفيس من اجل الحصول على المخطوطات النادرة التي كان يزود بها خزانته الخاصة وخزانة جامعة القرويين (7) . . .

كان من جملة من كاتبهم الامام ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابي الحسن البكري (8) رضي الله عنه ، والامام ابو محمد بن يحيى المصري الشهير

6) احمد المقري التلمساني (روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس) المطبعة الملكية 1964 ص 14

7) محمد العابد الفاسي : الخزانة العلمية بالمغرب 1960 – مطبعة الرسالة – الرباط ص 42 – 43 – 44

8) يعتبر الامام البكري هذا من ابرز اقطاب الجامع الازهر فى القرن العاشر ، ونظرا لما كان ينعم به من مركز مرموق ونظرا لتعدد السادة البكريين والتباس الامر على بعض الناس نرى من المناسب ان نميز هذا السيد ببعض ما يعرف به : فهو الشيخ محمد بن الشيخ ابى الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ينتهي نسبه الى سيدنا ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو بكري صديقي وهو شافعي المذهب اشعري العقيدة ، وام جده الاعلى تصل الى الحسن السبط ، وقد روي ان الشيخ كان يعتز بهذه النسبة النبوية ، احتل كرسي والده شيخ الاسلام بعد وفاته ولما يبلغ احدى وعشرين سنة . فكان معلمة فى الدرس والاملاء والاستحضار لا يرتاب سامعه في ان ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب ، وقد روي عن كثير ممن حضروا مجالسه انه ربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه احد من اهل مجلسه مع كون اكثرهم على الغاية من التمكن فى سائر مراتب العلوم الاسلامية والاحاطة بفنونها ، كان يسكن ببولاق وكانت مجالسه فى التفسير مشهودة بما يقرر فيها من المعاني الدقيقة والابحاث الغامضة مع استيعاب اقوال ائمة التفسير من السلف والخلف وبيان أولاها بالاعتماد عنده وذكر المناسبات بين السور والآيات ... وما من درس من دروسه الا وهو مفتتح بخطبة مشتملة على الاشارة الى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق براعة الاستهلال ، وكان الشعراء المتمكنون فى علوم اللغة وقواعد الشعر ومذاهب الانشاء من فضلاء مصر يقصدون يوم ختمه فينشدون ابدع القصائد ، وكان اذا قام من مجلسه يتقدم اليه الناس للتبرك بدعائه وكثيرا ما يقع الناس تحت الاقدام وهم يتسابقون اليه ولهذا فقد خصصت جماعة من الجند للتحليق على حضرته خوفا عليه من اذاية الازدحام اذ كان يقف بعد درسه نحوا من الساعة الزمانية ينتظر مرور الناس لتقبيل يديه ! وقد توفى فى شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين بعد التسعمائة له تصانيف عديدة فى الفقه والتصوف ، وله ديوان شعر كبير من نظمه رحمه الله فى بعض رسائله التي كان يبعث بها لابى العباس المنصور :

ومد نابتم ولم استطع ... مسيرا لحضرتكم بالقدم
سعيت اليكم برجل الرسول ... وخاطبتكم بلسان القلم

وقد لقيه من المغاربة بمصر الاستاذ العلامة احمد بابا التنبكتي المالكي . ومن آدابه : لا تنتقم من اشد الناس اذاية لك بل بالغ فى معاملتهم بالرحمة حتى يبلغ الامهال اجله ويفعل الله ما يشاء . ومن نكته الجارية انه سئل : لم كان فى اهل مكة قسوة وفي اهل المدينة لين ؟ فأجاب : لان اهل مكة جاوروا الحجر واهل المدينة جاوروا البشر ! ! وقد خلف الشيخ اولادا اجلهم الشيخ **زين العابدين** الذي مشى على طريقة والده ولم يزل على ذلك الى ان قتله سنة 1010 احد باشوات مصر مما ادى الى تواطؤ انصار البكريين على اغتيال ذلك الباشا

العيدروسي (ت 1038) : تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر ، مطبعة الفرات بغداد 1353 – 1934 . اليفرني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي تصحيح هوداس طبع 1888 ص 129 – 131 – 132 . خلاصة الاثر ص 211 – 212 محمد اسعد طلس : الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف ص 294 – 295 . ابن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام المجلد 2 ص 53 .

ببدر الدين القرافي (9) والامام اسماعيل بن احمد الشنواني الوجار (10) ، والشيخ ابو بكر بن اسماعيل الشنواني (11) ...

وقد عنيت برسائل المنصور السعدي جل المؤلفات والمقالات والبحوث التي تناولت تاريخ الدولة السعدية من امثال القادري في نشر المثاني والناصري السلاوي في الاستقصاء (12) ، والكونت دكاستري (13) وبيانيل في مجلة هيسبيريس (14) .

---

9) القرافي : هو محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين وهو مالكي المذهب بل شيخ المالكية في عصره ورئيس العلماء ، وقد تقلد منصب القضاء نحوا من خمسين عاما ، اخذ مختصر الشيخ خليل عن الاجهوري وعن الجيزي وعن والده ، والثلاثة تلقوه عن الامام اللقاني وهو عن السنهوري وهذا عن عبادة ، وهذا عن عبد الله الافقهسي ، وهذا عن بهرام وهو عن الشيخ خليل ، وقد قال عنه عبد الكريم المنشي : « وفي مقامي بالقاهرة كنا معا صبيي جوار ولصيقي دار ، وكان منزلي تارة يتعطر بعبير انفاسه ويتأرج اخرى بعنبر ايناسه ودارت بيني وبينه كاسات المكاتبات وقد كان محظوظا من الدنيا ... » له مؤلفات لا تحصى عدة لكنها بعدان غربت شمسه عبثت بها الايدي .. ولد ليلة 27 رمضان 939 وتوفي يوم 22 رمضان 1008 .

محمد المحبي : خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ص 258 المطبعة الوهبية بمصر المحمية اواسط ذي الحجة ختام 1284 .

10) اسماعيل الشنواني : يعتبر اسماعيل هذا من اعلام عصره وقد ورد في ترجمته ان من اعظم تاليفه شرحا لاوضح ابن هشام على الفية ابن مالك في عدة مجلدات ، وان سلطان المغرب في وقته ابا العباس احمد المنصور السعدي الشريف لما سمع به ارسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه.

محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري : نشر المثاني الجزء الثاني ، الطبعة الحجرية ص 111 .

11) ابو بكر الشنواني : هو ابو بكر بن اسماعيل بن شهاب الدين عمر بن علي الشنواني ، تونسي الاصل ، في شنوان (بالمنوفية بمصر) وتعلم في القاهرة وبها توفي سنة 1019 هجرية (1611) له كتب كلها شروح وحواشي على الاجرومية وشذور الذهب ، والقطر ، وله كذلك على ديباجة مختصر خليل في الفقه المالكي ، وقد ذكر المحبي صاحب تاريخ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر تعليقا على ترجمة هذا الشيخ ان من مؤلفاته **شرحا على الاسئلة السبع** للشيخ جلال الدين السيوطي التي اوردها على علماء عصره حيث قال : ما تقول علماء العصر المدعون للعلم والفهم في هذه الاسئلة المتعلقة بالف باء تاء ثاء الى آخرها ، ما هذه الاسماء وما مسمياتها ؟ وهل هي اسماء اجناس ام اسماء اعلام فان كان الاول فمن اي انواع الاجناس هي ؟ وان كان الثاني فهل هي شخصية او جنسية؟ فان كان الاول فهل هي منقولة او مرتجلة ؟ فان كان الاول فمما نقلت ؟ امن حروف ام افعال ام اسماء اعيان ام مصادر ام صفات ؟ وان كانت جنسية فهل هي من اعلام الاعيان او المعاني الى آخر اسئلته . . وقد بلغت اصداء شرحه هذا لملك المغرب مولاي احمد المنصور بن مولاي محمد الشيخ ، فارسل له عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه . وهذا الشرح في مصر معدوم على ما سمعت ، ويقال انه لا يوجد الا بأرض المغرب لان نسخته اغار عليها بعض المغاربة فذهب بها معه الى بلاد المغرب هكذا قال المحبي في الخلاصة ، وكنت لا اشك وانا ببغداد ان الكتاب لابد ان يكون ضمن المجموعة التي اهداها المنصور السعدي الى خزانة جامعة القرويين العامرة لكن الاستاذ البحاثة السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لهذه الجامعة افادني انه لا وجود لهذا الكتاب بين تلك المجموعة المهداة واكد من جهة اخرى ان بعض العلماء المغاربة تولى نظم الاسئلة المذكورة آنفا بينما تصدى احد القضاة المغاربة كذلك لشرحها نثرا .

12) القادري : نشر المثاني الجزء الاول ص 36 الناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 ، الجزء الخامس ص 115

13) H. De Castrie, année 1923, p. 433-488

14) Georges Pianel, année 1949, p. 243-245 — Année 1953, p. 185-197

لكن الذي تولى مشكورا نشر معظمها على حدة هو الاستاذ البحالة الاخ عبد الله كنون فى كتابه « رسائل سعدية » التي طبعها معهد مولاي الحسن سنة 1954 . وفي موضوع الوثيقة التي عثرت عليها فى بغداد يذكر الاستاذ كنون « ان الورقة التي نقل عنها الرسالة كانت **مهلهلة** ولذلك فانه قد **لفقها** بقدر الاستطاعة (15) » واؤكد منذ الآن ان « تلفيقه » كان اقرب الى الصواب باستثناء بعض الزيادات هنا وهناك مما لها بعض الفائدة .

❊ ❊ ❊

والرسالة المشار اليها تعتبر من عيون الرسائل التي حررها وزير القلم المنصوري ابو فارس عبد العزيز الفشتالي الى الشيخ الامام البكري .. وتكتسب اهميتها من انها كتبت فى ظروف كان المغرب يتحفز فيها للوثوب على بقية اراضيه المغتصبة بل يسعى لتقوية اسطوله ودعم عسكريته للعودة مرة اخرى الى الاندلس (16) ! ظروف كان المغرب فيها يستجمع انفاسه لابعاد شبح الاتراك عن الاراضي المغربية ... ظروف كان المغرب فيها يساوم من اجل تقديم المساعدات لبريطانيا العظمى .. ظروف اثبتت فيها الجيوش المغربية عبر السوادين ... لاجل كل هذا فاننا نرى ان ننبه الى ان القصد البعيد من هذه الرسالة ليس فقط مجرد طلب اجازة من العلماء المشارقة ولكن الهدف كان اكثر من ذلك ، فقد كانت ترمي الى التأثير على الاتراك ، واظهار صلته باقطاب العلم هنا وهناك ، وكانت ترمي الى **تزكية** السياسة السعدية حول عدد من المسائل الجارية ولا شك فيما لهذا من عظيم كسب لسمعة المغرب وعظمة الدولة . ويليق التنبيه الى ان الرسالة قبل ان تفصح عن غرض طلب الاجازة عمدت الى تقديم الجيش المغربي والاشادة بالقوة العتيدة التي تتوفر عليها المملكة والتنويه بنشر العدالة واقامة قسطاط العدل والانصاف بين الناس ... كما انها اشارت الى النسب الشريف الذي ينتمي اليه السعديون وفي ذلك ايضا من الدلالة على اولويتهم بالامامة ما لايخفى .. ثم انها وصفت تمسك البلاد بالدين ومعالمه دون الاستسلام الى الانحراف ومباذله ... وبعد هذا تقف الرسالة وقفتها الملحوظة المقصودة لتتحدث عن امر الحدود ومشاكل الجوار وخاصة منهم الاسبان عبدة الصليب على حد تعبير الرسالة وتعتبر هذه الفقرة فى نظرنا مما يؤكد عزم المنصور السعدي على تصفية الحساب مع الاسبان الامر الذي تحدثت عنه المصادر المغربية والاجنبية على السواء .. وتاتي الرسالة بعد ذلك على ذكر النهضة العلمية بالمغرب ، وما يقوم به العاهل المغربي من تشجيع للعلماء وحملة الشريعة الاسلامية ..

وبعد هذا نتصفح المجموع لنقرا الرسالة السلطانية معلقين على بعض مناحيها :

(عنوان الكتاب)

(1) صورة مكتوب ورد من حضرة ملك مراكش مولانا السيد الشريف الى حضرة ملك العلماء شيخ الاسلام الشيخ محمد البكري الصديقي غفر الله له

15) تساءل لماذا نعت الشيخ محمد البكري بزين العابدين مع انه لقب لولده المتوفى سنة 1010 : كنون : رسائل سعدية ، معهد مولاي الحسن ، دار الطباعة المغربية ، محمد الطريس 17 تطوان ، المغرب سنة 1954 ص 33 – 34 – 35 – 36 – 37 – 38 – 39 – 40 .

16) Nevill Barbour : Morocco, 1965, p. 110

(2) بسم الله الرحمـــن الرحيـــم
وصلى الله على سيدنا محمد وآلـــه

من عبد الله تعالى الامام الخليفة ابى العبـــاس المنصور امير المؤمنين بن مولانا الامام الخليفة اميـــر المؤمنين وناصر الدين ابى عبـــد الله محمد الشيـــخ المهدي ابن مولانا الامام الخليفة امير المؤمنين ابى عبـــد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني ايد الله بعزيـــز نصره اوامره وظفر عساكره وابقى فى الصالحات ذكره الجميل ومفاخره ، وحلى جيد الدهر بمآثره ومكارمه الفاخرة ، ووصل له يمنه ويمنه مجد الدنيـــا بمجـــد الآخرة بحوله وقوته وفضله ومنته الى المكانـــة (17) التي اشتهر صيتها في الآفاق وطار ، وتضوع عـــرف سنائها بين الخافقين واستطار ، وبازى النسيمـــات السحرية النجدية نسيمها المعطار ، والحضرة التـــي طارت بها الشمائل الصديقية كل مطار (18) . حضرة السيد الامام ومن القت اليه المعارف بزمام ، والصدر الذي حاز الفضائل على التمام ، وامتطى مراتب المعالي المقارب والسنام ، والحبر الذي احاط علما بالفـــروع من الدين والاصول ، وله الى رتبة الاجتهاد اللحـــاق والوصول ، حجة الله فى الارض ، وقطب رحى العلـــوم فى طول البسيطة والعرض ، الجامع بيـــن الشريعـــة والحقيقة ، والجاري فى احواله وتصرفاته على اهـــدى سنن واقوم طريقة ، العالم العلامـــة والبحـــر (19) الفهامة ، الاخذ بنواصي (20) المريدين الـــى طريـــق الاستقامة ، صدر صدور الفئة ، ومن يجدد به الديـــن ـــ ان شاء الله ـــ على راس المائة (21) ، قدوة العارفين، ومربي السالكين ، والقطب الذي جرت بـــه الديـــار المصرية على من سواها ذيل الزمان والاعجاب ، والقشع بعلومه عن الآفاق المشرقية والاقطار المغربيـــة غيـــم الجهالة وانجاب ، العالم العلـــم سيدي ابي عبد الله محمد بن العالم العامل المحقق الفاضل القدوة البركـــة

(3) العابد التقي الحافظ المسند ، الصدر الاوحد ابى علي الحسن (22) البكري ابقاه الله علما للاهتدى، وكعبة يؤمها كل مـــن راح فى طلب المعالي واغتـــدى ، وحجة ربانية تقطع كل من مد الى هذا الدين المحمـــدي يـــد التحريف والعدا (23) . سلام عليكم ورحمـــة الله تعالى وبركاته سلاما يتعطر بشـــذاه من تلكـــم الحضرات الصديقية ناديهـــا ، وتطيب (24) بـــه مـــن تلكم المكانة البكرية خواتمها ومباديها . اما بعد حمـــد الله الذي الف بين لطائف الارواح مع تنائي الاشباح ، وجعل المواصلة في ذاته والمحبة من اجله سببا كفيـــلا بنيل كل فوز وفلاح ، والصلاة والسلام على سيـــدنا محمد افضل من خفقت عليه الوية النصر الربانـــي والتاييد الالاهي في موقف الكفاح ، والرضى عن آلـــه وصحابته اشرف من طاعن عن دينـــه القويم بالاسل وجالد ببيض الصفاح . فهذه عجالة تجلو على حضرتكم الصديقية مثابتكـــم البكرية محياها وتسكب حياهـــا على ربوعها التي حالفها اليمن والايمان وحياها ، كتبناها اليكم كتب الله لكم سعادة مفعمة المذانب(25) والحياض مخضرة الجوانب مونقة الرياض ، من حضرتنا العلية، ومقر هذه الايالة الحسنية (26) ، ومتبـــوا خلافتنـــا الهاشمية العلوية ، ومعقـــد الويتنـــا المنصورة بالله الجهاديـــة ، حيث الارزاق والجرايات للمجاهديـــن

---

17) في (رسائل سعدية) : المثابة ص 33 . هـــذا وكل ما تقدم مفقود فى رسائل سعدية
18) فى (رسائل سعدية) اضافة جملة : « وانشد لسان حالها معربا عن حالها :
تمتـــع مـــن شميم عـــرار نجـــد فمـــا بعـــد العشيـــة مـــن عـــرار
19) فى رسائل سعدية : التحريـــر ص 34
20) فى رسائل سعدية : بيد المريدين
21) هذه الفقرات ناقصة فى رسائل سعدية
22) زيدت كلمة (ابن) بين الحســن والبكـري في رسائـــل سعديـــة
23) يعني المداء بفتح العين ، وهي زيادة لا توجـــد فى (رسائل سعدية)
24) الفعل (يتعطر) بالياء ، والفعل (تطيب) بالتاء، وهو ما كان ينشده الاستاذ كنون فى النسخة البزيوية
25) جمع مذنب وهو مسيل الماء والجدول اذا لم يكن واسعا ، وكل هذه الزيادة تنقص فى المصادر المغربية
26) في نسخة البزيوي : الايالـــة العلويـــة .

مفروضة ، والعساكر الايمانية فى المسا والصباح علينا في ذات الله معروضة ،حمراء مراكش كرسي خلافتنا الفاطمية (27) ، وحضرة ملكها ، ومربط مسوماتها العراب ووكر اغربة (28) فلكها ، ومجرى ذراريها النيرة ومدار فلكها ، ولا زائد بحمد الله سوى ما الهم الله سبحانه بفضله ، ووفق اليه بحوله وطوله من تشييد المعالم الدينية فى هذا القطر

4) المغربي على قدر الاستطاعة ، وتجديد ما يختشى عليه من الرسوم الايمانية الدروس والاضاعة ، واقامة قسطاط العدل والانصاف بين اوزاع البرايا ، والرفق بما مد الله عليه رواق هذا الامر العلي من اصناف الرعايا ، والاخذ بمخانق من جاورنا من فئة التثليت وعبدة الصليب ، وافراغ شئابيب الصفار عليهم من رمي اغراض مغانيهم من التضييق بالسهم المصيب الى ما وصلنا فيه بمحد الله وجميل طوله البكر والآصال ، ولنا من الحنين الى سلوك سبيله ما يزري بحنين النيب (29) الى الفصال من تفقد حملة الشريعة والاخذ بحجزهم (30) عما لايليق بجانب العلم من الخصال الشنيعة وادارة كؤوس التعلم والتعليم فى الفنون العلمية مساء وصباحا والتضلع من جريالها (31) ومعين سلسبيلها اغتباقا واصطباحا. هذا وموجبه اليكم استمطار ما يتأكد استمطاره من ذلك الجناب الصديقي من الادعية الصالحة ، وانعطاف تلكم الهمم البكرية التي هي في ميزان الاعتبار على من سواها راجحة ، والى المصالح العامة والخاصة بهذه الامة المحمدية جانحة ، وبكم الى ما يرضي الله ورسوله في العباد جامحة ، والانهاء اليكم ، والتعريف بما لتلكم الذات الفاضلة في هذه الحضرة الامامية ، والمثابة (32) المنصورية : من المودة (33) التي اسست على رضوان من

27) حذف وصف **الفاطمية** فى رسائل سعدية ، وقد لوحظ ان القصد من هذه الصفات الهاشمية ، العلوية، استحقاق السعديين للخلافة العظمى دون خلفاء بني عثمان ... وذكر الاستاذ الجليل السيد عبد الله كنون ان الشيخ البكري ربما كان **تحايل** على صرف معنى الخلافة المدعاة الى خلافة اقليمية وذلك عندما اجاب المنصور السعدي فى بعض رسائله هكذا « احمد خليفة ملك ملك حبات القلوب .. » ومع الاعتراف بالموقف الحرج الذي وضع فيه الشيخ البكري من قبل المنصور السعدي والتسليم بان هناك نوع تحايل فانني ما ازال اعتقد ان منزلة الشيخ البكري كانت من المناعة والعصبية بحيث يقول ولايخشى لومة لائم على نحو ما عهد فى علمائنا المتقدمين ممن كانوا لايتهيبون قول الحق والا فبماذا نفسر قول الرسالة البكرية فى جوابها للمنصور السعدي : « يناصرهم من فتاك الاتراك كل قسور قاس » ولننظر مثلا الى مقتل ولده زين العابدين من قبل احد الباشوات .

28) الاغربة جمع غراب والغراب هنا كلمة مرادفة لكلمة قطعة بمعنى السفينة القديمة التي تسير بالقلوع والمجاذيف يستعمل بصفة خاصة فى الاغراض التي تكتسي صبغة الاستعجال .. وقد يوصف بالطيار، ورد ذكرها فى عدة مصادر ، و خاصة منها المغربية . واستمر لفظ الغراب معروفا الى اواسط القرن الثامن عشر ، ولذلك فاننا نجد له ذكرا فى سفارة الغزال لاسبانيا ، والغراب بهذا المعنى من الالفاظ التي احتفظت بها اللغة الاسبانية Gurapas
وقد ورد فى شعر لابي عمر بن حربون :
تعجبوا من غراب فوق غاربه ثهلان ذو الهضبات الشم او احد !
ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، نشر عبد الهادي التازي ص 252 – 255 – 618 .

29) يوجد على طرة الرسالة هذا التعليق : النيب جمع ناب : الناقة المسنة ، والفصال جمع فصيل وهو الصغير من الابل .

30) كذلك توجد طرة اخرى على هذه الكلمة : الحجزة محل عقد الحزام ، ومعنى الاخذ بالحجزة المنع من الوقوع فيما لا يليق .

31) الجريال والجريالة : الخمر .

32) تقدم ذكر (المثابة) مرارا وقد ارتأى المعلق على الرسالة السلطانية هنا ان يفسرها فى هذه الكلمات: المثابة هي الموطن الذي يرجع اليه ، قال تعالى: « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » .

33) سقطت الكلمة من نسخة البزيوي ، وقد صدق حدس الاستاذ كنون فى انها (المحبة) انظر صفحة 37 من (رسائل سعدية)

الله وتقوى ، وسلمت بحمد الله من ان تشاب بما يشينها من دواعي الهوى والاعتقادات التي تكفلت مقدماتها بنتائج القبول ، وتعاضد على استحسانها المعقول والمنقول ، الى ما يتلى في هذا النادي المولوي من سور مولاتك ، ويدار في هذا المقام السلطاني من كؤوس مصافاتك ، ويرفع فيه

(5) على شط المزار ، وتنائي الدار (34) الوية مواخاتك ، وبحسب هذا فالمطلوب منكم ان لا تزال السنتكم منطلقة لهذا المقام **الفاطمي** واللواء النبوي بالدعاء بصلاح الحال ، وبلوغ المراد فيما تامله في نصرة السنة المحمدية من الامال ، فانتم احق الناس بموالاة هذا المقام ، واولاهم بالاعتناء والاهتمام بأمره في الظعن والمقام ، فان سلفكم اول من ارتدى من الايمان بما جاء به **جدنا** (35) صلى الله عليه وسلم رداء ، واول الصحابة رفع لنصرته لواء ، فابن نسبة الاثنينية (36) اذ هما في الغار ، ثم ما حصل بعدها من ركوب تلكم الاخطار التي لا تخطر السلامة منها على البال الا بالاخطار ، وابن الصحبة العريشية (37) التي اوجبت المنع يوم بدر من البدار ، والحرص على الامتناع بالنفس ساعة من نهار ، فهذه النسب وامثالها لكم بحمد الله عندنا محفوظة ، وبعين العناية وان شطت الدار ملحوظة ، فاحفظوا لها ما يتاكد حفظه من مراعاة الذمام ، وليكن لكم بعرفان عرفاتها ومصافاة مروتها وصفاها نزول والمام ، فلا تزال مواعظكم تنشر على اسماعنا حباها ، ومكاتباتكم النافعة تخلد في انديتنا السلطانية حباها (38) ، فانا بحمد الله ممن يحسن الاصغاء الى ذلك والاستماع ، ويودعه في سويداء قلبه احسن ايداع ، ولا تزال اهلة رسائلنا بقدر الامكان تلوح عليكم في تلك الآفاق ، وتطوي اليكم اديم الفلوات على متون النياق ، وتامن في خفارتها ببركاتكم الرفاق، وليكن سيدنا على يقين (39) ان اغراضه في هذه الدار السلطانية متلقاة بالقبول ، ووسائله متكفل لها ببلوغ الامل وغاية السول ، وشفاعته عن باب القبول والاقبال منا غير مردودة ، وفي مدخراتنا للمعاد

(6) معدودة ، فارسل علينا من صيبها الوابل الرذاذ ، وارمنا (40) منها بالكل والبعض والجذذ والافلاذ . ثم مما يكون به لهذه المخاطبة الختام ، ويحسر عن محياها الوسيم لاجله اللثام ، استدعاء **اجازة** من ذلك **المقام الصديقي** يؤجر عليها المجيز ويشرف بها المجاز ، ويكمل بها الانحياش الى **المقام النبوي** والانحياز، ويكون على جسر سندها الى مرضات الله المعبر والمجاز، على ان تمدوا فيها رضى الله عنكم اطناب الاطناب ، وتتغضوا فيها الجراب والوطاب ، منعمين فيها بالتصدير بالكتب التي هي اكف الاسلام ، واتفق على صحتها بين الانام ، ثم بمشاهير التصانيف الاسلامية، والتآليف العلمية ، ثم بالتعميم في المقروءات والمسموعات ، والمتناولات والمجازات ، متفضلين في كل ذلك بذكر اسانيدكم في كل مجاز ، ومكملين الصنيعة بذكر الشيخة (41) التي لكم عليها الاعتماد ، ومطرزين لذلك بذكر ما لهم من الانباء المعطرة ، والحكايات المستلذة ، والمواليد والوفيات ، والاسنادات الغريبة ، والمقاطيع المستطرفة ، على ان يكون ذلك كله ان شاء الله في **مجلد** تتشرف به هذه الاقطار المغربية وتنشر به محاسنكم الامامية بحول الله وقوته . وهذا ما اوجبه اليكم والسلام التام (42) المبارك الاعم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته بتاريخ اواسط ربيع الآخر من عام احدى وتسعين وتسعمائة عرفنا الله خيره وبركته آمين والحمد لله رب العالمين .. »

(34) سقطت كلمة (من) قبل الوية وهي في رسائل سعدية . هذا ومن
(35) راجع تعليق رقم 27
(36) في (رسائل سعدية) الاثنية بحذف نون المثنى رعيا للقاعدة
(37) الاشارة الى العريش الذي كان مأوى للرسول عليه السلام مع صاحبه سيدنا ابي بكر الصديق وحارسه الخاص سيدنا سعد بن معاذ وذلك في غزوة بدر حيث كانت الاشارات النبوية تنفذ منه .
(38) هنا طرة هكذا : « الحباء بالكسر العطية . والحبى جمع حبوة (غرف جمع غرفة) وهي الآلة التي يضم بها الرجل رجليه الى ظهره ، وهذا اشارة الى تمام التمكن في المجلس .
(39) حذفت من (رسائل سعدية) وقد استوجبها الاستاذ كنون .
(40) في الاصل : وارملنا ولعل الصواب وارمنا على ما في (رسائل سعدية)
(41) في (رسائل سعدية) مشيخة بدل شيخة ، وكلاهما جمع لشيخ .
(42) ابتداء من كلمة (التام) كله مفقود في (رسائل سعدية)

انتهى ما نقلته — يقول يوسف المغربي — من خط مولانا الامام العلامة الشيخ يحيى الاصيلي ، ورقمه الفقير الى ربه يوسف المغربي اثناء شهر القعدة سنة 998 .

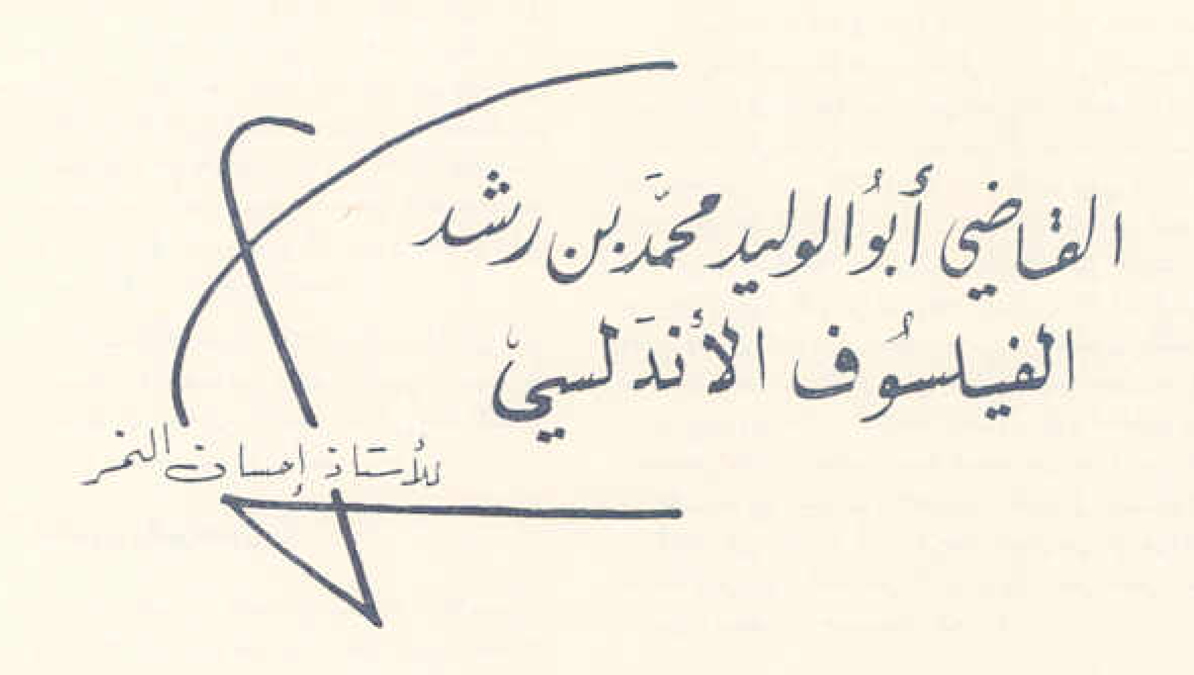
هذا وعن الرسالة اجاب الامام البكري بكتاب طويل — ولكن ليس بمجلد كما طلب المنصور السعدي — وقد اثبت جل هذا الكتاب الوزير صاحب القلم الاعلى ابو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي في كتابه مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفا (43) ، وقد وصف قطب الاقطاب الشيخ البكري رسالة المنصور السعدي ، بانها « السحر الحلال » ، كما يوجد جواب الشيخ ضمن « رسائل سعدية » التي تحدثنا عنها آنفا ، وقد اثبت ابو العباس الناصري السلاوي في كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (44) طائفة من الكتاب البكري للمنصور السعدي رحمهم الله اجمعين .

الرباط : عبد الهادي التازي

---

43) نشر الاستاذ الجليل السيد عبد الله كنون الجزء الثاني من هذا الكتاب (المناهل بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي وتحت اشراف معهد مولاي الحسن للبحوث ، ويوجد جواب البكري لحسن الحظ في هذا الجزء المنشور في صفحات 192 — 193 — 194 — 195 — 196

44) انظر الجزء الخامس — طبعة دار الكتاب — الدار البيضاء ص 115 .



الكتابة عن ابن رشد :

ابن رشد احد قضاة الاسلام بدرجة امام ، له مؤلفات اسلامية وهو طبيب ، وبعد هذا وذاك حكيم اي فيلسوف ، فمن يرد الكتابة عنه يجب ان يكون دارسا لعلوم الدين الاسلامي ، والا فان كتابته تسير على رجل واحدة . وهو رجل مركب ينبغي ان يكتب الكاتب عن جميع نواحيه ، لا سيما السياسة ، لانه كان احد رجال الدولة ومن المقربين للخليفة ، فمن يكتب عنه يجب ان يكون واقفا على تاريخ بلاده في ذلك العصر ، والا فلا يجوز له ان يكتب .

والمؤسف ان مثل هؤلاء يكتبون متأثرين الى حد كبير باساتذتهم من الاوربيين والمستشرقين فيزيدون الطين بلة ،بدلا من ان ينقوا هذه الكتابات من الاخطاء والاغلاط والدسائس التي ترد في كتابة اولئك الغربيين الذين لا يبالون بما يكتبون ، لانهم لا يتعمقون بدراسة كتب الاسلام ولا يهمهم الا نصاف عامدين .

خلاصة تاريخ الاندلس من الفتح الى عهد ابن رشد:

معلوم ان الاندلس فتحها طارق وسيده موسى ابن نصير سنة 92 هـ ، وتوالى عليها ولاة الخلفاء الى ان كان الانقلاب العباسي فدخلها من الامويين عبد الرحمن ابن معاوية سنة 139 هـ هاربا من العباسيين ، وما زال يعمل حتى رسخ اقدامه ، وهابه العباسيون فتركوه وشأنه . وتعاقب الامراء على الاندلس من ذريته يلقبون بالامير فقط ، لا يدعون الخلافة الى ان تغلب الاتراك على الخلفاء العباسيين فتجاسر عبد الرحمن الناصر على التلقب بلقب امير المؤمنين ، وقد بلغت الاندلس ذروة المجد في عهده الذي دام خمسين سنة . وكان يتولى قيادة الجيوش بنفسه ، ولم تقتصر حروبه على اخضاع الثوار في الداخل واخضاع المناوئين في الخارج . فقد اجتاز العدوة الى افريقيا فاستولى على المغرب ليصلح ما افسدته دعوة الفواطم الروافض ، وقد استولى على مصر وانتقلت اسرة الملك ولم يكن العباسيون وولاتهم الاغالبة ، يلتفتون الى تنبيهات عبد الرحمن الناصر .

وعلى اثر موت عبد الرحمن الناصر تولى ابنه الحكم وكان ضعيفا وقد بدا انهيار عظمة الاندلس بعاملين داخلي وخارجي .

لقد مات الحكم عن ولده هشام الطفل فاستوصت عليه امه وتولى الامور وزيرهم الملقب بالحاجب المنصور ابن ابي عامر وعظم شأن ولده حتى طمعوا بالخلافة والحلول محل البيت الاموي ، وكان هذا هو الاصلح لان

تربية البيت الاموي ضعفت الا ان البيت الاموي والشعب نادوا فاطاحوا بالعامريين . الا ان الامويين اختلفوا فيما بينهم وما زالوا فى تناحر حتى انقرضوا فاستقل ولاة المقاطعات كل فى مقاطعته فشكلوا ما يعرف بملوك الطوائف ولم يكتفوا بهذا بل انهم غفلوا عن الامارات الاسبانية التي كانت تنمو فى الشمال — فصاروا يتحاربون مع بعضهم . ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يستعينون بهم ضد بعضهم فاغتنم امير الاسبان ذلك فارسل اثنى عشر الفا من رجاله نزلوا فى قلب الاندلس ليكونوا جاهزين للنجدة .

وهنا انتبه كبار ملوك الاندلس لا سيما ابن عباد صاحب اشبيلية فاستنجدوا بملك الملثمين يوسف بن تاشفين فاجتاز العدوة الى الاندلس ثم اتى بعد الملثمين الموحدون وفى عهدهم نشا ابن رشد .

الملثمون والموحدون :

لما شغل امراء الاندلس ببعضهم وبالاسبان سادت شمال افريقيا الفوضى واستقل الامراء كذلك فى المقاطعات فنمت امارة بربرية عرفت بالملثمين لانهم كانوا دائما يتلثمون وجعلوا ذلك رمزا لهم ، وقد بلغت من القوة شاوا حينما استنجدت بهم الاندلس ، وكان على راسهم امير شديد وهو يوسف بن تاشفين ، فلما دخل بجيشه الى الاندلس قام بطرد الاسبان وبرفع سلطتهم فاصطدم بجيشهم المتحالف فى واقعة الزلاقة فكسر الاسبان شر كسرة . واستسلم الملثمون بعد ذلك لترف الاندلس فانحلت روحهم الحربية .

وقد اهملوا افريقيا فنشات فيها اسرة علوية عرفوا بالموحدين ، كان اولها ابن تومرت الملقب بالمهدي ثم جاء بعده ولده علي ثم خلف هذا ولده عبد المؤمن ثم تولى بعده يوسف الذي فتح الاندلس وجعلها ولاية تابعة لافريقيا ، ثم جاء بعده ابنه يعقوب أبو يوسف المنصور الذي بلغت الدولة المغربية اوج القوة فى جيشها واسطولها الذي كان اقوى اساطيل العالم ، وفى عهده ظهر ابن رشد وكان الاميران يوسف وولده يعقوب يقلدان الرشيد والمامون ، فقربا الفلاسفة واهملا الفقهاء ، فاثار هؤلاء العامة فاخطروا الامير يعقوب الى التراجع ونكبة الحكماء كما سيتبين :

ابن رشد بين العزة والنكبة :

ابن رشد سليل بيت قرطبي عرفوا بهذه الكنية اشتغلوا بالفقه فتولى قضاء قرطبة فيهم الى ان وصل الى المترجم الذي اشتهر بابي الوليد محمد بن احمد ابن محمد بن رشد، وقد ولد عام 520هـ وفق 1126 م .

نشا ابو الوليد فى قرطبة وتخرج على والده وعلى فقهاء قرطبة على مذهبهم المالكي ، وتولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة ثم درس الطريقة الاشعرية ثم لم يكتف بهذا بل درس علم الطب ثم اكب على دراسة الفلسفة من كتب فلاسفة الاسلام المشرقيين ، ثم ابن باجه وابن طفيل الذي صار يعترف له بالسبق لتفوقه وقد عرف فيه هذا ، فقربه الخليفة امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ثم ولده يعقوب ، الا انه قرب بعض شبان اليهود ، ومنهم موسى بن ميمون يتلقون عنه الفلسفة ويشيعونها بين الناس فهب حساد ابن رشد يوغرون صدر الخليفة المنصور عليه فانقلب عليه فابعده عن بلاطه فتجاسر عليه العامة حتى طردوه وولده من المسجد مع الشتائم والاهانات ، فنزل فى اليسا وكان يسكنها وهي ضاحية قرب قرطبة ، ثم رحل الى مراكش حيث توفى فى يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجرية .

حقيقة ابن رشد وحال المسلمين فى المغرب والاندلس :

استولى العرب على الاندلس وسكانها من النصارى واليهود يملأونها ولم يدخل الاسلام منهم الا القليل لانهم لا يعرفون اللغة العربية او ما يقاربها كسكان مصر والشام ، فظلوا على دينهم وكانوا على جانب من النقمة على المسلمين ، لانهم ازالوا ملكهم ، اذ كانوا مستقلين ، اصحاب ملك وسلطان ، فلم يكونوا رعايا لدولة اخرى كما كانت الحالة فى العراق ومصر والشام وشمال افريقيا . وظهر ان الذين دخلوا الاسلام من نصارى ويهود الاندلس لم يكونوا مخلصين فى ذلك ، فكانوا هم واخوانهم من النصارى واليهود يتطاولون على الاسلام ونبيه عليه السلام ، فافتى الفقهاء باعدام كل من يتجاسر على ذلك ، وما كتاب الشفاء للقاضي عياض اليحصبي المغربي الا رد فعل وفتاوى ضد هذا التهجم على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان العقاب الشديد الذي نزل بالمتهجمين اعقب انفجارا تمثل فى ثورة عمر ابن حفصون التي دامت ربع قرن حول قرطبة بالذات ولم يقض عليها الا بمشقة زائدة ، وقد اضر هذا بمسلمي الاندلس وافريقيا بطريقة غير مباشرة ، اذ نشا عنه رد فعل قوي لايطاق ، واصبح الفقهاء يسيطرون سيطرة عظيمة على الراي العام وعلى الملوك والامراء والخلفاء ، وبالرغم من عدم ظهور فرق مبتدعة فى الاندلس فانهم راوا فى حفنة من العقليين (الفلاسفة)

خطرا على الذين ضغطوا على الخليفة وحملوه على ابعادهم ، ولما نزلوا بين العامة اهانوهم بنسبة عقليتهم وتعصبهم الشديد فاهانوا ابن رشد وقد بلغ عمرا تهدمت معه اعصابه فمات مكمودا .

على ان ابن رشد لم يحرم من المعترفين بفضله ولكن بعد موته بكثير لا سيما من الغربيين ، فكان امره كما قال الشاعر :

لا الفينك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي

ولم تقتصر النكبة عليه بل نكبوا بضعة اشخاص معه ممن يشبهونه ارضاء للفقهاء الذين اثاروا العامة ، ومن هؤلاء المنكوبين : ابو جعفر الذهبي ، وابو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضي بجاية ، وابو الربيع الكفيف وابو العباس الحافظ الشاعر القراني ، وبقوا مدة في حالة نقمة الى ان اتصل جماعة من اعيان اشبيلية بالخليفة المنصور يعقوب ابو يوسف المذكور فرضي عنهم سنة 595 هـ فعين ابا جعفر الذهبي مزورا للطلبة ومزورا للاطباء ، وكان يقول عنه ان ابا جعفر الذهبي كالذهب الابريز الذي لم يزدد في السبك الا جودة . وقد اصدر منشورا الغى منشور النكبة واعاد ابن رشد الى منزلته ، ولكن امره لم يطل كما قلت ، فمات لان هذا العمل لم يغير من رثاثته . وقد عطف المنصور على اولاد ابن رشد وكانوا فقهاء فعينهم قضاة في الاقضية (الكور) .

« نتيجة سياسية »

وبالمقارنة بين احوال الشرق وتفسخ العقيدة الدينية فيه والانحلال السياسي وما نتج عن ذلك من الهزائم المخجلة امام الصليبيين والمغول مع حال المغرب والاندلس مع خلوه من الفرق نجد ان التعصب الشديد الذي كان عليه الفقهاء هنا اتى بنفس النتيجة من حيث الانحلال والتفسخ الذي ادى الى ضياع الاندلس واحتلال الاسبان والبرتغال للمغرب امدا . فيحكم بان نتائج التشديد والتاويل واحدة ولو سلم المسلمون من البدع ولم يحصل رد الفعل عليها في المغرب لما اصاب الاسلام بشقيه المغرب والمشرق ما اصابه من الانهيار والنكبات .

ومن جهة اخرى نجد ان فشل اميري المؤمنين يوسف وولده يعقوب بتقليد اميري المؤمنين هارون الرشيد وولده المامون نتج عن ضعف ملوك وخلفاء المغرب امام الفقهاء ، وظهر ان خلفاء المشرق من امويين وعباسيين كانوا اقوياء ، لا يبالون بالفقهاء ، فان المنصور والمعتصم والواثق اضطهدوا الامامين ، مالك وابن حنبل ، ولم يبالوا ، وسواء كانوا على حق ام على باطل، فانهم اظهروا قوة ، فمن الوجهة السياسية المقارنة لحل ملوك المغرب يظهر صوابهم وقوتهم .

ابن رشد الفقيه المجتهد الكبير :

نشأ ابن رشد وعاش ومات في القرن السادس الهجري الذي تواردت (1) فيه على المغرب والاندلس ثمار النهضة العلمية العباسية ، وفيه وصلت اليهم ثمار الاجتهاد ونتائج النزاع بين الكلاميين والفرق . وكذا نتائج اجتهاد الائمة المجتهدين في جميع شؤون الحياة .

وكان ابن رشد يلتهم هذه الثمار التهاما عجيبا ، فقد كان من افذاذ العالم في الذكاء ، وما زال يدرس وينضج الى ان شعر بانه من الراسخين في العلم ، وكان قد درس الى جانب هذا الفلسفة ووجد في نفسه الكفاءة للرد على المتهجمين عليها ، كما سيتبين في البحوث الاتية ، فالى جانب رده على تهافت الغزالي بكتابه الذي سماه (تهافت التهافت) الاتي الكلام عليه ، قام بكتابة رسالة سماها « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حاول فيها التوفيق بين آراء علماء الاسلام والفلاسفة فيما هو معروف بالمتشابه في القرآن في قوله تعالى : « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله، وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا اولوا الالباب » . فهو من الفريق الذي يقول ان الواو قبل الراسخين في العلم هي للعطف لا للاستئناف اي العلماء يقدرون على تأويل المتشابه فخاض في التاويل للتوفيق بين الشريعة والفلسفة فدلت بحوثه على قدرة عظيمة وفهم ونضج . وهو في كل خطوة ينصح بعدم اطلاع الجمهور على مثل هذه الامور لانه يرى في ذلك ضررا واي ضرر لهم . ومع انه يصيب في هذا كل

1) كانت الاندلس في تقاطع مع الشرق منذ استقل بها الامويون ، فكانت نتائج العلوم في المشرق تصل الى الاندلس بعد قرن من الزمن ، وانما تصلهم كتب مشروحة ومنقحة .

الاصابة الا انه بهذا حامت حوله شبه العامة فتطاولوا عليه ولو لم يكن مترفعا عن الجمهور لكانوا معه في نكبته بدلا من ان يكونوا عليه كما هي العادة ، فقد طالما ثار العامة لعالم يثقون به واضطر السلطان لرفع الضغط عنه كما حصل لأئمة العامة مما اضطر دار الخلافة لرفع الضغط عنهم في بدعة خلق القرآن .

وهو يرى ان مفاهيم الآي والحديث على ثلاثة درجات : للجمهور ، وللخواص ، وللمجادلين ، فيرى انها برهانية وخطابية (وعظية) وجدلية يبينها قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » ، فيرى ان الحكمة هي الاسلوب البرهاني ، والموعظة الحسنة هي الاسلوب الخطابي ، واما الجدلي فهو لاهل الجدل ، وهم المنطوون على الخبث وانهم اذا لم يجادلوا بالتي هي احسن تطاولوا وخرجوا ، فاقتضى استعمال الصبر معهم وعدم التعمق في مجادلتهم وهو يقرر ما يرجح اساليب القرآن في المخاطبة على البراهين المنطقية ، ويرى انها جامعة لاساليب الثلاثة ويتفق مع الامام محمد بن ابراهيم الصنعاني اليمني ، ولا ادري هل اخذ احدهما عن الاخر ام ان الامر كان من قبيل المصادفة والصنعاني الف كتابا سماه « ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان » قرر فيه ان في القرآن ادلة وبراهين تغني عن منطق اليونان ، وهذا ابن رشد يقول : « قلنا هي الطرق التي ثبتت من الكتاب العزيز فقط ، فان الكتاب العزيز اذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم اكثر الناس والخاصة ، واذا تؤمل الامر فيها ظهر انه ليس يلفى طرق مشتركة لتعليم الجمهور افضل من الطرق المذكورة فيه ، فمن حرفها بتاويل لا يكون ظاهرا بنفسه واظهر منها للجميع ، وذلك شيء غير موجود ، فقد ابطل حكمتها وابطل فعلها المقصود افادة العادة الانسانية وذلك ظاهر جدا من حال الصدر الاول وحال من اتى بعد ، فان الصدر الاول انما صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقاويل دون تأويلات فيها ، ومن كان منهم وقف على تاويل لم ير ان يصرح به ، واما من اتى بعدهم فانهم لما استعملوا التاويل قل تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كلفنا اعتقاده ، ويجتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتاول من ذلك شيئا الا اذا كان التاويل ظاهرا بنفسه ، اعني ظهورا مشتركا للجميع فان الاقاويل الموضوعة في الشرع لتعليم الناس اذا تؤملت يشبه ان يبلغ من نصرتها الى حد لا يخرج عن ظاهر ما هو منها ليس على ظاهر الا من كان من اهل البرهان ، وهذه الخاصة ليست توجد لغيرها من الاقاويل ، فان الاقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع لها ثلاث خواص دلت على الاعجاز ، احدها انه لا يوجد اتم اقناعا وتصديقا للجميع منها ، والثانية انها تقبل النصرة بطبعها الى ان تنتهي الى حد لا يقف على التاويل فيها ان كانت مما فيها تاويل الا اهل البرهان ، والثالثة انها تتضمن التنبيه لاهل الحق على التاويل الحق ، وهذا ليس يوجد لا في مذهب الاشعري ولا في مذهب المعتزلة ، اعني ان تاويلاتهم لا تقبل ولا تتضمن التنبيه على الحق ولا هي حق ، ولهذا كثرت البدع . وهو يستهدف بقول في صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، اتريدون ان يكذب الله ورسوله » ؟ .

ويريد ان يخرج دائما بنتيجة ان الاسلوب البرهاني والجدلي ايضا يحتاجان الى المنطق ، وهنا تتفق الفلسفة مع القياس البرهاني الفقهي ، فهو يقول : « انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا في الملة او غير مشارك ، اذا كانت فيها شروط الصحة واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام ، واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحصت عند القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه في ذلك ، فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

وضروري ان من يفسد من النظر في تلك الكتب انما يفسد لضعفه وفساد فطرته ، فتراه يقول : «وليس يلزم من انه ان غوى غاو بالنظر فيها او من قبل غلبة شهواته عليه او انه لم يجد معلما يرشده الى فهم ما فيها او من قبل اجتماع هذه الاسباب فيه او اكثر من واحد ان يمنعها عن الذي هو اهل للنظر فيها ، فان هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها ، هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات ، وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته ان يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه الصلاة والسلام للذي امره بسقي العسل اخاه لاسهال كان فيه فتزايد الاسهال به لما سقاه العسل وشكا ذلك اليه : « صدق الله وكذب بطن اخيك » ، بل نقول ان مثل من يمنع النظر في كتب الحكمة من هو اهل لها من اجل ان قوما من اراذل

الناس قد يظن بهم انهم ضلوا من قبل نظر فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شرقوا بالماء فماتوا ، فان الموت بالماء بالشرق امر عارض ، ومن العطش امر ذاتي وضروري . وهذا الذي عرض لهذه الصناعة هو شيء عارض لسائر الصنائع ، فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه في الدنيا ، بل اكثر الفقهاء هكذا تجدهم .

وهو يرى انه لا عذر لمجتهد لم يستوف الوقوف على اسس الاجتهاد من معرفة الاصول ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول بالقياس . وهو يرى ان التاويل في البين اي في مبادىء الشريعة كفر ، وان وقع فيما بعد المبادىء فهو بدعة ، وهكذا رايه في المتشابه .

اما مبادىء الشريعة ، فهي الاقرار بالله تعالى وبالنبوات وبالسعادة الاخروية والشقاء الاخروي .

وقرر ايضا ان التقوى هي صحة النفوس من الشك والزيغ ، وان هذه الصحة تترتب عليها السعادة الاخروية وبالعكس هي سبب الشقاء الاخروي .

ولابن رشد كتب اخرى في الفقه وهي : كتاب (المقدمات) و (مختصر المستصفى) في اصول الفقه ، وكتاب في (التنبيه الى اغلاط المتون) وكتاب (الدعاوي) في ثلاثة مجلدات . ودروس في الفقه ، وكتابات في الذبيحة ، وكتاب في الخراج ، وكتاب في الكسب الحلال ، وكتاب في التحصيل الذي جمع فيه اختلاف اهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف مما دل على سعة اطلاعه .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد :

وهو اجل كتبه في الفقه وهو يبحث في التعبديات والمعاملات عند المذاهب الاربعة ، وهي : الحنفي والشافعي والمالكي والظاهري (1) وقل ان ذكر شيئا عن المذهب الحنبلي لاعتباره الحنبلي من ائمة الحديث. وهذا الكتاب مذيل بهوامش يذكر فيها الاسانيد ، والراجح انه قصد من هذا المؤلف الكبير لفت نظر الاندلسيين الى المذاهب الاخرى ، وهي : خدمة لسلطان يعقوب الذي جاهر بما كان يخفيه ابوه وجده ، وهو هدم ونسف المذهب المالكي ، لانه مذهب بني امية فقد اعتنقوه لتصريح الامام مالك بحبهم وتمني رجوعهم

(1) نسبة لابي داود الظاهر وهو مذهب منقرض .

وكان هذا التصريح سبب اضطهاده من ابي جعفر المنصور ولهذا نقم الموحدون عليه ، وقد اظهر النقمة يعقوب لقوة سلطانه ، فقد شهد بعض المؤرخين بمدينة فاس ، انه كان يوتي من كتب مذهب مالك بالاحمال فتحرق بالنار فيظهر ان ابن رشد انما الف هذا المؤلف لينبه الاندلسيين للاخذ بالمذاهب جميعها لا ان يتقيدوا بمذهب مالك وحده .

والكتاب شامل لتحقيقات المذاهب الاربعة ، لا سيما المذهب الظاهري الذي كان يزاحم مذهبي مالك والاوزاعي ، واصبح اذ ذاك على وشك الانقراض . هذا جميعه يدل على سعة اطلاع ابن رشد على المذاهب الفقهية جميعها .

كما ان وقوفه على الاصول وقدرته في فهم المتشابه ومهاجمته الاشعرية وغيرهم تدل دلالة واضحة على قدرته ووقوفه على جميع نواحي وسائل الشريعة الاسلامية .

والذي ينبغي التنبيه اليه هو اتهامه بالزيغ فان جميع كتاباته تدل على صحة عقيدته واخلاصه للاسلام والورقة التي وجد فيها ما يوهم الكفر بين اوراقه المزعومة هي دس من خصومه لا يؤبه لها كما يفعل اليوم فيمن يريدون توريطه ، وقد تكون لاحد تلاميذه اليهود كما سياتي ، وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على الشريعة ، واليك ما جاء من اقواله عن ذلك في كتاب فصل المقال المذكور : « فان النفس مما تخلل الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة في غاية الحزن والتالم » .

« وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان انشا الله في العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى ان يكون ذلك مبدا لمن ياتي بعد » .

فمن كانت هذه نفسيته وعقيدته لا يجوز الطعن به ولا يقبل اصلا ، وقد كتب فعلا في كتابه الكشف عن مناهج الادلة الاتي الكلام عليه .

« معالجته ادلة آراء الفرق لا سيما الاشعرية »

ولم يقف عند الامور الفقهية المارة الذكر فانه اشتغل ايضا في بحوث الفرق وادلتها وخوضها بالمتشابه فتوصل الى حلول قيمة وقد نعى عليهم اشتغالهم بذلك لانه لا فائدة فيه ، وقد الف كتابا اسماه (الكشف عن

مناهج الادلة في عقائد الملة) وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة .

وقد صدر هذا الكتاب بقوله : « فقد رأيت ان افحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها واتحرى من ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة ، فان الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة . كل واحد منهم يرى انه على الشريعة وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال ، وهذا كله عدول عن مقصد الشرع وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة ، واشهر هذه الطوائف في زماننا هذا اربعة : الطائفة التي تسمى الاشعرية ، وهم الذين يرى الناس اليوم انهم اهل السنة،والتي تسمى المعتزلة ، والطائفة التي تسمى بالباطنية ، والطائفة التي تسمى الحشوية ، وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة ، وحرفت كثيرا من الفاظ الشرع عن ظاهرها الى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات ، وزعموا انها الشريعة الاولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاغ عنها فهو اما كافر واما مبتدع . واذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر ان جلها اقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة . وانا اذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الايمان الا بها ، واتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم دون ما جعل اصلا في الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بصحيح وابتدي من ذلك بتعريف ما قصد الشارع ان يعتقده الجمهور في الله تبارك وتعالى والطرق التي سلك بهم في ذلك ، وذلك في الكتاب العزيز . ونبدا من ذلك بمعرفة الطريق التي تفضي الى وجود الصانع ، اذ كانت اول معرفة يجب ان يعرفها المكلف . وقبل ذلك ينبغي ان نذكر آراء تلك الفرق المشهورة في ذلك فنقول » .

ثم لم يذكر الا عن الحشوية وانكر معرفة شيء عن المعتزلة ، ولم يذكر عن الباطنية شيئا ، ولم يذكر عن الشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم من الفرق الكثيرة وجعل باقي الكتاب عن الاشعرية ، وقد هاجمهم هجوما شديدا لاسباب آسف انني مضطر لافراد بحث لها فيما بعد .

قال عن الحشوية : « اما الفرقة التي تدعى الحشوية فانهم قالوا ان طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل ،اعني ان الايمان بوجوده الذي كلف الناس التصديق به . يكفي فيه ان يتلقى من صاحب الشرع ويؤمن به ايمانا كما يتلقى منه احوال المعاد ما لا مدخل فيه للعقل . وهذه الفرقة الضالة الظاهر من امرها انها مقصرة عن مقصود الشرع في الطريق التي نصبها للجميع مفضية الى معرفة وجود الله تعالى ودعاهم من قبلها الى الاقرار به ، وذلك انه يظهر من غير ما آية من كتاب الله انه دعا الناس فيها الى التصديق بوجود الباريء بادلة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله تبارك وتعالى : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم . . » الآية ، ومثل قوله تعالى : « أفي الله شك فاطر السماوات » ، الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى .

واما (الاشعرية) فانهم راوا ان التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون الا بالعقل ، لكن سلكوا طرقا ليست هي الطرق الشرعية التي نبه الله عليها ودعا الناس الى الايمان به من قبلها .

وذلك ان طريقتهم المشهورة انبنت على بيان ان العالم حادث وانبنى عندهم حدوث العالم على القول بتركيب الاجسام من اجزاء لا تتجزا وان الجزء الذي لا يتجزا محدث ، والاجسام محدثة بحدوثه . ثم اخذ يفند طريقتهم باسلوب سفسطائي ليبرهن على عجزهم في البراهين ، وهاجمهم ، كما يهاجم اضل الفرق ، وقد اشرك معهم المعتزلة مع التخفيف عن هؤلاء رغم انكاره علم شيء عن المعتزلة ، اذ قال : « واما (المعتزلة) فانه لم يصل الينا في هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التي سلكوها في هذا المعنى ، ويشبه ان تكون طرقهم من جنس طرق الاشعرية » .

ثم هو لم يذكر عن الشيعة والباطنيين شيئا مع ان ابن جبير بين الشيء الكثير في رحلته ، وان تاريخ الاندلس يشير الى ان الامويين نبهوا الى خبث طرق الروافض ، وانهم استولوا على شمال افريقيا لتطهيرها منهم ، وكذا فان ملكي الموحدين المعاصرين لابن رشد نفسه كانا مصممين على فتح المشرق لتطهيره من الفواطم الباطنية ، وهو في نفس الوقت لم يذكر عن الخوارج شيئا ، رغم وجود فرقة منهم ، وهم (الاباضية) في شمال افريقيا .

والغريب انه تطرق الى ذكر الصوفية ، مع انه لم يعتبرهم فرقة ، وجل قصده مهاجمة الغزالي واستاذه ابو المعالي بصورة انتقامية شديدة كما بين في المبحث الاتي . والان ارجيء مهاجمته الباطلة للاشعرية اهل السنة

والجماعة الذين سلوا اقلامهم على جميع الفرق حتى بددوها واعادوا للاسلام عقيدته الاصلية والذي لا ينتبه لهذا ويحسن الظن بابن رشد يصدق بان الاشعرية هم شر فرقة في الاسلام ، ولكن الذي يفهم جهادهم لا يتردد في الاعتقاد بانه متحامل وانه كالذي عشق بنتا وهـي (الفلسفة) وقد طلبت منه هدم بلد يسكنها قاتل والدها واخيها وهما الفارابي وابن سينا كي يقتله مع اهـل البلد الصالحين لئلا يفتضح امرها اذا قتل وحده .على ان ابن تيمية الحنبلي محيي المذهب السلفي قد فند اقواله كما سابين .

والآن اعود الى تبيان ما قرر ابن رشد ، فهو يقرر ذلك في خمسة فصول وهي :

الفصل الاول : وهو وجود الله تعالى وان الادلة عليه تعالى من القرآن الكريم الذي يسميه الكتاب العزيز فمن يستعرضه ينحصر في جنسين : **احدهما** الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجله ، واطلق عليها دليل العناية التي يتبين منهـا اصلية احدهما ان جميع الموجودات موافقة لوجود الانسان ، والاصل الثاني ان هذه الموافقة هي ضرورية من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، اذ ليس يمكن ان تكون هذه الموافقة بالاتفاق ، فمن الموافقة النظام اليومي والحيوان والنبات والجماد ، وبالجملة العناصر ، وهي التراب والماء والنار والهواء، وكذلك تظهر العناية من اعضاء البدن الحيواني وموافقته لحياته ووجوده . ومن الآيات الدالة على العناية قوله تعالى : « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » . وقوله تعالى : « الم يجعل الارض مهادا والجبال اوتادا » . وقوله تعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه » .

اما الجنس الثاني : وهو اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل ، وقد اطلق عيه اسم دليل الاختراع ويدخل فيه وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السماوات . واذ نرى اجساما جمادية ثم تحدث فيها الحيات فنعلم قطعا ان هنالك موجدا للحياة ومنعما بها وهو الله سبحانه وتعالى ، ودليل الاختراع من القرآن الكريم قوله تعالى : « او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء » ، وقوله تعالى : «وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون » ، وقوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق » الى غير ذلك من الآيات ، فهذه الطريق هي الطريق المستقيم التي دعا الله الناس منها الى معرفة وجوده وتبههم على ذلك بما جعل في فطرتهم من ادراك هذا المعنى ، وهما العناية والاختراع بالفهم العقلي الفطري ، وبالدليل الشرعي .

الفصل الثاني ــ القول بالوحدانية :

وقد ذكر الادلة المشهورة كقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ، وقوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون»

الفصل الثالث ــ في الصفات :

فذكر ما قرره علماء الكلام حسبما ورد في القرآن الكريم ، وهي سبعة : العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ، ثم اخذ ياتي بالادلة من المعقول والمنقول على كل صفة من هذه الصفات السبعة، وهو مشهور لم ارد نقله .

الفصل الرابع ــ التنزيه :

وهو تنزيهه تعالى عن صفات النقص والمشابهة لخلقه ، وقد اورد الدليل العقلي على ذلك النظام العالمي وسيره بلا خلل ولا فساد ، وانه لو كان في الله صفات كالموجودة في الانسان كالنوم والنسيان والغفلة والخطا والسهو لاختل نظام العالم . واورد من الدليل النقلي قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وقوله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، وقوله تعالى : « علمها عند ربي ، لا يضل ربي ولا ينسى » ، وقوله تعالى : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » . وتحت هذا الفصل ، قال في الجهة والرؤية : « فيقول ان الله تعالى في السماء بلا كيف وانه نور » وهو يقول : « ان الجهة غير المكان » . وذهب الى شروح كعادته ، خرج بمهاجمة الغزالي والاشعرية واظهار عجزهم ونقص ادلتهم .

الفصل الخامس : في معرفة الافعال ، وقسمه الى خمس مسائل ، قرر انها الاصول التي يدور عليها كل ما في هذا الباب هي : اثبات (1) خلق العالم ، (2) بعث الرسل ، (3) القضاء والقدر ، (4) التحوير والتعديل ، (5) المعاد .

المسالة الاولى عن خلق العالم : فهي ما قرره من ادلة العناية والاختراع في الفصل الاول ، وهذا القول يستخلص بمشقة من بحث شطح فيه نقض مذهب الاشعرية . **المسالة الثانية** عن بعث الرسل عليهم السلام : فقرر ان المعجزات هي التي تؤيده مستندا الى مثال وهو ان رسول الملك لا يصدق الا ان كانت له علامة خارقة عن الناس يعرفون بها عادة رسل الملك ، وان المعجزة الخارقة للعادة هي التي تميز بين الرسول الصادق والرسول الكاذب ، فابن رشد يؤمن بالمعجزة ايمانا قطعيا لا كما دس اليهود في التراجم بانه لا يصدق بها . وقرر ان الرسالة لا تعرف بالعقل فقط . وكذلك هذا البحث دمجه مع نزاعه مع الاشعرية وغيرهم من المتكلمين في شرح طويل ايضا .

المسالة الثالثة ـ في القضاء والقدر :

فقال انها اعوص المسائل الشرعية لتعارض الادلة القرآنية والعقلية . ثم تطرق الى آراء المعتزلة (القدرية) وهو القول بالاختيار ثم للجبرية ثم محاولة الاشعرية بقول وسط وهو ان للانسان كسبا وان المكتسب به والكسب مخلوقان لله تعالى واستطرد في هذه البحوث واخصها الكسب وقد ابطل الاقوال الثلاثة ولم يقرر هو شيئـــا .

المسالة الرابعة ـ في الجور والعدل :

فعالج راي الاشعرية فقط ثم قرران القــول بان الله هو خالق الخير والشر هو لنفي قول بعض الاديان الوضعية بوجود الهين ، احدهما اله الخير والاخر اله الشر . ثم عاد يقرر يقرر انه خلق الشـــر من اجل الخير فيكون على هذا خلقه للشر عدلا منه . وضــرب مثالا على ذلك النـار انها خلقـت لما فيهـا من قــوام الموجودات التي ما كان يصح وجودها لولا النار . لكن عرض من النار ضــرر الا ان الفائدة منها اعــم فكـان وجودها افضل من عدمها . وان افضل جواب في هذه المسالة قوله تعالى : « لا يســال عما يفعــل وهــم يسالــــون » .

المسالة الخامسة ـ وهي القول في المعاد واحواله:

وهي من اهم المسائل من حيث هي ومن علاقتها بعلاقة ابن رشد لان الذين ترجموا كتبه لا سيما اليهود الصقوا به تهمة انكاره البعث الاخروي ، ولكن الله لم يشا تلطيخ هذا القاضي الفقيــه من الدرجـة الاولى فابقى وحفظ هذا الكتاب باللغة العربيــة وفي الايــدي الاسلامية حيث يعترف بالمعاد وبالروح اعترافا صريحا لا لبس فيه ، فهو يقول :

« والمعاد ما اتفقت الشرائع على وجوده وقامت عليه البراهين عند العلماء وانما اختلفت الشرائـع في صفة وجوده ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجــوده انما اختلفت في الشاهدات التي مثلت بها للجمهورية تلك الحال الغائبة . وذلك ان من الشرائع من جعله روحانيا اعني للنفوس ومنها من جعله للاجسام والنفوس معـا والاتفاق في هذه المسالة مبني على اتفاق الوحي في ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك اعني انه قد اتفق الكــل على ان للانســـان سعادتيــن اخروية ودنوية ، وانبنى ذلك عند الجميع على اصول يعترف بها عند الكل » .

وبعد ان تكلم على البراهين النقلية واستشهــد بالآيات قال :

« ولما كان الوحي قد انذر في الشرائع كلها بان النفس باقية وقامت البراهين عند العلماء على ذلــك وكانت النفــوس يلحقها بعــد المــوت ان تتعــرى من الشهوات الجسمانية فان كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها من الشهوات الجسمانية ، وان كانت خبيثـــة زادتها المفارقة خبثا لانها تتاذى بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقتها البدن لانها ليس يمكنها الاكتساب الا مع البدن . والى هذا المقام الاشارة بقولــه تعالــى : « ان تقول نفــس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين » . اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال للناس وسموها العادة الاخيرة والشقاء الاخير » .

الا انه قرر ان الاجسام التي تبعث ليست كأجسام الدنيا الفانية انما هي أجسام باقية تتفــق مــع الحياة الاخروية الخالدة والتي انما ذكرت مشابهة لما في الدنيا لتقريبها الى الاذهان مستشهدا بقول ابن عباس رضي الله عنه : « ليس في الدنيا من الاخرة الا الاسمـاء » . وهذه الاقوال غاية في التبيان تستقــر عنــده النفوس ويستقيم اعتقادها في الاخرة ، ولا شك ان قائله مؤمن عالم بما يقول ، قد اخطا المبطلون الذين اتهموه بالانكار غفر الله له واحسن مثواه .

« ابن رشد الفيلسوف الشارح »

اخذ ابن رشد الفلسفة عن اشهر رجال الاندلس منهم ابن باجة وابن طفيل وابو بكر بن العربي وأبناء زهر

وهو فوق هذا احد عباقرة العالم فقد درس كتب الفلسفة التي ترجمت في المشرق ونقلت ناضجة الى الاندلس بعد ان هذبها فلاسفة المشرق : الكندي والفارابي وابن سينا ، وقد اعجب به ابن طفيل الفيلسوف الاندلسي فقدمه الى الخليفة يعقوب ابو يوسف الذي كان يقلد المامون فأشار عليه بشرح كتب ورسائل ارسطو فولع به وبذل جهدا عظيما في شروحه حتى اشتهر بالشارح ، وقد تفوق بشروحه على ارسطو كما قرر غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) حيث يقول: «وابعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له اعظم تأثير في اوربا ، اجل يعد ابن رشد عادة شارحا لفلسفة ارسطو فقط ، ولكن ارى ان هذا الشارح سبق استاذه في بعض الاحيان سبقا يثير العجب وان فلسفته مقبولة في كثير من الامور اكثر من تلك » . ولو عرف ابن رشد حقيقة ارسطو لما غالى في تقدير ارسطو على انه موحد وان له الاهيات عالية . وقد ظهر مؤخرا ان هذا كان خطأ نتج عن عدم ترجمة الادب والتاريخ اليونانيين . وان فلاسفة الاسلام اخذوا بالتراجم كما هي ، فلم يتعلموا اللغة اليونانية ليقابلوا بين الاصل اليوناني وبين ما ترجم وكان ظهر لهم ان لا الاهيات لليونان ، فقد كانوا وثنيين على جانب من السخف ، اذ كانوا يستوحون صخور دلفي الفيلسوف منهم والملك ، اما ان ينتج ارسطو المنطق فهذا قانون الكلام الا انه لم يتحول عن دين قومه فهو مشترك بعدد الآلهة ويستوحي الصخور ، وانما درست الالهيات في فلسفته من اشراقية افلوطين الاسكندري وهذا اخذ بآراء الصابئة واليهود والنصارى والزراد شتية ، وقد ترجمها المترجمون من الصابئة على انها لارسطو ، وقد اخطأ المامون بالركون لترجمة الصابئة والنصارى فكان الافضل ان يرسل بعثة من شباب المسلمين تدرس اليونانية ثم تترجم كتبهم فلا يبقى مجال للدس . ان تاريخ العصور القديمة يثبت ان اليونان كانوا وثنيين سخفاء يستوحون الصخور ، وعلى راسهم فلاسفتهم وملوكهم وعلماؤهم جميعا ، وانهم حكموا على سقراط بالموت لانه كان يتهكم على الآلهة ولم يدافع عن نفسه لعلمه انه على حق . وهذا العلامة (فاسيلي بارتولد) يكشف النقاب عن خطأ العرب في كتابة تاريخ الحضارة الاسلامية ، حيث يقول : « لم يكن عدم اطلاع العرب على فقه اللغة اليونانية وتاريخ اليونان خاليا من التأثير في اعمالهم الفلسفية والعلمية فان علماء العرب لم يقدروا على تمييز الكتب المختلفة المعزوة الى المتقدمين من اصولها ، وكانوا يخلطون احيانا بين الاسماء المشتركة او المتشابهة من اسماء الفلاسفة، كافلاطون وافلوطين مع وجود اختلاف في زمن حياتيهما، ولم يكن يفهم الفرق بين آراء افلاطون او (ازدهارها باسم الافلاطونية الحديثة) وآراء ارسطو فهما واضحا، فينسب مثلا كتاب الالهيات الى ارسطو وهو تأليف افلوطين الذي عاش في القرن الثالث الميلادي » .

وقد قال بهذا الراي مع التوسع الاستاذ احمد امين في كتابه (فجر الاسلام) : « ويقولون مدرسة الاسكندرية الافلاطونية اقفلها جوستنيانس واضطهد الفلاسفة ، ففر شيعة منهم الى فارس فاستقبلهم ملك فارس واحتفى بهم فداوموا على فلسفتهم بالاشتراك مع الصابئة والسريان وخلطوا الالهيات الوثنية بالمسيحية » . واليك ما قال بعد ذلك : « وكان هؤلاء السريان ينقلون العلوم اليونانية بامانة ودقة فيما لا يمس الدين كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة ، اما الالهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية ؛ حتى لقد حولوا افلاطون في كتابتهم الى راهب شرقي فقالوا انه بنى لنفسه معبدا في البرية بعيدا عن الناس وظل يتعبد فيه سنين ، وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون بعد فقد اغفلوا من الالهيات كثيرا مما يخالف تعاليم الاسلام ، الى غير ذلك من التفاصيل التي تثبت خديعة فلاسفة المسلمين ، وقد تحمس ابن رشد كثيرا لارسطو ومن اخذ عنه كالفارابي وابن سينا ، وهاجم بشدة الغزالي الذي هدم فلسفته الالهية التي ادعوا نقلها عن اليونان ، ولما كانت هذه الناحية مهمة فقد افردت لها البحث الآتي :

«ابن رشد يدافع عن الفلسفة ويهاجم الاشعرية والغزالي»

عج المشرق بالزنادقة واهل البدع ، ولما كانت الخلافة قوية فانهم قتلوا الزنادقة وتتبعوهم ، قتلوا الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان في العهد الاموي وقضى ابو جعفر المنصور على الراوندية ، وقتل ولده المهدي تسعة من الزنادقة ، وعين عبد الجبار احد رجاله المعروفين لتعقبهم فعرف بصاحب الزنادقة الا انهم كثروا واعتدلوا فأتوا عن طريق المحاجة بالمنطق والسفسطة فأمر المهدي العلماء باستعمال المنطق فكان اول من تسلح به المعتزلة فكانوا سيوفا على الدهرية والجهمية والشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم الا انهم تطرفوا في ارجاع الاحاديث على العقل ، فرجع عن الاعتزال ابو الحسن الاشعري وانقلب يجادلهم ويجادل غيرهم فسمي مذهبه واتباعه بالاشعرية ، وقد كثروا وقووا حتى اخفتوا اهل البدع جميعا ومعهم المعتزلة فاعتبروا اعلام الاسلام وحماته وقد ظهر بعد الاشعري

ابو بكر الباقلاني ثم تلاه امام الحرمين ابو عبد الملك الجويني وعليه تخرج ابو حامد الغزالي حجة الاسلام واذ ظهر له ولاستاذه ان الفلسفة هي اساس كل ما حصل من التفسخ في عقائد المسلمين فقد الف كتابا في مهاجمتها سماه (تهافت الفلاسفة) قدمه بكتاب سماه (مقاصد الفلاسفة) شرح فيه اقسام الفلسفة ، وهي الرياضيات والمنطق والطبيعيات والالاهيات ، وقرر انه لا يتعرض للرياضيات والمنطق لانها علوم لا خطر منها ، ثم اخذ يتكلم عن الالاهيات وما يقربها من الطبيعيات فوجد فيها عشرين مسالة تخالف الاسلام ، ومنها ثلاثة تستوجب الكفر ، وهي قولهم بقدم العالم وانكارهم علم الله تعالى بالجزئيات ، وانكارهم بعث الاجساد ، ثم الف كتابه في الفقه والاخلاق وقد اطلق عليه اسم احياء علوم الدين ، ومن اجل هذا وذاك لقبوه حجة الاسلام وقد قضى بحملات على الفرق والبدع سيما ان الناس ملوا الجدل . ولما وصلت كتبه الاندلس واطلع عليها ابن رشد ثار ثورة عظيمة فالف كتابا سماه تهافت التهافت ، رد فيه على الغزالي في مسائله وانكر الامور الثلاثة قائلا ان قدم العالم مسالة خلافية بين الفلاسفة وقولهم بالجزئيات فانهم يقولون ان علم الله لا يشبه علمنا ، وان الاجساد تبعث من مادة باقية وهكذا دافع عن الفلاسفة ورد على الغزالي ، وكانت حججه منطقية محضة .

على انه لم يكتف بهذا ، بل قام يهاجم الاشعرية جميعا ليتوصل الى هدم الغزالي الذي يذكره بكنيته ابي حامد وكذا استاذه ابو المعالي وقد الف كتابه فصل المقال والكشف عن مناهج الالة المار ، ذكرهما وبالرغم من ذكره الباطنية من الفرق والحشوية فانه لم يتعرض لهما وكذا هو لم يذكر شيئا عن الجهمية والمرجئة والشيعة والخوارج بل صب جام غضبه على الاشعرية ثم على الغزالي وابي المعالي مع العلم بانهم هم اهل السنة والجماعة في ذلك العهد ، فقد قرر :

« انهم اضروا لجعلهم البحث مكشوفا للجمهور ، ثم قال : « واول من غير هذا الدواء الاعظم هم الخوارج ثم المعتزلة بعدهم ثم الاشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء ابو حامد فطم الوادي على القرى وذلك انه صرح بالحكمة كلها للجمهور » ، ولم يعذره لان اهل البدع هكذا فعلوا فرد عليهم باسلوبهم ، ثم قال عن الغزالي : « واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعه ابو حامد فخطا على الشرع وعلى الحكمة وان كان له جل انما قصد خيرا وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى قلب الحكمة وقوم الى قلب الشريعة وقوم الى قلب الجمع بينهما ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهبا من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كان كما قال الشاعر :

يوما يمان اذا لقيت ذا يمن

وان لقيت معديا فعدنان

والذي يجب على ائمة المسلمين أن ينهوا عن كتبه التي تتضمن هذا العلم الا من كان من اهل العلم » .

الى هذا الحد بلغ من ابن رشد في مهاجمة الغزالي بان ينهى عن كتبه ، على ان الدائرة انما دارت عليه هو فاحرقت كتبه ولم يبق منها بايدي الناس الا القليل ، واما كتب الغزالي فهي باقية ، وقد نال بها لقب حجة الاسلام ولا يزال .

ولم يكتف ابن رشد بهذا ، بل قال عن براهين الغزالي والاشعرية انها ناقصة في الاستدلال والبرهان الجدلي المنطقي ، وانهم يستعينون بالسفسطة مع انه هو استعمل السفسطة كثيرا وبالرغم عن ان الامام تقي الدين بن تيمية نصير السلفية وغير راض عن الخلقية فانه انتقد اسلوب ابن رشد في رسالة الحقها الاستاذ احمد امين بكتابي ابن رشد المذكورين ، وهي مثال الدقة ، واليك نبذة من تبكيت هذا الامام الفاضل لاقوال ابن رشد : « اما دعواه ان العلماء المذكورين في القرآن هم اخوان الفلاسفة اهل المنطق واتباع اليونان فدعوى كاذبة فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ، ان الذي اتى الله عليهم بالتوحيد ليس هم من المشركين الذين يعبدون الكواكب والاوثان ، ويقولون بالسحر ولا ممن يقول بقدم الافلاك الا ممن يقول ان الحوادث حدثت بانفسها ليس لها فاعل » .

وقد لام الغزالي لقوله ان الهيات اليونان المنسوبة لارسطو مبنية على التخمين ولا اصل لها ، وها قد ظهر انه ليس لارسطو الاهيات ، وانما دست بحوثها من الصابئة والسريان ، فكان راي الامام الغزالي اصوب .

وبلغ منه ان يقول عن الاشاعرة : « وذلك ليسوا من العلماء ولا من جمهور المؤمنين المصدقين ، وانما هم من الذين في قلوبهم زيغ وفي قلوبهم مرض » .

ومثل ذلك كثير جميعه مناقشة وحملة وتسفيه لاراء الاشعريين دون الفرق الضالة حتى انه لم يذكر

اي شيء عن آراء الباطنية والرافضة الضالين بصراحة رغم انه عد الباطنية الفرقة الرابعة .

فهل يصدق مسلم ان هذا يصدر عن قاض مسلم متفقه ، ان كتابيه موجودان ، فليرجع اليهما من شاء ليتحقق صحة اقوالي .

وقد جاء ابن خلدون فايد الغزالي في حملته على الفلسفة ولم يؤيد ابن رشد بشيء وقد ذكر ذلك بفصل تحت عنوان « فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها» وقد استعرض الاراء الفلسفية وختم الفصل بقوله : « فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها ، وليكن نظر الناظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ، ولا يتكبر احد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم من معاطبها » .

وجاء الشيخ محمد عبده فقال كلمته الحكيمة عن الفلاسفة ، وهي افضل كلمة لحكم منصف : « لكن يظهر ان امرين غلبا على غالبهم ، الاول الاعجاب بما نقل اليهم عن فلاسفة اليونان ، خصوصا ارسطو وافلاطون ووجدان اللذة في تقليدهما البادىء الامر ، والثاني الشهوة الغالبة على الناس في ذلك الوقت وهو اشام الامرين زجوا بانفسهم في المنازعات التي كانت قائمة بين اهل النظر في الدين .

واصطدموا في قلة عددهم ، مع ما انطبعت عليه نفوس الكافة فمال حماة العقائد عليهم » .

« ابن رشد الطبيب العالم بالطب »

وكعادة الفلاسفة في ذلك العهد درس ابن رشد الطب وتفوق به وقد درسه على ابي جعفر هارون ، وقد لازم وصاحب ابناء زهر لا سيما ابو بكر بن زهر طبيب الخليفة وابو مروان بن زهر مؤلف كتاب التيسير . وقد تقدم في الطب حتى اصبح احد اعلامه في عصره وقد الف فيه بعض المؤلفات والرسائل التي فيها شرح الارجوزة المنسوبة الى ابن سيناء في الطب وكتاب الحيوان وتلخيص كتاب الحميات لجالينوس وتلخيص اول كتاب الادوية المفردة لجالينوس وتلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس ، ومراجعات ومباحث بينه وبين ابي بكر بن الطفيل في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات وكتاب بسالة في توائب الحمى ، ومقالة في حميات العفن ومقالة في الترياق . وقد ظهر اسمه في الطب ومشاكله ، وصار الناس يستفتونه في الطب كما يستفتونه في مسائل الفقه ، ولما مات ابن طفيل طبيب الخليفة عين مكانه الى ان نكب ، ومن المأثور عنه قوله : « ان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى » .

« ابن رشد الفلكي »

وكذا فان ابن رشد درس علم الهيئة وتقدم فيه والف فيه بعض المؤلفات التي منها مقالة في حركات الفلك . وشرح السماء والعالم ، وكتاب الطبيعة والسماء الى غير ذلك من المؤلفات التي وضعته في مصاف علماء الفلك .

« خفوت اسم ابن رشد في الشرق وظهوره في الغرب »

مع ان ابن رشد اكبر دماغ اسلامي بعد ابن عباس ، الا انه خافت الذكر في المشرق لان كتبه لم تصل المشرق وهو لم يزر المشرق فلم يحج . وقد انهارت الاندلس بعد معركة العقاب المشؤومة وقد استولى الاسبان على امارات الاندلس والتهموها الواحدة بعد الاخرى ، ولم تبق الا امارة غرناطة خاضعة لملك الاسبان تدفع له جزية سنوية ، وقد دامت هذه الحال مدة قرنين ، اداروا فيها وجههم الى الاسبان ، ولم يكترثوا للعالم الاسلامي ، فلما استنجدوا لم يكترث بهم ، لان العالم الاسلامي كان يجهلهم ولا يعرف عنهم شيئا .

اما ظهور امر ابن رشد في الغرب فلان كتبه وكتب غيره اسرت في سفينة مشحونة الى المغرب فوقعت بيد اسطول صليبي فدخلت فرنسا وايطاليا فكانت هي بذور نهضة اوربا ، كما يعترف بذلك احرارهم اليوم . قال غوستاف لوبون : « وابعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له اعظم تأثير في اوربا » . والمعلوم ان اكثر كتب ابن رشد لا سيما شروحه لاثار ارسطو قد وصلت لايدي الاوربيين ، وهي اساس دراساتهم مع غيرها من كتب توابغ الاندلس . وقد ظهر مؤخرا مؤلف ضخم يزيد على خمسمائة صفحة لاحدى توابغ الغرب المنصفين ، وهي العلامة الالمانية الدكتورة سيغريد هونكه اسمته (شمس العرب تسطع على الغرب) اثبتت فيه بكل دقة ان كل علم في الغرب اساسه كتب العرب . ومما قالته : « وما ان عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي فمهدت الطريق لازدهار الحضارة الغربية » .

« اليهود يشوهون ابن رشد »

لقد ترجم متفلسفة اليهود كتب ابن رشـد الى العبرانية بعد ان اضافوا اليها ما شاءوا ، لا سيما تلميذه موسى ابن ميمون ، وعن العبرانية ترجمت الى اللاتينية وقد دسوا فيها نكران ابن رشد للبعث والخلود ، ومن يطالع كتابه الموجودين بالعربية والتي لم تصل اليهـا ايدي اليهود ، وهما فصل المقال وكشف مناهج الادلة يتحقق انهم كاذبون لانه يعترف بايمان صادق بالمعاد ، الا انه يقول ان الاجساد هي من نوع آخر خلاف هـذا الجسم الدنيوي الفاني ، الا ان كتبه العربية لم تترجم للغرب فظلت عندهم كتبه المزيفة وظلوا يعتقـدون بـه الالحاد فينسبون له القول بازلية العالم وبنكران البعث والخلود الاخروي ، واليك ما قاله الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) : « وينكر ابن رشـد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ان لا ينتظر ثوابا غير ما يلاقي فى الحياة الدنيا بكماله الخاص » ، وقال ايضا : « يرى ابن رشد ان العقل العام المطلق باق على الدهر قابل للانفصال عن الجسم ، وان العقل الفردي فان مع البدن » ، وهذا القول يفيد الحلول ايضا ممـا يتنزه ابن رشد عنه ، وهذا وذاك هو راي اكثر الغربيين، قال ادوولف استاذ المنطق فى جامعـة لندن فى كتابـه عرض تاريخي للفلسفة والعلم على لسان ابن رشـد « ونفس الانسان لا تنفصل عن مخه وهي تهلك معه » .

والمؤسف ان ياخذ به عامـة كتاب العرب اليـوم واليك ما قاله الاستاذ اسعد داغر فى كتابـه (حضارة العرب) واعتقد انه نقله عن الدكتور غوستاف لوبون :

« ومذهب ابن رشد فى الفلسفة ، ان مادة العالم ازلية وان الخلق حركة اضطرارية فى تلك المادة تنشأ عنه الكائنات ويتولد بعضها من بعض ، اما الخالق فهو الحركة او المحرك وكما ان المادة ازلية فكذلك المخلوقات، فالنفوس تموت مع الاجساد » .

على ان العلامة الالمانية الدكتورة سيغريد هونكه استدركت هذا الامر وانصفت ابن رشد حيث قالت : « هل كان ابن رشد كافرا لا يؤمن بالله واليوم الاخر ؟ الم يعترف ابن رشد بوجود حقيقتين ، حقيقة نابعة من المعرفة وحقيقـة صادرة عن العقيدة الدينيـة ؟ ان من يدعي هذا لم يقرا قطعيا بترو ما كتب ابن رشد . انـه يؤكد انه برغم كل تباين مادي بين الفرديات فثمت دائما جوهر روحي موحد يجمع بينهما فالجزء السلبـي من الروح هو جزء من الجسد يفنى بموته لان كل ما هـو فردي زائل . اما الجزء الايجابي الذي هـو من الله ، وغير الذاتي فهو الخالد ، لانه كالشمس التي تضيء كل الانحاء والتي هي واحدة دائما ، وفى كل مكان . وهـذا الجزء الايجابي هو طريق اتصالنا بالله ، وهو خالـد لا يموت ، خلود العالم نفسـه ، ان من لم يقرا ابن رشد فانه لن يتعرف على الفلسفة العربية الاصيلـة » . على اي حال ان هذا التشويه يتحمل هو جرائره لانـه قـرب اليهود لا سيما موسى بن ميمون اذ ترك لهم تبييـض مؤلفاته على ما يظهر وترجمتها الى العبرانيـة دون ان يجد من يقراها له عن العبرانية » .

« ابن رشد ياتي بعد ابن عباس فى فهم المتشابه »

لقد سار ابن رشد على الراي القائل بأن الراسخين فى العلم يتفهمون المتشابه بعد الله تعالى معتبـرا الواو للعطف فى قوله : « وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم » . وقد قفز عن امامة مالك واتصل بابن عباس متفهما قوله : « ليس فى الدنيا من الاخوة الا الاسماء » . ففسر المتشابه على هذا النحو ، وان العالم الاخروي لا يشبه عالمنا ، وان الله تعالى قد ابان ذلك فى التنزيـل بقوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يكسبون » .

فاتى بتفاسير عالية جدا وهو يحذر ان يقراها من لا يفهمها ممن لم يتبلغ من علم الشريعة حدا كافيا .

اما حملته على الغزالي وابي المعالي والاشعريـة فهي غيرة على الفلسفة واخفائها لاعتقاده انها انجـع طريقة للرقي ، وانها تتفق فى النهاية مع العقائد الدينية مهما تباعد وهذا الامام الشيخ محمد عبده يختم كلمته فى رسالة التوحيد متأسفا حيث يقول : « وذهب الزمان بما كان ينتظر العالم الاسلامي من سعيهم » .

هذا ابن رشد رحمه الله وهذا البحث عنـه فى منتهى الاضطراب وسببه صلته باليهود قبحهم الله .

نابلس : احسان النمر



- 2 -

واما شعر ابي حيان في الطور الثالث ، ونعني به طور الكهولة والشيخوخة — فهو شبه رد فعل لطوري الصبا والشباب : شكوى وعتاب ، ودموع وآلام .! فهو شعر تشاؤم ، لان طول تجربة ابي حيان للناس ، ومعرفته بدخائلهم ؛ مما جعله يؤمن بان الشر طبيعة هذا البشر ؛ فمن اسدى اليك منهم معروفا ، فانما ذلك لغرض يرجوه ، او رفد يدعوه .

لا ترجون دوام الخير من احد
فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرا اسدى اليك ندى
من اجل ذاتك بل اسداه للغرض

ومما زاد في شكواه وبلواه ، ان طال عمره ، وضعف بصره ، وانخارت قواه ، واصطلحت عليه الاحداث ، فمل الناس وملوه ، واصبح غريبا في عالم دنياه :

رماني الزمان باحداثه
وكنت صبورا على ما حدث
وافنى الشباب واهلا مضوا
وما كنت ممن بذاك اكترث
ومنذ عرا بصري ضعفه
فعدت كاني رهين الجدث
وقد كنت مستانسا ساكنا
فقد صرت مستوحشا ذا عبث

انه شعر شكوى وعتاب ، وحديث هموم واحزان:

مللنا وملتنا الحياة فلو اتت
شعوب استرحنا من مقاساة اعراض
تقارب خطو وانحناء وشيبة
وضعف لحاظ وانتهاض كمنهاض

اي عيش لشيخ
هو حي مثل ميت
عادم الانس غريب
مفرد من اهل بيت
وله نفس تنادي
للمنايا هيت هيت
ترجي وتمني
بلعل وليت
وسراجي ليس فيه
للبقا نقطة زيت
سوف يكنى عن حديثي
كان منه كيت كيت

وانه شعر الفجيعة والآلام . ! فقد فقد ابو حيان الاهل والولد ، واخنى عليه الدهر الذي اخنى على لبد ؛ وودعهم واحدا واحدا الى عالم الاموات ! وكانت الصدمة عنيفة ، اذ فقد شريكته في الحياة ، وكانت انيسه في الغربة ، وسميره في الوحشة ؛ وهو الشيخ العجوز ، تبر به كما تبر الام الرؤوم بوحيدها الصغير :

كانت انسي في وحدتي واغترابي
ومنامي ويقظتي وسفاري

ونديمي في رحلتي ومقامي
وزميلي في حجتي واعتماري
كنت ارجو بأن تعيشي وتبقى
حين سقمي تدور بي وتداري
لم تكن زوجة ولكن كأم
وانا كابنها صغير الصغار
كانت الروح بين جنبي وراحت
فحياتي صارت كثوب معار

ولكن الامر الذي لم يجد معه اصطبارا ، والذي هيج لوعته فاستعارت نارا ، هو فقده لابنته نضار؛ وكانت عالمة اديبة ، راوية محدثة ، حاجة برة ، عفيفة زاهدة ؛ سميرها كتاب الله ، وشعارها خوفه وتقواه . . فلنستمع اليه يناجيها ـ وهي طريحة الفراش ، تعاني مرارة السقم ، والآلام :

امر حياتي يا نضار سقامك
وكونك لا يسري اليك منامك
اقمت شهورا لا يبل لك اللهى
شراب ولا يغذوك يوما طعامك
تواترت الاسقام نفخ وسعلة
وقيء واسهال فعز مرامك
وعما قليل يذهب الباس كله
ويبدو على اثر العبوس ابتسامك

* * *

غذيت بدر الفضل مذ كنت طفلة
وكان بتعليم القران فطامك
قرات كتاب الله والسنن التي
اتت عن رسول الله فهو امامك
وبالكعبة الغراء طفت بمكة
وللحجر المسود كان التثامك
وجاورت اياما بها ولياليا
وكان كثيرا بالمقام مقامك
وزرت رسول الله أفضل من مشى
على الارض واحتلت هناك خيامك

وتشاء الاقدار ان لاينتهي ابو حيان من نظم هذه القصيدة حتى تلفظ هذه البنت النادرة المثال ، نفسها الاخير ، وتسلم الروح الى باريها . ويأبى أبو حيان الا ان يختم القصيدة بهذا البيت :

وقد كنت ارجو أن تعيش والآن قد
اتاك من الله الكريم حمامك

وقال وهو يودعها الى مقرها الاخير ، وقد غطت مآقيه سحابة سوداء :

امن بعد أن حلت نضيرة في الرمس
تطيب حياتي او تلذ بها نفسي
فتاة عراها نحو ستة اشهر
سقام غريب جاء مختلف الجنس
فما ضجرت يوما ولا اشتكت الضنى
ولا ذكرت مما تقاسي من الباس
قضت نحبها في يوم الاثنين بعدما
تبدى لنا قرن الغزالة كالورس
فصلى عليها الناس يثنون واثنوا
بها لضريح مظلم موحش الطمس
يؤنسها في رمسها العمل الذي
تقدمها اعظم به ثم من انس
سقى روضة حلت نضار بتربها
من المزن وبل دائم السح والبجس ؟

وهكذا بكى ابو حيان ابنته نضارا ، بكبد حرى ، وبلل قبرها بدموع غزار ، ولازم محراب ضريحها سنة كاملة ، يرتل فيه آيات شعره ، ويرسلها أنات تذيب الصخر ، وتتصدع منها الاحشاء :

ضريح بنتي جعلت بيتي
وقلت ليتى اموت ليتي
قدوم حي يغيب يرجى
وليس يرجى قدوم ميت

* * *

امضني الحزن يا نضار
وصرت مضنى لما مضيت
اصبحت فردا فليت اني
قضيت نحبا لما قضيت
وان بيتا اضحى محلا
لخير بنت ـ لخير بيت

ويذكر ابو حيان انه قيد نفسه عند ضريحها ، وجعل فؤاده وقفا على بكائها وندبها :

ان جسمي مقيد بالضريح
وفؤادي وقف على التبريح
ولعيني اذا ذكرت نضارا
مدد من دماء قلب جريح
راح عيد وبعد عيد كبير
ونضار تحت الثرى والصفيح
لا ارى فيهما وجيه نضار
يا لشوقي لذا الوجيه المليح

ونضار كانت انيسي وحبي
ونضار كانت حياتي وحبي
ونضار ابقت بقلبي حبا
ليس ينفك او اوافي ضريحي

ويذكرنا هذا التوجع الاليم ، وتكرار الفجيعة والمصاب ، برثاء الخنساء لاخيها صخر ؛ واذا كانت الخنساء زعيمة الشواعر ، في التفجع والبكاء ؛ فابو حيان زعيم الشعراء في التوجع والرثاء . ولا نعرف شاعرا بكى ولدا له او بنتا ، مثل ما بكى ابوحيان ابنته نضارا . وقد كتب عنها كتابا ، جله ـ فيما نعتقد ـ شعر ؛ سماه « النضار ، في المسلاة عن نضار »

فنون الشعر الاخرى :

وبالاضافة الى الموضوعات السابقة الذكر ، كالغزل ، والرثاء ، والشكوى ، والعتاب ؛ فهناك ابواب اخرى ، هي اقل نصيبا في الوفرة والاجادة بالنسبة الى الغزل والرثاء . فانت اذا سرحت نظرك في الديوان واودت ان تخرج بتصنيف الموضوعات التي احتواها ، ـ فانك ستجد من بينها المدح والهجاء والفخر والحكمة والزهد وما الى ذلك .

ومدح ابى حيان يكاد يكون مقصورا على اهل العلم والادب ؛ من اصدقائه وبعض شيوخه ؛ وهو شعر مناسبات ومجاملات .

وممن مدحهم ابو حيان ابن منظور صاحب لسان العرب ، وقد نوه بهذا الكتاب واضفى عليه حلة الاعجاب :

اجلت لحاظي في الرياض الرحائب
ونزهت فكري في فنون المباحث
وشاهدت مجموعا حوى العلم كله
فاول مكتوب وثان وثالث

وقال يمدح بعض المتادبين :

ايا لافظا بالسحر ها انا سامع
ويا ناشرا للدر ها انا جامع
لقد حزت في شرخ الشباب معارفا
وجزت مدى للشيب اذ انت نافع
مبين بيان ليس ينفك دائما
بدائه منه تعترى او بدائع

ومدح ابا زكرياء ابن ابى القاسم العزفي امير سبتة بقصيدة مطولة اظهر فيها مدى حنينه الى وكره الاول ، واجتاحته موجة من الحب الفياض الى مسقط راسه ، ومقر اجداده (بلد المغرب) .

يقول فيها :

الملك يحمي بملك من بني العزفي
والعلم يحيا بيحيى الخير ذى الشرف
مستحكم الراي لا يغتال فكرته
ذهن الرجال ولا ينقاد للجنف
ف (سبتة) الغرب قد القت مقالدها
اليه فاستعصمت بالكامل الانف
من اسرة الملك لخم طالما منعوا
ذماره بالظبا والذبل والقصف
هم الملوك فلا ملك يقاس بهم
من الورى ايقاس الدر بالصدف!!
ارتاح للغرب لكن كم عوائق لي
من خضرم مرتد او مهمه قذف
ومالرتياحي باني لم انل شرفا
بمصر بل نلت منها منتهى الشرف
لكن ذاك ارتياح هاج ساكنه
ذكرى مكان به نشاي ومؤتلفي

واما الهجاء فلم يكن لابى حيان فيه باع طويل ، وقلما تعثر له على قصيد في هجاء مستقل ؛ وانما تاتي اهاجيه في غضون مدائحه والفخر بنفسه . وقد هاجم المتصوفة وحمل عليهم حملة شعواء !

يقول في بعض قصائده :

قرامط يدعون لهم صلاحا
ودينا والفسوق لهم حليف
اذا فسروا القرآن قالوا
بواطنهم لهم فيه كشوف
فمن علم لدني وعلم
بطيني له سر لطيف...

وقال من قصيدة اخرى :

ارى كل زنديق اذا رام نشر ما
طواه ادعى أن صار في الناس صالحا
فيستخدم الجهال ينهب مالهم
ويبدي لهم كذبا على الله فاضحا
قرامط دجالون سنخ ضلالة
كلاب على الاسلام اضحت نوائحا

وابو حيان على كثرة شعره لا يوجد له في الوصف الا قصيدتان او ثلاث .

قال يصف التمساح :

وخلق غريب الشكل في مصر ناشيء
وما هو في ارض سوى مصر يوجد
هو السبع العاري بنيل صعيده
يقافص من للماء في النيل يقصد
ويخطفه خطف العقاب لصيده
ويفصله عضوا فعضوا ويزرد
وما من شخوص النيل خلق له يد
ورجل سواه وهو في البر يصعد
له ذنب مرخى طويل يقيمه
يلف به من كان في الناس يفند
واسنانه اثنى على ذكر اتت
لكسر العظام الصلب منها تفقد
ويحفر في رمل ويدفن بيضه
يعاهدها غبا الى حين تولد

وهي قصيدة طويلة وصف فيها هذا الحيوان العجيب وصفا دقيقا . وله نظيرها في الفيل .

وشعره في الحكمة والزهد متناثر في كثير من قصائده :

عداتي لهم فضل علي ومنة
فلا اذهب الرحمان عني الاعاديا
هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

* * *

لا تصحبن ملكا او من يلوذ به
وان تنل منهم عزا وتمكينا
يستخدمونك في لذات انفسهم
ويذهب العمر لا دنيا ولا دينا

وابو حيان فخور بنفسه ، مزهو بعلمه وادبه :

وعينني الوجود لكل فضل
اقر به المعادي والموالي
فلست بعاتب ابناء دهري
ولست بماقت جور الليالي
كفاني رتبة ان صرت فردا
فمالي في المعالي من مثال
اذا ما لحت في افق لناس
اشاروا بالاصابع كالهلال
اذا قالوا ابو حيان هشت
الى رؤياي افراد الرجال
ولو كان القياس يفيد شيئا
لكان الصخر من ضرب اللآلي

* * *

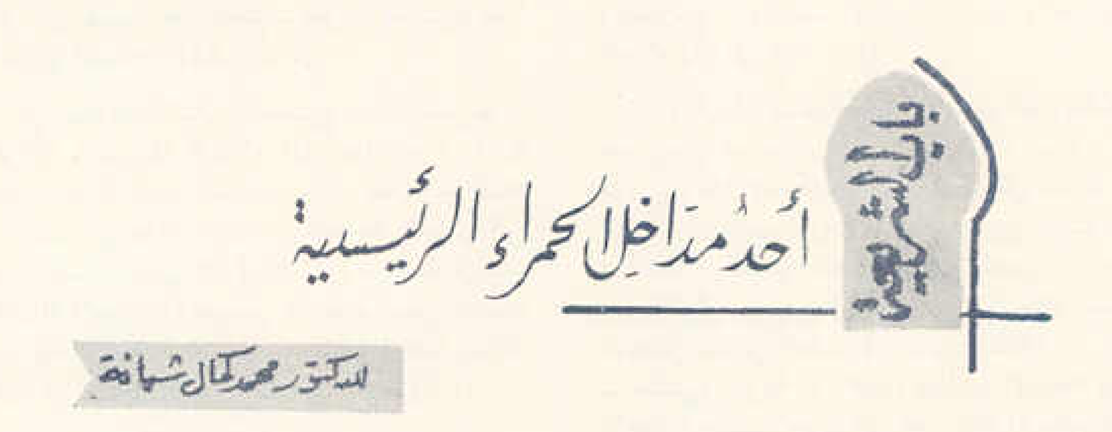
فان امس قد اقوت من العلم حضرتي
واصبحت نقضا هامدا بين انقاض
فما مات من ابقى تآليف زانها
تلاميذ كل في مباحثه ماضي

هذه لمحات عنت لي وانا اقرأ لابي حيان ، وتلك نظرة عجلى القيتها على ديوانه ، لم اقصد بها الى الدرس والتحليل ، بقدر ما قصدت الى التعريف به ، ونفض عن بعض جوانبه ؛ بعد ان ظل مآت السنين ، في زوايا الاهمال والنسيان ، وما اكثر ما خلف ابو حيان ، من انتاج حي ، وتراث خالد ؛ تزخر به المكتبة العربية في المشرق والمغرب !

ولنردد مع ابي حيان بحق قوله :

ليهن بني الاعراب ان كنت شيخهم
وانهضتهم في علمه اي انهاض

تطوان : سعيد أعراب



يقوم قصر الحمراء في مدينة « غرناطة » . وكان في بداية الامر على هيئة قلعة حربية اسسها « باديس ابن حبوس » اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، وسميت بقصبة الحمراء ، نسبة الى لون حجارة الهضبة التي بنيت عليها . ولما اسس محمد بن الاحمر دولة بني نصر في غرناطة في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) اتخذ مركزه في « القصبة » ، وانشأ داخل اسوارها قصره الذي خلع عليه اسم الحمراء القديم . وغدا القصر منذ ذلك اليوم قاعدة للمملكة النصرية ، التي كانت تشمل كل الطرف الجنوبي بشبه الجزيرة جنوب نهر الوادي الكبير ، وحيث بنى بها المؤسس ومن جاء بعده من سلالته عشرات الحصون على طول حدود المملكة من قادس في الغرب الى المرية في الشرق . وفي اواخر القرن السابع الهجري انشأ محمد الثاني ابن الاحمر (ثاني سلاطين بني نصر) الحصن الجديد والقصر الملكي ، الذي هدم منه الجزء الامامي ، حيث بني مكانه قصر الملك شارل الخامس .

ان معظم مباني الحمراء التي لا تزال قائمة الى اليوم ، ومعظم الروعة الفنية التي تتجلى فيها يرجع الفضل فيها الى سابع سلاطين بني نصر ، ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد اسماعيل ابن فرج (733 ــ 755هـ / 1333 ــ 1354 م) ؛ فقد كان ــ بحق ــ ملكا فنانا موهوبا ، اضفى على الحمراء من فنه هذا الذي نراه من السحر والجمال .

ولا مراء في ان قصر الحمراء يعتبر تاج الآثار الاندلسية ، اذ هو الطابع العربي لغرناطة الاسلامية ، والرمز الخالد للفن العربي الاندلسي ، ذي الخصائص المتميزة في هندسته المعمارية .

ان اول ما يطالع الزائر لهذا القصر « باب الرمان » الذي يقع في نهاية طريق بني غمارة أو مصعد بني غمارة (قبيلة مغربية) وهو المنفذ الاول لهضبة الحمراء . بيد انه لم يكن من ابواب القصر الاندلسية العربية ، وانما استجد عليها في عصر منشئه الامبراطور شارل الخامس (شرلكان) صاحب القصر المعروف ، والملاحق للحمراء من مقدمتها ، التي كانت قديما تشتمل على القسم الاداري للقصر العربي يومئذ . . .

ان الاهمية التاريخية التي يكتسبها باب الرمان هذا تكمن في هندسته المعمارية الخاصة ، فهو يتكون من عقد حجري كبير ، قد ارتكز على قائمين ضخمين ، تعلوه ثلاث رمانات تتخذ وضعا مثلث الشكل ، رمزا الى شعار غرناطة التاريخي ، وتفسيرا لمداول اسم العاصمة (غرناطة) .

فاذا ما ولجنا هذا الباب الفينا غابة فسيحة الارجاء مترامية الاطراف ، تتخللها قنوات المياه المتدافعة ، وانفسحت بينها طرق ثلاث متسعة ، يصلك ايمنها واولها الى (ابراج الحمراء) ، ويفضي بك اوسطها الى قصر (جنة العريف) ، بينما يؤدي بنا ايسرها الى (باب الشريعة) ، اول الابواب الاندلسية العربية الى قصر الحمراء ذاته ، بل المدخل الرئيسي لها ، في الطريق

الصاعد اليها ، حيث يطل على ميدان صغير حولـه . وهو عبارة عن بوابة عربية هائلة ، يبلغ ارتفاعها نحوا من خمسة عشر مترا ، قد اقيم عقدها المزخرف على مثال حدوة الفرس ، منقوشة عليه سطران بالخط الاندلسي المتشابك ، ويتضمن هذا المكتوب تعريفا بمنشيء هذا الباب وتاريخ انشائه ، وذلك كما يلي :

« امر ببناء هذا الباب المسمى بـاب الشريعـة ـ اسعد الله به شريعة الاسلام كما جعله ذخرا باقيـا على الايام ـ مولانا امير المسلمين ، السلطان المجاهد العادل يوسف بن مولانا السلطان المجاهد المقدس ابي الوليد ، بن نصر ، كافى الله في الاسلام صنائعه الزكية، وتقبل اعماله الجهادية ، فتيسر ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة واربعين وسبعمائـة ، جعلـه الله عزة واقية ، وكتبه في الاعمال الصالحة الباقية . . .

وقد اثبت هذا الاثر الخطى ثلاث حقائق :

1) ان المنشيء لباب الشريعـة هو السلطـان ابو الحجاج يوسف الاول النصـري 733 ـ 755 هـ (1333 ـ 1354 م) .

2) ان تاريخ انشائـه هو شهـر ربيـع الاول 749 هـ (1348 م) .

3) ان اسم هذا الباب هو « باب الشريعـة » نسبة الى شريعة الاسلام .

وفي ضوء الحقيقة الاخيرة نقول : ان هذا الباب ـ كما اتضح من اسمه ـ كان مجـازا لذوي المظالـم وارباب الحاجات ، وعن طريقـه كان يصـل هؤلاء الى مجلس القضاء ، الـذي كان يعقـد ـ في الغالـب ـ في الساحة التي تليه ، او في المسجد المؤدي اليه ، جريـا على عادة القضاء بالاندلس ، حيث يخصص كل يوم معين لفحص الشكاوي ونظر الخصومات ، على يد السلطان احيانا ، او نائبه او قاضي القضاة في اغلب الاحيان .

ولكن يرى الدكتور حسين مؤنس ـ في خصوص تسمية هذا الباب بهذا الاسم ـ ان كلمة الشريعـة في اطلاقها هنا على البوابة انما تعني « الشارع » لا الشرع، اذ يقول : « . . . الشريعة هنا معناها الشارع لا الشرع، لا محل لترجمته بمعنى « باب العدالـة » او « بـاب العدل » Puerta de la Justicia, لان هذا الباب لـم يكن يؤدي مباشرة الى الجامع (وهو مجلس القضاء) او المحكمة ، وانما يؤدي الى مباني وسط الحمراء ، الى الميدان الواقع بين القسم العسكري من مبانيها (الابراج والمحارس) ، والقسم المدني (المساكن والحدائق وادارة الدولة وما الى ذلك) (1) .

ونحن ان سلمنا جدلا بان باب الشريعة هذا لـم يكن يؤدي حقيقة الى المسجد مباشرة كما ذكر الدكتور مؤنس ، فان هذا الباب كان يؤدي الى ساحة فسيحة الى الميدان الذي اورد ذكر موضعه بين القسم العسكري (القلعة) والقسم المدني (قصر الحمراء بملحقاته) ، ومن الجائز بل ومن المعقول ان تكون هذه الساحة قد شهدت مجالس للقضاء في عصر السلطان ابي الحجاج ـ منشيء البوابة ـ بالذات بدلا من المسجد في بعض الاحيان، حسبما جرى على هذا ملوك الاسلام بالاندلس، كما ان من المفروض ان هذا الباب هو المجاز الرئيسـي لموقع ادارات الحكومة ، ولا مناص من اجتيازه للوصول الى مقر الحكم ، سواء اكانت المحكمـة تعقد بالميـدان المتوسط بين القصبة والحمراء او بالمسجـد الملحـق بالقصر ، هذا فضلا عما جاء بالنقش الاثري على قوس هذه البوابة من تسميتها باب الشريعة ، وما اعقب ذلك من ربطها بجملة دعائية تناسب التسمية (اسعد الله به شريعة الاسلام) ، مما يقطع بأن المسمى انما عنى باطلاق التسمية مفهوم كلمة (الشريعة) الاسلامي .

ويعزز هذا الذي ذكرناه ما مال اليه المقري فيما نقله عنه صاحب سلوة الانفاس حيث قال :

« وسمى باب الشريعـة ، لانـه معدود لاقامة حدودها به على من وجبت عليه » (2) والى هذا استند المستشرق الفرنسي «ليفي بروفنسال » ؛ حيث ذكر ان اتخاذ « باب الشريعة » مكانا للعدالة يعتبر ـ كما يوحى بذلك تداعي المعاني ـ تعليلا طبيعيا جدا لتسميته باب العدالة او « باب الشريعة » .

ومن جهة اخرى ان هذا التعليل بهذه التسميـة يتضح ايضا من الترجمة الاسبانية القديمة لاسم هذا الباب الكبير (باب الشريعة) والمسمى في الاسبانيـة باسم Puerta de la Justicia او Puerta judiciaria

1) انظر مقال د . حسين مؤنس تحت سلسلـة «حديث الفردوس الموعود » حلقة 6 في مجلة « المجلة » العدد 74 السنة السابعة فبراير 1963 م ص 48 ـ ص 55
وكذا كتابه (رحلة الاندلس) ص 181 ، الـذي جمع به تلك السلسلة من مقالاته هذه . طبعة القاهرة 1963 م .

2) انظر : الكتاني ، سلوة الانفاس ج 3 ص 186 .

حيث كان القضاة يجلسون عنده للحكم على عهد بني نصر ، كما تدل على ذلك الاخبار المتواترة بين اهل غرناطة . هذا بالاضافة الى ان اقدم النصوص — التي تضمنت وصف الحمراء بعد سقوط المدينة فى يد الاسبان — لا تذكر هذا الباب بغير اسم «باب الشريعة» فهذا دليل وقرينة — ان اعوزتنا قرائن اقوى دلالة — على ان لفظ « الشريعة » يدل على مكان اكتسب الباب اسمه منه (1) .

ويظهر ان « دوزى » كان اول من جمع عددا من عناصر المشكلة التي نتجت عن لفظ « باب الشريعة » دون ان يقترح حلولا لها ، حيث نرى هذا العالم الهولندي ، عند عرضه للحوادث التي توالت على غرناطة سنة 1162 م يبين أثناء سرده لهذه الحوادث كيف ان ابن الخطيب كان سباقا الى استعمال لفظ « ربض البيازين » ، وقد ساق « دوزي » كلامه على هذا النحو ، قال : (2) « . . يعبر ابن الاثير بعبارة اخرى ، اذ يذكر ان ابن (مردنيش) نزل فى الشريعة بظاهر غرناطة » (3) .

وهناك حقائق نادرة عن باب الشريعة هذا ؛ من ذلك فترة فى مقطوعة من الشعر الشعبي يرد فيها ذكر لبعض المواضيع فى غرناطة ، وعنوان هذه المقطوعة : Zaide ha prometido fiestas وقد وردت فى ديوان الشعر الشعبي المعروف بـ Romancero de Madrid طبعة Duran, Romances moriscos (مدريد 1828) ص 42 — 43 ، وفى ديوان Romancero Depping et alcala jaliono طبعة Castellano (ليبزج سنة 1844 ج 2 ص 279) .

وهاك ترجمة هذه الفقرة الشعرية عن الاسبانية:

« بعضهم يعدو وبعضهم يصيح
وآخرون يقولون :
انتظموا واذهبوا جميعا
الى شارع القصبة . .
وآخرون يقولون : الى الشريعة . .
لا تتركوها ولا تتركوا رحبتها » .

ويقول بعد ذلك « انه وجد ضمن احد مخطوطات مدريد(تحت رقم Cad., G 12 de la Bibl. Nac.) ان ذلك كان فى الشريعة وليس فى موقع باب البنود ، كما ذكر « مارمول » فى كتابه : Rebelion de los Moriscos (ورقة 28 عمود 4) من ان الحاجب « فلاسكودي بربونوبيو » قد قتله الموريسكيون من اهل حى البيازين فى سنة 1499 م ، ثم يورد بعد ذلك عبارة اخذها من نفس المخطوط وهي انه « فى سنة 1499 ذهب الملكان الكاثوليكيان (فردناندو وايزابيلا) الى غرناطة ، حيث استقبلا استقبالا حافلا ، وكان اعظم ما ينبغي مشاهدته يومئذ منظر اجتماع اكثر من ثلاثين الف مسلم مرتدين كلهم عباءاتهم البيضاء فى شريعة البيازين وما يليها فى انحاء ذلك السهل حتى « سان لازار » ، وكان ذلك منظرا رائعا (4) » .

ويستنتج « ليفي بروفنسال » من ذلك ان الشريعة كانت جزءا مما سمى بعد ذلك **بحي البيازين** ، كما يوفق بين العبارتين بقوله : ان جزءا من الجيش عسكر فيها ، وان الحي كله كان يقع فوق التل المذكور. هذا ؛ وليس هناك ما يمنع من ان هذا المدلول لمسمى هذا الباب قد صارت الحاجة معه ماسة الى ربط معناه بفكرة العدالة ، وكما هو مفهوم من تسمية الاسبان لهذا البـــاب .

ولا يفوتنا قبل ان ننهي الحديث فى هذا الموضوع ان نذكر ان استاذي « د . لويس سيكودي لوثينا » المستشرق الاسباني قد عقد فى باب :

Cernica Arqueologica de la Espana Musulmana من مجلة الاندلس ، مجلد 7 سنة 1942 ص 438 — 458 ، دراسة شاملة عن ابواب غرناطة فى القرن الرابع عشر ، عنوانها : Las puertas de la Cerca de Granada en el siglo XIV

ثم ان الاستاذ « ليوبولد وطوريس بالباس » ، نشرا فى الباب نفسه دراسة رائعة ، عن « المصليات الخلوية فى اسبانيا الاسلامية »

Murolla y Saria en las Ciudades hispanomusulmanes

(مجلة الاندلس) ، المجلد 13 ، سنة 1948 (ص 167 — 180) .

القاهرة : الدكتور محمد شبانة

---

1) راجع : ليفي بروفنسال فى كتابه « الاسلام فى المغرب والاندلس » ترجمة د . السيد سالم والاستاذ محمد صلاح ص 82 نشر مكتبة النهضة بمصر 1956 م .

2) Recherches sur l'histoire et la littérature et l'Espagne pendant le Moyen-Age الطبعة الثالثة ، باريس وليدن عام 1881 ج 1 ص 382 — 384 .

3) انظر : الكامل لابن الاثير ج 11 ص 127 ط الازهرية .

4) ليفي بروفنسال فى كتابه « الاسلام فى المغرب والاندلس » ص 84 ، المترجم للعربية حسبما وضحنا سابقا .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 9 -

عصـــر ملوك الطوائف :

حتـى اذا سلـك الخلافة انتثر
وذهـب العيـن جميعـا والاثـر
قـام بكـل بقعـة مليـك
وصـاح فوق كـل غصـن ديـك
وكثـر العـادي بهـا والخائـف
واقتسمت اقطارها الطوائـف (1)

هذه الابيات من ارجوزة ابن الخطيب فى دول الطوائف التي يتحدث فيها عن ذهاب الخلافة الاموية، وتفرق كلمة المسلمين شذر مذر ، واضطراب حبل الامن فى البلاد ، ورغم اختلال انظمة الحكم وفساد المقاييس السياسية ، واستئثار كل امير بدويلته ، الامر الذي جعل هـذه الدويلات اشبه بجمهوريات ايطاليا فى ثياب شرقية كما يقول غرسيا غومس (2) فان الآداب والعلوم فى هذه الفترة اورقت غصونها ، وتبرعمت براعمها فى صورة مثلى تبعث على العجب ، وذلك يرجع الى تعزيز الامـراء للحركـة العلمية ، وتشجيعهم لضروب المعرفة على مختلف اشكالها والوانها .

ونتيجة لذلك انتعشت الحياة الادبية فأثمرت المواهب المتفتحة ، وتندت الاذهان بلطيف النتاج ، وصقلت العقول ، وحلق الخيال فى سموات السحر والجمال فكانت من ذلك المقطعات الفائتة والموشحات الجميلة والقصائد العذاب التي تصف فيها تصف الطبيعة الصامتة والناطقة التـي باتت بالنسبـة للشاعر مرتعا لخياله ومقيلا لافكاره ، اذ انها تنتشي باهتزاز الازهار ، وانسياب الجداول وتأود فروع الدوحات ، وتمايل عذبات الاشجار وتأوه حفيف الاوراق ، وهفيف الغصـون .

ومن اجل ذلك هتف شاعرهم مستهاما مأخوذا:

يـا اهـل اندلـس للـه دركـم
مـاء وظـل وانهـار واشجـار

ما جنـة الخلـد الا فى ديـاركـم
ولو تخيرت هـذا كنت اختـار

وايا كان الامر فان الادب فى هذه الفترة شهد تطورا ملموسا ، وتقدما ملحوظا رغم انه ينهل من منهل الادب المشرقي ، ولكنه يعرض فى معارض جديدة فيها من الطرافة والجودة والرقة والابتكار ما ينسي الاصل المستمد منه ، وذلك مرده جميعه الى العامل الآنف الذكر وبالتالي الى اتساع الدائـرة الادبية اذ لم تعد قرطبة وحدها قبلة الانظار يؤمها الشعراء من شتى الانحـاء ، بـل تكاثرت المراكز الادبية كما تكاثر المدحون ومحبو الادب ، ودواوين الشعر ، واصبح التنافس بين المدن والبلدان على اشده فاستطاعت الاندلس ان تظفر بحظ كبير من النشاط العلمي والادبـي ، ذلك ان ملوك الطوائف تباروا على ابهة الملك ، فكل ملك يريد ان يبذ اخاه او منافسه فى الناحية الماديـة والعقلية ، وكان منهم بنو ذي النون بطليطلة ، وبنو هود بطرطوشـة

1) انظر رقم الحلل فى نظم الدول ص 45 مطبعة تونـس 1316 هـ .
2) انظر الشعر الاندلسي ص 44 لغرسيا غومس ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

وسرقسطة ، وبنو الافطس ببطليوس ، وبنو صمادح بالمرية وبنو عباد باشبيلية وبنو جهور بقرطبة .

وليس هذا فقط كان من اسباب امتداد الحركة الادبية والعلمية ، بل ان الملوك انفسهم منهم من كان اديبا مثقفا مطلعا شغوفا اشد الشغف بالعلم ، ولوعا اكبر الولع باصناف المعرفة ، ودليلنا على ذلك المظفر صاحب بطليوس الذي جمع في خزانته الرصيد الكبير من الكتب التي استطاع بها ان يكون موسوعته التي سميت بالكتاب « المظفري » وان يكتسب ذوقا ادبيا وملكة نقدية ، وقد روي عنه انه قال : « من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي والمعري فليسكت » .

وكذلك المعتمد بن عباد وهو اشهر من أن يعرف به في هذا الميدان ، يقول عنه المراكشي :

« وكان لا يستوزر وزيرا الا ان يكون اديبا شاعرا حسن الادوات فاجتمع لديه من الوزراء والشعراء ما لم يجتمع لاحد قبله (1) » .

ومن المقطوع به ان اشبيلية الارملة الطروب كانت تضج حركة وجلبة كخلية نحل ، بهواة الشعر ، ومعالجيه اذ اصبحت هذه المدينة متصدا لاولئك ولغيرهم ممن هام بسحر الكلمة وجمال الحرف من جميع الجهات ، وكان من بينهم ابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة وابن حمديس الصقلي وعبادة القزاز وعبد الجليل بن وهبون واضرابهم .

ولا باس ان نجعل مسك ختام هذا الحديث عن عصر الطوائف ما قاله ابو الوليد الشقندي في رسالته في فضل اهل الاندلس :

« ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقت سوق العلوم ، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان اعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني ، وليس منهم الا من بذل وسعه في المكارم ، ونبهت الامداح من مآثره ما يطاول الدهر بناء الخ » (2) .

ولادة بنت المستكفي (3) :

حسناء فاتنة ساحرة ، ناقدة شاعرة ، حصينة ذكية ، استقبلتها الحياة والمعارك محتدمة ، وجيوش المسلمين تتلاطم تلاطم الامواج العاتية من علويين وبربر وامويين .

اتت الحياة عند افول شمس اجدادها ، فوجدت الملك على وشك ان يصبح ذكريات تطفو على وجه الزمن ، وشتيت حطام تتقاذفه العواصف الهوجاء ، واضغاث احلام تتثات عليها الانفس الجريحة اللاهثة.

تبرعمت براعم صباها في جو مكهرب مخيف ، فوالدها محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري الملقب بالمستكفي تولى الخلافة عام 414هـ فكان بلية ومحنة على اهل قرطبة اذ انه كان مجبولا على الجهالة ، عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة كما يقول ابن بسام ، كما كان عبدا لشهواته لا يهمه من الدنيا غير بطنه وفرجه .

اوقع بنو حمود بأمراء بيتها فلم يكتب لهم النجاة غير ابيها الذي لم يدم متربعا على العرش سوى تسعة عشر شهرا ، على حين ظلت شاعرتنا ولادة بقرطبة تثقف نفسها وتنهل من مناهل المعارف ، وكانت اول من سن للنساء سنة الانكشاف وتمزيق حجاب الحشمة والوقار ولاسيما وهي بنت لقينة حبشية والقيان كما هو معروف لم يكن لهم حجاب .

من اجل ذلك غشى منزلها الادباء والشعراء واتخذوه منتدى لهم يديرون بين جنباته احاديث في شتى الفروع العلمية والادبية ، وما قامت به ولادة قامت به في الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر « مدام دي ديفاند » التي كانت هي بدورها ميالة الى اللهو والعبث واحبها نبغاء الفكر حينذاك امثال فولتير ومنتسكيو وكذلك « مداموازيل دي لسبيناس» والآنسة مي زيادة في ادبنا العربي الحديث .

ومهما يكن فولادتنا وجدت في جوها الحافل متنفسا لها ينسيها الفواجع التي تجرعتها والارزاء التي اذاقتها الامرين ، وحاولت ان تتغافل عن كل ذلك بما تقوم به من مقابلات في قصرها لرواد الثقافة ،

---

1) المعجب : 65 .
2) انظر نفح الطيب ج 2 ص 128 ط ليدن .
3) ذكر الفتح بن خاقان في « قلائد العقيان» انها بنت المهدي ، والثابت انها بنت محمد بن عبد الرحمن كما سنرى بعد قليل .

وما تقضيه معهم من الساعات الطوال في المطارحات الادبيـة .

ونحن اذا قمنا بالبحث عن عفافها واستقامتهـا الخلقية وجدنا اصحاب الاخبار كالمقري وابن بسـام مثلا يصفانها بالعفاف فيقول هذا الاخير وهو أسبـق وجـودا مـن المقـري :

« ... ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولـة حجابهـا ، وكثرة منتابهـا ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة أثواب على انها — سمح الله لها وتغمد زللها — اطرحـت التحصيل ، واوجدت الى القول فيها السبيل : بقلـة مبالاتها ، ومجاهدتها بلذاتها (1) » .

وليت شعري كيف نوفق بين قول ابن بسـام يصفها بطهارة الاثواب وبين مجاهدتها باللذات ، فهو تناقض لا محالة ظاهر واضح وخاصة حين نعثر علـى قول لابي عبد الله بن مكي شيخ ابن بشكوال نصه : لم يكن لها تصاون يطابق شرفها (2) »

وبالجملة فاننا نستطيع — ما دامت البراهين بين أيدينا — ان نقر — الى حين تظهر براهين اخرى معاكسة — ان شاعرتنـا ولادة كانت مستهتـرة لا تكترث لما يخدش شرفها وكرامتها ، مجنة تأخذ الحياة على انها رشفة من كاس الملذات ، وقبلة حارة مـن خـد اسيـل .

وفي الحق ان العفاف والرزانة الخلقية لا تنتسب اليها ولا هي تنتسب من قريب او بعيد الى قيمة مـن قيمها ، ولو كانت تتوفر على نصيب من ذلك لما تجرا صاحبها ابن زيدون على تسجيل كل ما جرى له معها في ليلة زاهرة حلوة عذبة في قطعة له نثرية اثبتها ابن بسام نفسه وهو الذي وصفها بطهارة الاثواب مـن غيـر ما تعليل منطقي يزيح سحابـة التناقـض الذي وقـع فيـه .

ونص القطعة يبتدىء من قوله : « كنت في ايام الشباب ، وغمرة التصاب ، هائما بغادة تدعى ولادة « الى ان يقول في اباحة سافرة » وبتنا بليلة نجتني اقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور (3) » .

وقد يمكن لنا ان نتهم ابن زيدون بأنه نسج بعض حوادث الحكاية من خياله عن قصد تشفيـا بعـد ان وقع سوء تفاهم بينهما (4) وخاصة وهو الشاعر الرقيق المولع بالخيال ، قد يصدق هذا ، وقد لا يصدق بيد انه يسوغ لي ان اؤكد ان ما صرح به الشاعـر يعتمد على اصول وجذور ، وكمـا يقال : لا دخـان من غير نـار .

والظاهر لمن يقرا ما كتبه ابن زيدون عن الليلة التي قضاها مع صاحبتـه ان الشاعـرة كانت تزوره ليلا — ومن يدري لعل الحكاية تكررت مرات ومرات — بعد ان ينام الناس فيفيـىء كل واحد الى فراشـه حتى يخلو لهما الجو ، وهي نفسها تؤكد هذا وتعترف به — والاعتراف كما يقـول المشتغلون بالقانون سيد الادلـة — في قولهـا :

ترقب اذا جـن الظلام زيارتـي
فاني رأيت الليـل اكتـم للسـر

ولي منك ما لو كان بالبدر ما بدا
وبالليل ما ادجـى وبالنجم لم يسـر

وما معنى «ترقب اذا جن الظلام زيارتي الخ» هل يعني انهما سيلتقيان لبث كل لصاحبه هـواه واختلاجاته ، ويتركان روحيهما تتناغيـان في عالـم الاحلام الجميلة لا تدنسها رغبة او نزوة ، وكيف يكون لقاؤهما نقيا نقاوة ماء المزن وهي التي كتبت علـى عاتقي ثوبها في جراة متناهيـة :

انـا واللـه اصلـح للمعالـي
وامشـي مشيتـي واتيـه تيهـا
وامكن عاشقـي من صحن خدي
واعطـي قبلتـي مـن يشتهيهـا

ورغم ذلك كله فهناك من يزعم ان الاشعـار الاباحية التي صدرت عن ولادة وشواعر اخر انما هو من قبيل التغزل والتخيل ، شأنهن في ذلك شأن سائر الشعراء الذين قال فيهم القرآن الكريم « .. الم تـر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون».

ثم استدل على عفتها بقول ابن زيدون :

---

1) الذخيرة 1/1 ص 376 .
2) الصلة : 607 .
3) الذخيـرة 1/1 ص 377 .
4) سيأتي الحديث عن الخصام الذي وقع بين ابن‌زيدون وولادة .

وغـــرك مـــن عهـــد ولادة
ســراب تــراءى وبــرق ومــض
هـــي المــاء تأبـــى علـــى قابض
ويمنـــع زبدتــه من مخـــض

ولكن هذا الراي لا ينهض حجة مقنعة تستند على المنطق ، اذ لو سلمنــا بهــذا التأويل المفتعل ، والتعليل المتكلف لاقتضت الحال ان نقوم بنفس العمل بالنسبة للنتاج الادبي الاباحي الذي تفتقت عنه قرائح شعرائنــا فى الادب العربــي . ومن المسلمات : ان الآثار الادبية اكبر معين للباحث فى تاريخ الادب علــى استكشــاف الحقائــق ، واذا كان العمل الادبــي ينطوي على هذا الجانب الكبير من الاهمية ، فلماذا لا نعتبره معبــرا عن حياة صاحبه بكل ما يكتنفها من خيــر وشـــر .

واما الاستدلال على طهارة ولادة بقول ابــن زيدون فانه يحتمل ان الشاعر تعمد أن يهول الامــر على منافســه ابن عبدوس حتــى لا يعــود يامــل فى حبها ولاسيما البيتان من قصيدة طويلة نظمهـــا الشاعــر ابن عبدوس يستهلها بقوله :

اثــرت هزبــر الشرى اذ ربــض
ونبهتــه اذ هــدا ، فــاغتمض

يتبع — تطوان : محمد المنتصر الريسوني

مـدح — غيـرة — عـذر

عن عبد الله بن مسعود ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس احد احب اليه المدح من الله عز وجل ، ومن اجل ذلك مدح نفسه ، وليس احد اغير من الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش ، وليس احد احب اليه العذر من الله ، من اجل ذلك انزل الكتب وارســل الرســل » .

« رواه مسلم »



- 4 -

عرضنا في المقال الاول والثاني والثالث عن التعليم امورا متفرقة ، بعضها يرجع للغايات من التعليم وبعضها يرجع للطرق والوسائل ، والبعض الآخر يرجع لمحاولة تحديد مفهوم العلم ، ومحاولة التفريق بينه وبين المعرفة ، والادراك ، وفي هذا المقال تتابع عرض بعض القضايا الرئيسية في موضوع التعليم ، ما هي اسباب نهضة التعليم ؟

لقد عرضنا في غير هذا الموضوع ان التعليم صناعة، وكل صناعة يعرض لها ما يعرض لغيرها من الصناعات ما يجعلها تنهض وتزدهر ، او تتعرض للخمول والكساد او للاندثار والفناء.

الا ان اسباب ازدهار الصناعات مختلفة، بعضها عام تزدهر به كل الصناعات سواء منها التعليم او غيره ، كازدهار الحضارة التي ينشأ عنها ازدهار شتى الصنائع في كل عصر ، وفي كل مكان تعرف فيها ازدهارا .

وبعضها خاص يخص التعليم ولا يتعداه الى غيره كالسند الذي يزدهر بسببه امر التعليم ، وهذه الاسباب هي كما يلي :

1) ازدهار الحضارة :

ان ابن خلدون الذي يطلق كلمة عمران ويريد بها الاجتماع او بمعنى اعم الانتقال من طور البداوة الى طور الحضارة – يرى ان من وسائل نهضة صناعة التعليم ازدهار الحضارة الذي يسميه كما رأينا « بالعمران » والعمران وحده غير كاف لنهضة صناعة التعليم ، فقد يكثر العمران في بلد وتنشأ مع هذا العمران حضارة ، لان الحضارة مرتبة اخرى فوق العمران ، ذلك ان الحضارة من الحضور والحضور يعني توفر كل الاسباب التي يقتضيها التجمع والعمران، ولا يجوز ذلك الا اذا كان العمران ، وكان مع العمران توافر الاسباب التي يتطلبها هذا العمران ، حتى يسمى ذلك حضارة ، ولذلك رأينا في الفصل الثالث عن الباب السادس الذي خصصه للعلوم – يجمل هذا المعنى فيقول : « الفصل الثالث في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران ، وتعظم الحضارة » فهو يعبر عن العمران بالكثرة وعن الحضارة بالعظمة اي الازدهار وتوافر الاسباب التي يقتضيها هذا العمران . وفي مكان اخر يؤكد ابن خلدون هذا المعنى فيقول « والسبب في ذلك ان التعليم كما قدمناه من جملة الصنائع ، وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة . والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة » .

فهنا – كما نرى – يدخل ابن خلدون في سبب نهضة صناعة التعليم عنصرا ثالثا هو الترف ، العمران اولا والمهم فيه الكثرة والحضارة ، ثانيا ، والمهم فيها توافر الاسباب والوسائل ، والوسائل التي يتطلبها هذا العمران والترف . ثالثا وهو غاية تنشأ عن العمران والحضارة ، وهو فوق هذين العنصرين ، اي انه عمران وتوافر اسباب هذا العمران ، ثم تجاوز لهاتين المرحلتين الى المرحلة التي يصبح فيها المجتمع متوفرا على

الكماليات ، وفي الجمل التالية ، يذكر ابن خلدون الترف بالمعنى الذي ذكرنا ، ثم يبين لما ذا كان الترف وسيلة من وسائل نهضة صناعة التعليم . « وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة ، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لانه امر زائد على المعاش ، فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصة الانسان ، وهي العلوم والصنائع ، ومن تشوق بفطرته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعلم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ، ولا بد من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها .

وبعد ان يسرد ابن خلدون نظريته هاته ويجملها في ازدهار الحضارة مع التلميح الدقيق الى الفروق الثلاثة : العمران والحضارة والترف . بعد ان يعرض هاته الامور كلها يأخذ في سرد الامثلة او بالاحرى الحجج التي يسند بها رأيه في سبب نهضة صناعة التعليم « واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة . لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون ، حتى اربوا على المتقدمين ، وفاتوا المتأخرين ، ولما تناقض عمرانها ، وابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم ، وانتقل الى غيرها من الامصار » .

ويمضي ابن خلدون في سرد الحجج لتأكيد نظريته هاته فيقول :

« ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، كما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعليم العلم » .

وفي مكان اخر يؤكد ابن خلدون نظريته ويتوسع في سرد الحجج بما يزيد النظرية تأكيدا فيقول : «فاذا تقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن اهل المغرب باختلال عمرانه وتناقض الدول فيه ، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها » وكلمة تناقض الدول تعطي ان ابن خلدون الذي يجعل ازدهار الحضارة احدى اسباب نهضة صناعة التعليم يشترط لهذه الحضارة ، وهذا الازدهار ما يسمى بالاستقرار السياسي ، وقد كان يجوز ان نجعل الاستقرار السياسي عاملا من عوامل نهضة صناعة التعليم على انفراد لولا ان العلامة ابن خلدون ذكره ضمن عامل الازدهار الحضاري الذي يدخل فيه عدم تناقض الدول ، هذا العامل الذي لم نكد نجده عند ابن خلدون الا تلميحا حينما جعل يسرد علينا الامثلة التي عاقت ازدهار نهضة التعليم وخاصة عند قوله : « قد كاد ينقطع عن اهل المغرب باختلال عمرانه وتناقض الدول فيه ، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها » .

وفي كل مكان يتحدث ابن خلدون عن العلم وما يعرض له من ازدهار او عدمه يؤكد نظريته التي لا يختلف فيها من مكان الى آخر ومن موضوع الى آخر ، مما يؤكد ان الرجل متمكن مما يرتئيه وواثق مما يقرر في هذا الصدد .

ولذلك فابن خلدون عندما يتحدث عن سبب نهضة العلم عند العجم دون العرب لا يجد سببا يعلل به هذا الاختلاف بين الجنسين الا النظرية التي ارتآها من قبل وهي عامة شاملة في كل نظريته ، وفي كل ناحية حتى تصبح عنده علة لكل نهضة ، وسببا في كل ازدهار . ففي حديثه عن نهضة العلم عند العجم دون العرب يذكر فيما يذكر ان سبب ذلك انما هو ازدهار الحضارة او عدمها ، اي توفر الوسائل التي يتوقف عليها العمران لا الاستقرار الحضاري فحسب .

« فصل في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من العجم »

واما لماذا كان ذلك فهو ما يقول فيه : والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة » ولنفس السبب يقول في مكان اخر من نفس الفصل : « وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم او من هم في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف ، لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ، فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في انسابهم » .

فابن خلدون يطبق رأيه في سبب ازدهار صناعة التعليم ، فكل توسع ، كما رأينا ومفهوم الحضارة عنده يشمل العناصر التالية :

1) العمـــران

2) توفر الوسائل التي يتطلبها توفر هذا العمران

3) تجاوز هذين العنصريـن الى التوفـر على الكماليات الذي هو الترف

4) الاستقـــرار السياســي

هذه العناصر الاربعة هي مقومات الحضارة التي هي بدورها عامل من عوامل نهضة صناعة التعليم .

2) السنــــد :

ثانيا من العوامل التي يعتبرها ابن خلـدون ذات اثر في صناعة التعليم اتصال السند ويريد بذلك الرجال الذين يروى عنهم العلم ، ذلك ان تحصيل العلم يقوم من جهة على التلقي عن رجال العلـم وعلى المجهـود الفردي من جهة ثانية ، ذلك ان البلد اذا توفـر على اسباب الحضـارة بالمفهـوم الذي عرضناه آنفا توفـر بالضرورة على عنصر آخر يكون عاملا في ازدهار صناعة التعليم وهو عنصر خاص لا يتعدى العلم الى غيره من الامور التي تدفع الى الازدهار .

فرجال العلم وتوفرهم في بلد ما عامل من عوامل نهضة العلم من ناحية ، وصناعة التعليم من ناحية ثانية، ذلك ان السند بمعنى تلقي العلم عن رجاله يقتضي ان يكون هذا التلقي في العلم ذاته اولا ، وفي طرقه ثانيا . ولذلك رأينا ابن خلدون عنـد ما تحـدث عن قصـور المغاربة في الملكات علل هذا القصور بامـور كان في جملتها انقطاع سند العلم . « وما اتاهم هذا القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده » .

وعند ما يتحدث عن اندراس بعض العلوم في الاندلس وبقاء بعضها يعلل الباقـي منها ببقـاء السند ، « وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظـه » وعند مـا يتحدث عن اهل المشرق وعن نشاط العلم فيه يعلل هذا النشـاط ــ ايضا ــ ببقاء سند العلم . « واما اهل المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيـه بل اسواقـه نافقـة وبحوره زاخـــــرة » .

اذن فابن خلدون ياخذ بالقاعدة العربية القديمة العلم من افواه الرجال لا من الاوراق » وبهذه القاعدة يحاول ان يفـر سبب نهضة العلم وصناعة التعليم ، وهو تفسير ساقه ابن خلـدون من الحياة المشاهـدة ، ومن الواقع الذي كان يراقبه ويرى حوادثه تمر امامـه في بعض الدول الاسلامية .

3) المنــــاخ :

لقد عرف ابن خلدون بعدة نظريات لم يسبق اليها، او سبق لها ولـم تظهر مفصلـة او بالاحـرى لم تقـدم بالطريقة التي عرضها ابن خلدون كما في قضيـــة المناخ اي تاثير الطبيعة في الناس باختلاف الاقاليم واختلاف طبيعة كل اقليم من حيث الحـرارة والبرودة ، او مـن حيث تقلب الطقس ، او من حيـث جودة هوائـه ، او رداءته ، وهي نظرية عرف بها ابن خلـدون وعلـل بها كثيرا من المظاهر الانسانية التي جعلها اساسا في اختلاف الناس في كثير من المظاهر البشرية جعلها علة او سببا في اختلاف بني البشر في الذكاء وعدمه وجعلها علة في اختلاف بني الانسان في النشاط وعدمـه ، وهكـذا ... ولذلك رأيناه حتى في موضـــوع نهضة التعليم وادراك اعلى الدرجات فيه ، يعلل ذلك باختلاف طبيعة الاقاليم مكذبا الادعاء بان الاختلاف في اصل الطبيعة البشريـة ومؤكدا عــدل الله في خلقـه ومواهبه ، وبذلـك ازال كثيرا من الملابسات وحل كثيـرا من القضايا التي قـد يكون منشؤها القول باختلاف الناس في ذات الطبيعة البشرية التي هي من صنع الله ، سواء في التعليم او في غيره من قضايا الحياة البشرية . وفي هذا الصدد يقول معللا اختلاف الناس في موضوع العلم خاصة : « فاهل المشرق على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم ، وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهـم على الجملـة اكمل من عقول اهل المغرب ، وانهم اشد نباهة واعظم كيـسا بفطرتهـم الاولى ، وان نفوسهم الناطقـة اكمـل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهـم في حقيقـة الانسانية ويتشيعـون لذلـك ،

ويولعون به لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع ، وليس كذلك ، وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها – «اي على قدر انحرافها او اعتدالها – كما مر » .

وفي موضوع سر اختلاف الناس يبدي ابن خلدون كثيرا من الالحاح على القول بعدم صحة الزعم الذي يتضمن القول باختلاف في اصل الطبيعة البشرية لا في البيئة الجغرافية كما هنا ، او البيئة الاجتماعية في غير هذا الموضوع ، ولذلك رايناه في جهة اخرى يؤكد النظرية بما يلي « وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادىء الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح » .

اذن فازدهار طبيعة النفوس البشرية اولا ، ثم ازدهار ما يتبع النفوس البشرية ثانيا من علوم وصنائع وحضارات ، يرجع بعضه الى ازدهار الحضارة والى توفر الاسباب التي قد تنشأ عن الحضارة او قد لا تكون الحضارة سببا في نشأتها ، كالسند الذي يمكن ان ينشأ ويزدهر نوعا ما دون ان تكون الحضارة عاملا في هذا النشوء او هذا الازدهار ، وكذلك الطبيعة الجغرافية للاقليم التي علل بها ابن خلدون نهضة التعليم وغيرها من الصنائع ، وبذلك كانت العوامل الرئيسية في نهضة التعليم كما يلي :

1) ازدهار الحضارة

2) توافر رجال العلم المعبر عنه باتصال السند .

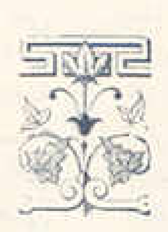
3) الطبيعة الجغرافية المعبر عنها بالمناخ .

ملحوظة :

لقد جعل ابن خلدون ازدهار السند قائما على ازدهار الحضارة اي ان ازدهار الحضارة سبب في ازدهار السند وتوافر رجال العلم ، كما يوخذ من قوله « واما اهل المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه »

وهو رأي ليس عاما في كل الاحوال ، بل هو راي قد يختلف ونظرية قد يكون لها شواذ ، فقد يتوافر رجال العلم في اماكن قد تتوفر لها كل وسائل الحضارة وقد شاهدنا في المغرب عائلات من البادية توارث ابناؤها العلم واتصل فيها سنده دون ان تكون الاماكن التي عاشت فيها هاته العائلات عرفت ازدهارا حضاريا يذكر بالمعنى الذي ذكرنا .

الرباط : محمد الامين الدرقاوي



الأحوال العقلية في مجالي التخلف والإنماء

للأستاذ المهدي البرجالي

تساهم عناصر عديدة تاريخية واعتقادية وغيرها ، في تكييف العقلية السائدة في مجتمع ما ، وتلوينها باللون الذي يميزها في الغالب ؛ والعقليات التي تسود المجتمعات المتخلفة ، تعتبر من العوامل الاكثر اثرا في ازمان حالة التخلف الموجودة وبالنتيجة ، فلها صلة بامكانية العمل على التخفيف من حالة التخلف هذه ، او تصفيتها بالمرة . ما هي ابعاد هذه الصلة بين الاحوال العقلية في المجتمع وقضايا التخلف والانماء عنده ؟ والى اي حد يمكن لسياسة انمائية ان تواجهالعقبات العقلية التي يخلقها التخلف؟

اراد احدهم ان يشخص اعراض التخلف ، مثلما يحاول الطبيب تشخيص اعراض مرض ما ، ليستدل منها على حقيقته ، ودرجة الاصابة به ، وما يلزم لعلاجه، اذا كان له من علاج ؛ تردد صاحبنا طويلا قبل ان يسوق القول بان كذا وكذا من المظاهر والظواهر تقوم اكثر من غيرها ، كدلالة على اتسام بيئة ما ، بسمة التخلف ، وبالنتيجة لذلك ، فان اي مجتمع قد يعتبر متقدما ، لابد ان يكون خاليا في عمومه من هذه المظاهر ، على الاقل بهذه الصورة الشاملة التي تبرز في حياة المجتمعات المتخلفة وناقصة النمو ، واخيرا استقر به الراي على ان ساق جملة من الظواهر تبلغ العشرة ، قال عنها ، ان اجتماعها في بيئة اجتماعية ما ، قد يكون ذا دلالة كافية على اتسام هذه البيئة بالتخلف ؛ وبالطبع ، فهذه السمة تتناسب قلة او كثرة ، مع درجة اصابة المجتمع بالاعراض التخلفية ، وعلى كل ، فما هي هذه الظواهر التي هي بمثابة الاعراض دالة على وجود حالة التخلف ؟ بحسب الراي الذي قدمنا به ، يمكن تلخيصها كما يلي :

1) الامية . 2) الوقاية الصحية بدائية . 3) سوء احوال المراة . 4) وفيات الاطفال . 5) كثرة الفلاحين . 6) استخدام الاطفال . 7) سوء التغذية . 8) ضعف الطبقات الوسطى . 9) ضعف استهلاك الطاقة . 10) خصب فيزيولوجي في الزواج .

قد يعترض على هذه الملاحظات بانها ــ ربما ــ غير محددة لحالة التخلف بصفة كافية ، وان هناك من الاعراض الاخرى غير هذه ، ما هو ذو دلالة بليغة في هذا المعنى ، يحسن سوقه لاستكمال ملامح الصورة المراد رسمها عن حياة مجتمع من المجتمعات المتخلفة ، قد يكون ذلك صحيحا ، ولكن لا ينجر عنه شيء ذو بال، فالمراد هنا ، لا يتعلق باحصاء الظواهر الى درجة الاستقصاء ، ورسم ملامح الصورة بكل ما فيها من خطوط رئيسية وفرعية ، وانما المراد هنا ، استعراض نماذج معبرة عن حالة التخلف ، والنماذج التي سقناها عن « كلود ليفي » هي في الواقع نماذج مهمة جدا ؛

1) في نهاية موضوع سابق حول قضايا التخلف نشر في السنة الماضية ــ كنت وعدت بتخصيص بحث بالمظهر العقلي للقضية ؛ وها انا افي بالوعد .

وتكاد تكون قاسما مشتركا بين مختلف البيئات المتخلفة مع غض النظر ــ بطبيعة الحال ــ عن بعض الاحوال المعزولة ، التي تنفرد بها بعض المجتمعات المتخلفة دون غيرها تحت تاثير بعض العوامل الخاصة .

الاعراض التي ابتيناها آنفا ــ ليس مبدأها واحدا كما نرى ــ فهي ترجع الى عدة اصول ، منها الاقتصادية ومنها الاجتماعية ، ومنها الطبيعية ، ومنها غير ذلك ؛ الا انه من الممكن ان نرجع باغلبها الى عوامل عقلية ، وسيكولوجية ، كنتيجة للتخلف العقلي عند السكان ، وضيق افقهم الفكري ، وتلبس نفوسهم بعدة عقد ومركبات تلاحقهم في شتى آفاق الحياة ؛ فالوقاية الصحية البدائية هي نتيجة تخلف عقلي قبل كل شيء ، ان الناس مدفوعون بطبيعتهم الى المحافظة على انفسهم، وبالتالي على صحتهم ، ولكنهم اذا كانوا متخلفين عقليا فان تصوراتهم عن المحافظة على الصحة ، والوقاية من الامراض ، والاستمتاع بسلامة العقل والجسم ، مثل هذا التصور يكون عادة مشوبا بالاوهام والاساطير ، وتتدخل فيه الغيبيات بصورة تند عن المراقبة المعقولة وبمرور الاجيال يتكون من مركب الاوهام والخيالات والمبالغات ، جملة من الوصفات الملوطة ؛ يتناقلها الابناء عن الاجداد ، وكثيرا ما تقوم هذه الوصفات ، على تجارب لم يتاكد من صحتها وفاعليتها المنتجة ؛ وكثيرا ما يسفر العمل بهذه الوسائل عن فشل ذريع وواضح جدا ، ولكن العقلية المتخلفة ، لا تستطيع ان تتخلص ــ مع هذا ــ عن الاقتناع المغلوط بهذه الوسائل ، لان هذه العقلية ، لا تستطيع (اولا) ان تنتقل من حالة تصور الى اخرى الا بصعوبة بالغة ، (ثانيا) لان عامل الغيبية هنا ، يساعد دائما على ايجاد التعلات والمسوغات « الغيبية » للفشل الذي تمنى به الوسائل الوقائية او العلاجية الموصوفة ، (ثالثا) ان النفس ــ بصورة عامة ــ تنزع الى ما يسري عنها ، ويفتح امامها بابا للتفاؤل ؛ والوصفات المغلوطة تفتح هذا الباب للامل غير المقيد ، وذلك ما يدعو الى التمسك بها يضاف الى كل هذا ، عدم الادراك ادراكا عميقا ماهية الوسخ والعفن بمفهوم صحيح ، يشمل مختلف الحقائق المتعلقة بالموضوع وصلة ذلك بوقاية الصحة او الاضرار بها ، وما يفرضه الادراك على هذا النحو من سلوك في الحياة الفردية والجماعية يتسم بالعناية الواسعة الشاملة ، التي تفرضها الرغبة في وقاية صحية ، مضمونة النتائج ، فيما هو قابل للضمان .

واذا انتقلنا الى موضوع المراة ، وسوء احوالها في المجتمع المتخلف ، فاننا نجد للعامل العقلي ايضا تاثيرا جوهريا في وجود هذا المظهر الاجتماعي من مظاهر التخلف ؛ وهذه الصلة بين انحطاط المراة والتخلف العقلي في المجتمع ، ليست ظاهرة مطردة دائما ، ولا تتخلف ، ففي بعض المجتمعات المتخلفة قديما او حديثا، يلاحظ ان المراة في حظيرتها تنعم ببعض المكانة اللائقة، او قد تكون مرتقية احيانا الى مكانة مرموقة ، لكن يمكن اعتبار حالات هذه المجتمعات ، حالات خاصة ، وتتدخل فيها بعض المؤثرات الدينية او الاجتماعية او الاقتصادية او غيرها ؛ اما الذي يلحظ بصورة متكررة طوال عصور التاريخ ، وفي عصرنا الحاضر ، فهو ان انحدار المراة او نهوضها ، يرتبط ارتباطا شديدا بالاحوال العقلية التي تسود المجتمع ، هبوطا او صعودا ، والمراة معتبرة ــ منذ كانت ــ كمخلوق اسطوري بالنسبة للرجل ؛ لكن دور التقدم العلمي الذي تقوم عليها عملية محاربة التخلف (1) ــ هذا الدور ينصب ــ في جملة ما ينصب عليه ــ ينصب على ازالة الاسطورة عن الاذهان ، اذا كانت حائلة ــ على نحو ما ــ دون تحقيق تقدم اقتصادي او اجتماعي او غيره ؛ ومن هنا بقيت حظوظ المجتمعات متفاوتة اليوم في نصيب المراة ، فيها من التقدم والتطور؛ اذ ان ذلك يتوقف على مدى نصيبها من التطور العلمي والفكري الضروري في هذا المضمار ؛ وينتج عن ذلك باستمرار اختلافات في فهم رسالة المراة في المجتمع ، وما ذا عليها ان تاخذ به او تتركه ؛ والاختلافات في الفهم من هذا القبيل لا تؤدي عادة في مجتمع متخلف الى حركية فكرية تستهدف التوصل الى شيء افضل ؛ فهي اختلافات جامدة مجمدة لا تساعد المراة على فعل شيء افضل ، ولا يقصد بجمود المراة المتخلفة هكذا جمود دورها داخل المجتمع ، بل ما هو اكثر من ذلك ، فان وضعيتها العامة هي ايضا وضعية متجمدة ، لان هذه الوضعية يتحكم فيها ــ في كثير من الاحوال ــ ويصوغها الاعتقاد بان المراة ــ كما تختلف عن الرجل في بعض الاعتبارات البيولوجية والمزاجية وغيرها ، فيجب ان تختلف عنه كذلك فيما لكل من الجنسين من حقوق وواجبات اجتماعية ، ان في المستوى الفردي او في

1) ويحدد الدين الاسلامي نصيبا عادلا للمراة في المجتمع يبقي لها على انوثتها التي تكاد تفقدها اياها مادية النظرة الحضارية الحديثة ، غير ان العقلية المتخلفة لا تستوعب ــ عادة ــ فكرة الدين كاملة في الموضوع .

المستوى الجماعي ايضا ، وانجر عن هذا ان مركزها الاجتماعي كان ــ باستمرار ــ موضوع مراجعة درامية احيانا .

والملفت للنظر بهذا الشأن ان المراة ، تعتبر هي نفسها ، ذات تأثير مهم في الامر فاذا اعتبرنا سعة افق التفكير او ضيقه في المجتمع فلا نقصد به تفكير الرجال وحسب ، بل وكذلك حالة تفكير المراة نفسها وبالذات فبقدر ما تتقوقع في محيط عقليتها الضيقة بقدر ما تساهم في تبرير نظرة الرجال اليها ، باعتبارها انسانا من الدرجة الثانية ان لم يكن انسانا تافها ، وبقدر ما تستطيع الاعراب عن وعي بانسانيتها وتفزع الى تأكيد ذاتيتها كقوة سليمة ومنتجة بقدر ما تؤثر بذلك تأثيرا يذكر في تغيير نظرة الجنس الآخر اليها ، وجعل هذه النظرة اكثر ايجابية وموضوعية .

وسوء احوال المراة يرتبط به في كثير من الصور ــ سوء احوال الاطفال ، ومن مظاهر التخلف ، التي استعرضناها من قبل ، **استخدام الاحداث استخداما لا يقصد منه تكوينهم ، او توجيه مستقبلهم** ، وكانت هذه حالة سائدة في اوربا منذ بضعة قرون فقط ، والان لا تزال لهذه الحالة صور مختلفة في بعض انحاء العالم المتخلف ! ولا شك ان التخلف العقلي له ايضا دخل كبير في هذه الامور ، مثل ما يرجع ذلك ايضا الى انحطاط مستوى العيش ، وتدهور الاوضاع الاجتماعية، ففي الاحوال العادية ، عند ما يكون التخلف العقلي غير سائد ، يدرك المجتمع ان الاحداث ، هم قوام الطاقة البشرية عنده ، ونواتها الحية ، ولهذا يجب اولا تنمية هذه الطاقة بتنمية رصيد الحدث من المعرفة والمهارة والدربة ، لكي يكون انتاجه اجود ، وعطاؤه اغنى واخصب ولكي لا تنفد هذه الطاقة بسرعة ، او تنفد منها على الاقل قدرتها الابداعية والارتيادية .

ان القضية هنا قضية استغلال للطاقة ، لكن حسن هذا الاستغلال يتوقف على مقدار ما يتحقق للمجتمع من تقدم فكري يمكنه من النظر الى الامور في هذا الباب نظرة بعيدة القرار ؛ وسوء استخدام الاطفال اذا كان علامة على وجود تخلف فكري في المجتمع ، فان ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال ظاهرة تتأصل في العادة عن كثير من العوامل ، من بينها عامل التخلف العقلي كذلك ، انها ظاهرة صحية حقا ، ولكنها في نفس الوقت ــ ظاهرة اجتماعية وظاهرة عقلية ايضا ؛ لماذا ؟ لان كثرة الوفيات بين الاطفال تعود في جملتها تعود اليه، الى انعدام الوعي والشعور بالمسؤولية العائلية ، وضعف الثقافة الزواجية وهبوط مستوى الثقافة الجنسية ، والخضوع لروح الاساطير في معالجة الامراض الطفولية، وسوء التدبير الغذائي للاطفال ، وانتشار السحر والعرافة في عدد من المجتمعات ، مضافا الى هذا عدم الاهتمام بمحاربة انواع الضعف والادواء الوراثية والمتوطنة ، بل وعدم التفكير في الامر باية صورة من الصور ! وعلى الرغم مما يظهر من ان الامر هنا يتصل بالعوامل الصحية والاجتماعية ، وما هو من هذا القبيل، فان المداخلات العقلية بل والمؤثرات العقلية في وجود هذه الاحوال ، مما لا يخفى ، بل ومن الجائز الاعتقاد بان مستوى التفكير العام داخل مجتمع من المجتمعات اذا ما ارتفع قليلا عما هو عليه في الاقطار الغارقة في خضم التخلف ، فان المضاعفات الاجتماعية والصحية التي يخلقها الجمود الفكري عند السكان ، لابد ان تقل نسبتها بشكل ملحوظ ؛ ومن الممكن ــ على اي حال ــ ان يسير الكثير منها في طريق الاضمحلال بالتدريج .

ونأتي الى النقطة الاخرى ، المعتبرة من قبيل الاعراض الدالة على التخلف ، وهي ما يسمى **بالخصب الفيزيولوجي في الزواج** ؛ ويمكننا ان نعدل التعبير ، لينطبق على الحالة بصورة اكثر واقعية ، فندعو الحالة بـ « حالة التضخم الديموغرافي غير المراقب » وهذا النوع من التضخم ، تلحظ آثاره في شتى بقاع العالم ، بما في ذلك الاقطار المتقدمة ، كالولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي ، غير ان النسبة في اقطار العالم الثالث ، وبالاخص في آسيا لا يمكن ان تقاس بما عليه الامر في الاقطار المتقدمة ؛ اما العوامل الاجتماعية ذات الاصول العقلية ، التي تسبب في وجود هذه الظاهرة، وامتدادها في كافة الاقطار النامية تقريبا ، فمن بينها (1) الزواج المبكر الذي يتم احيانا في سن لا تعقل تماما ، (2) الاتجاه الذي تتخذه عقلية التامين على المستقبل عند بعض الشعوب المتخلفة ! اذ ان مادة هذا التامين تعتمد على الابناء في الدرجة الاولى ، ، وربما يعتمد عليهم اطلاقا ، ومن غرائب العقلية التخلفية ، انها تعنى هنا بالكم لا بالنوع ، فيكفي ان يتوافر كذا وكذا من الاولاد ، ليحصل هذا الشعور بالتامين على المستقبل ، اما مدى استعداد هؤلاء الاولاد للقيام بدورهم في التامين فلا يفكر فيه ؛ ومن ثم كانت حالة كثرة الاولاد بدون تربية ولا حتى اعداد للمستقبل ؛ وتشتد هذه الحالة اكثر في المجتمعات البدوية ، وفي المجتمعات شديدة التخلف عموما ! (3) ضيق الافق الفكري الذي لا يفتح مجالا للمتع البريئة في تقدير الافراد المتخلفين ، مجالا يتميز بتنوعه وسعة نطاقه ! ومن ثم تنشأ نفسية التعويض ، ويشتد نزوعها اشتدادا قد لا تكون نتيجته فقط ، عدم القدرة

على التربية ، بل كثيرا ما تكون من آثاره كذلك ، الاضرار بالمرأة صحيا ، عن طريق الارهاق الجنسي غير المقيد.

وهكذا اذا ما سرنا في استعراض ظواهر النقص العام ، الذي يسود الشعوب المتخلفة ، فاننا نجد الكثير منها يرجع الى عامل التخلف الفكري عند هذه الشعوب، او ما له صلة بالتخلف الفكري على وجه من الوجوه ! **فسوء التغذية مثلا** الذي ورد في جملة الظواهر التي سردناها من قبل ، بصفته عرضا من الاعراض الدالة على التخلف ، هو في الاصل ظاهرة اقتصادية بدرجة اولى حقا ، اذ يرتبط في العادة بانخفاض مستوى المعيشة ، وقلة الدخل الفردي وضآلة المدخول الوطني ايضا ، لكن يمكن ان نلتمس لهذه الظاهرة كذلك اصولا عقلية ، ترجع الى الجهل والسطحية التي يتسم بها افراد المجتمع المتخلف ، فهؤلاء قد يكون سوء التغذية ناشئا عند بعضهم حقا عن الفقر وقلة ما باليد ، وهذا مظهر اقتصادي واجتماعي للقضية ، لكن عددا من افراد المجتمع الآخرين قد يكونون من ذوي اليسار وممن يستطيعون توفير الامكانيات الغذائية الكثيرة لانفسهم ولذويهم الا انهم يعانون مع ذلك من سوء التغذية ، لانهم لا يعرفون — لجهلهم — كيف يوفرون لانفسهم تغذية صحيحة وكاملة فهم يعنون بالكم اكثر من النوع ، فتجدهم يقاسون من نتائج التخمة وسوء الهضم ، وفي نفس الوقت يعانون من سوء التغذية الناتج عن حاجتهم الى التوازن بين العناصر التي يتناولونها ، واعتماد على مقياس غذائي صحيح ومنتج .

ثم ضعف استهلاك الطاقة الذي اشير اليه من قبل هو — بحق — مظهر تخلف اقتصادي في المقام الاول لكن ثمة كذلك اوجها لتعليل وجود هذا النقص من الناحية العقلية ، اي ما يتعلق بالتخلف الفكري ، وصلته بالتخلف من ناحية استهلاك الطاقة ، ذلك ان المجتمعات التي يكون فيها الاستهلاك الطاقي ضعيفا بشكل او بآخر ، لا يتحتم ان تكون مجتمعات ناضبة الموارد من الناحية الطاقية ، وخصوصا اذا كان الامر يتعلق بمصادر الطاقة الكلاسيكية من فحمية وغازية ومائية ، وبترولية وما الى ذلك ؟ فهذه المصادر هي بالعكس متوافرة كثير التوافر للامم المتخلفة بل هي اكثر ما عندها من مصادر! ومن ثم فلا يعتبر ضعف استهلاكها للطاقة من هذا النوع آتيا من حالة فقر وشح في الموارد ، اذن ليس سببه اقتصاديا البتة في كثير من الحالات ، وانما هو ناشيء عن حالة تخلف عقلي ، او فقر عقلي ، يصحبه عادة ضيق افق النظرة الاقتصادية عند طبقات المجتمع المتخلف وقناعتها بابسط انواع الاستهلاك ، اي استهلاك المصنوعات المستوردة ، والاستمتاع بما تتيحه من منافع عابرة ، او مسرات سطحية ، والاعتقاد بانها قد تكون قد نالت بذلك قسطا من التقدم ، يخفف عنها من سمة التخلف ! والواقع ان حالة التخلف لا تستاصل الا من الجذور ، ومن عوامل هذا الاستئصال الجذري ، وجود سياسة طاقية معينة عند المجتمع الذي يبتغي سلوك سبيل تنمية ما ، والا فمن السهل ان يحكم على هذا المجتمع بالتخلف ، ما دام استهلاكه للطاقة ضعيفا ، او ليست له سياسة طاقية بالمرة .

* * *

وليس من المستغرب هذا التلازم الموجود بين التخلف الفكري ، وانواع التخلف الاخرى من اقتصادية واجتماعية وغيرها ، فقد كان التخلف الفكري في اكثرية الحالات سببا من جملة الاسباب الجوهرية التي تؤدي الى انحطاط المجتمعات في ميادين الحياة المختلفة ، وانحدار مستويات الانتاج والاستهلاك ، والتعامل والسلوك في مثل هذه المجتمعات التي توسم تبعا لذلك بسمة التخلف ! والمفاهيم بهذا الشأن ، قد تختلف فيما بينها ، وان كان المقصود واحدا ! ذلك ان التخلف الفكري الذي قد يكون متأصلا في مجتمع ما ، كامنا في اعماق عقليته فيكون سببا في اعاقة تطوره ، بينما الحاجة تدعو الى التطور ! ثم من جهة اخرى ، هذا الانحدار الاخلاقي ، او التفاهة الفكرية التي يصاب بها مجتمع من المجتمعات ، تطرا عليه فتنال من صفاء نظرته ، وعمق تفكيره ، وتؤثر تبعا لذلك على طاقته الفكرية المنتجة ، وعلى استعداده الخلقي ، لتحمل اعباء الحضارة ، التي كان متحملا لها في وقت من الاوقات — هذه العلاقة بين التخلف الفكري ، وبين عدم القدرة على التطور بالنسبة للمجتمعات المتخلفة ، ثم هذه العلاقة بين الانحدار الفكري والاخلاقي في امة من الامم ، وبين ما يحدث لها بحتمية الاشياء ، من فقدان القدرة التي ربما كانت لها من قبل ، على القيام باعبائها الحضارية المنتجة (كما نرى صورا من ذلك في التاريخ) هذه العلاقات بين هذا وذاك ، بين هذه الاسباب وتلك المسببات — يمكن ملاحظتها في مدى تاريخ المجتمعات الانسانية الطويل ، لان صلات من هذا النوع ، هي عبارة عن ظاهرة حضارية ملحوظة قديمة ، بقدم نشوء الانظمة الاجتماعية المختلفة عند الانسان ، فمنذ عصور الامبراطوريات في الشرق القديم ، وفيما قبل ذلك وبعده ، يلاحظ المؤرخون حالات صعود وانحدار حضاري او سياسي في مجتمع او ذاك ، من المجتمعات ، فاذا التمس المؤرخ اسبابا يعلل بها مثل هذه الاحوال التي يعكسها تاريخ المجتمعات

الانسانية ، تجده ياتي بعدة تعليلات لذلك ، من بينها وفي طليعتها ، التحول العقلي ، وما يرتبط به من تحول خلقي في حظيرة المجتمع الذي كان مزدهرا ، ثم انحدر ، اي ان صفات عقلية معينة ، عند ما تسود مجتمعا ما ، فمن شانها ان تساعده على افتتاح الطريق نحو تطور ايجابي يؤدي به الى بناء حضارة ، او اقامة امبراطورية فاذا ما فقد المجتمع جوهر هذه الصفات ، فان ذلك ينعكس في الغالب على احوال العامة ، مؤثرا على حيويته الحضارية ، وقدرته السياسية ، ومن ثم ، يمكن ان ينحدر الى حالة من الحضارة والادارة اقل مما كان عليه، وتتناسب مع مقدار ما فقده من صفات عقلية ايجابية كانت له من قبل ، ! ونحن لا نقصد من هذا الدخول في موضوعات تعليل التاريخ ، وتحليل ظواهره ، وانما نقصد من اثارة هذه النقطة فقط الاشارة الى ان هذا التشديد الذي نلحظه اليوم على الصلة بين التخلف العقلي ، والتخلف السياسي والحضاري ــ هذا التشديد ليس ناشئا عن فلسفة حديثه ، وانما هو حالة كان الناس يلحظونها دائما ، ويتخذونها كوسيلة لتعليل بعض الظواهر التاريخية ، بما فيها الظواهر الكبرى كسقوط الدول وقيامها ! وربما يغالي البعض من المؤرخين في اعتمادهم على تعليلات من هذا النوع ، لتفسير الظواهر وشرح اتجاهاتها ، فالواقع ان هناك في شتى جوانب الحياة الانسانية على صعيد التاريخ ، او في نطاق الحياة الحاضرة ــ هناك اكثر من وجه ، لادراك الظواهر وتعليلها ، وقد يوقع في الخطا النظر الى الموضوع من زاوية واحدة ، كربط كل ظواهر الانحدار والارتقاء الحضاري بالاحوال العقلية للمجتمع ، على اساس ان ذلك هو العلة الوحيدة ، وليس هناك علة غيرها ! فالعوامل التي تنشا عنها الظواهر الانسانية هي متعددة في الغالب ، وتتداخل مع بعضها البعض ! تداخلا متشعبا يحتاج فرز تعاريجه الى اناة وعمق نظر ، لكن ذلك لا يجب ان يحجب عن اذهاننا اهمية العامل العقلي في نشوء الظواهر المتعلقة بتطور المجتمعات ــ خلال التاريخ ــ ارتقاء وانحدارا وان كانت المفاهيم بهذا الشان تختلف كما قدمنا حسب العصور وما يسود كل عصر من حقائق وقيم ؛ واذا قلنا ان المفاهيم تختلف بهذا الشان فنقصد بذلك ان الاحوال العقلية التي تؤثر في تقدم المجتمعات او تخلفها ، هذه الاحوال ليست واحدة في جميع العصور ؛ ان هناك ــ حقا ــ قيما عقلية ثابتة في جميع الاحوال ، لا بد ان تتوافر لاي مجتمع ، لكي يحقق قدرا من التطور او يحتفظ بما حصل عليه من تطور ؛ ومن هذه القيم ، او بالاحرى ، من هذه الاحوال العقلية الضرورية : ارادة التقدم ــ النظر البعيد ــ حب العمل ــ واشياء من هذا القبيل ، غير ان ذلك لا يلزم منه ان كل الظروف العقلية التي ادت الى قيام الحضارات السابقة او ساعدت على سقوطها هي هي ذاتها التي يجب ان تراعى في ظروفنا الحضارية الحديثة ، لكي نضمن قدرا من التقدم في هذه الظروف الحضارية ؛ فلا بد من مراعاة فوارق الزمن المديد الذي يفصلنا عن عصور ما قبل المسيح مثلا ! ومنطق الحضارة الراهنة نفسه يفرض هذه المراعاة بين الظروف التاريخية التي تنمو فيها بذور الحضارات المختلفة ؛ وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من الحفاظ على مقومات التراث المنحدر من الحضارات التقليدية الاصيلة ؛ ولكن اصالة اي تراث حضاري جدير بالتقدير تظهر في كونه قابلا للتكيف مع الظروف الحضارية المختلفة دون ان يفقد الميزات الاصيلة التي ينطوي عليها ، ومن غير شك فان ميزة التراث الاسلامي ــ العربي هي قابليته هكذا لاستيعاب احوال حضارية متجددة من هذا القبيل ، وتبقى بعد كل هذا على اي مجتمع ، له تراث حضاري ، او مجهول الهوية الحضارية (مع التجوز في استعمال هذا التعبير ــ يبقى على اي مجتمع كيفما كان شانه ان يبحث عن هوية عقلية صحيحة الاسس تمكنه من معاناة التجربة الحضارية الحديثة بكل ايجابية وكفاءة ، والخروج من هذه التجربة بشخصيته سليمة ، من آثار الانصهار الذي لا بد ان يتعرض له ، واختطاط طريق له في نفس الوقت ، نحو عالم التقنية والاوتوماتيكية ، وسيلته الوحيدة للخروج من اطار التخلف المادي ، الذي يغوص في وحله ؟ والبحث عن هذه الهوية العقلية، هو سبيل المجتمعات الواعية مصيرها المادي في عالم اليوم ؛ وعلى قدر ما ينجح اي مجتمع في العثور على المزايا العقلية ، التي تمكنه من قرع باب التقنية دون وجل ودون تخبط او عشوائية ــ بقدر ما يضمن هذا المجتمع اكبر حظوظه في الخروج من اطار التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ويؤدي ذلك حتما الى الاختزال من انواع التخلف الاخرى التي ليست كما قدمنا ــ الا تفرعات لهذا التخلف ــ المحور ، التخلف ــ الاصل اي التخلف الفكري بكل ابعاده ومضاعفاته .

* * *

اسلفنا في الفقرة السابقة ان الامر في كثير من عوامل الارتقاء والانحدار عند المجتمعات الانسانية عبر التاريخ ــ كان امر تطور فكري ، او جمود فكري او انحراف فكري بحسب كل حالة على حدة ؛ وقد يسمي مؤرخونا ذلك بانحطاط خلقي ويلاحظون في ذلك ،

استشراء الفساد الاخلاقي داخل مجتمع من المجتمعات القديمة ليعللوا به تدهوره وتهافته ، وقد ذكرنا ايضا ان المفاهيم بهذا الشأن ، تختلف فيما بينها بعض الشيء فهل يعني ذلك ان الجانب الخلقي في حياتنا الحديثة ، ليس له ما كان له من اهمية قبل ، وان العقلانية العصرية التي تخطط السبل لتصفية التخلف ، لا تضع في حسابها للاعتبارات الخلقية الخالصة ، اعتبارا كبيرا ، قد يرى البعض مثل هذا الراي ، مستشهدين عليه بكون كثير من المجتمعات عالية التطور التقني تنتشر فيها مظاهر فساد خلقي ، دون ان يؤدي ذلك الى تخلفها ، ويذهب مثل هؤلاء الى الاستنتاج من ذلك بان الجوهر الذي تقوم عليه الحضارة الحديثة ، هو جوهر مادي ، ولهذا لا غرابة في استبعاد التعلق في نطاق هذه الحضارة بالمثاليات المجردة التي فقدت قدرا من فاعليتها نتيجة لما ذكر ؛ وقد يرى آخرون ، ان الامر ليس امر مادية او مثالية ، وانما هو امر تحول في المفاهيم الاخلاقية ، فللمدنية الحديثة مثالياتها الخلقية ، ولكن كل ما في الامر انها تختلف في كثير من مناحيها ومقتضياتها عما كان سائدا من قيم اخلاقية في عصور مضت ، وليس المجال هنا مجال مناقشة لهذه الآراء ، فكل ما يهم بهذا الصدد ـ هو الاشارة اولا الى ان مادية الحضارة الحديثة ـ رغم سعة تأثيرها ـ فهي لا تلزمنا بشيء حتمي ولا معدل له ، اذا كان لدينا من الامكانيات المعنوية ، ما يخولنا قدرة على السير في سبيل تطور يجمع بين خصائص المادية وغير المادية ، ثم الاشارة ثانيا الى ان القضية ، قضية التطور بمفهوم عام ، بما فيه الجوانب المادية البحتة ـ هذه القضية هي ايضا قضية اخلاق ـ اذا كانت قضية عقلية ـ الاخلاق التي يجب ان تربى عليها الشعوب المتخلفة وتتشبع بها لتؤثر ـ وهذا هو الاهم ـ على نظرتها الى الاشياء وتصورها القضايا المادية وغيرها ، وادراكها لما تتطلبه معالجة هذه القضايا من مقتضيات مختلفة ! وهذا هو المظهر العقلي لهذه التربية ، اما المظهر الاخلاقي فيتمثل في تأثر سلوك المجتمعات المتخلفة بهذه النظرة الموضوعية الى الامور ، وانعكاس الخلقية الناشئة عن ذلك ، على حياة الافراد والكتل الاجتماعية، سواء في علاقتهم بالطبيعة ، او صلتهم بمصاعب المعايشة الانسانية في نطاقها العصري ، او موقفهم من قضية التقدم والتطور او طريقتهم في معالجة المشاكل اجمالا هذان جانبا العقلية « الفعالة » التي تستطيع الكثير من العمل ضد حالة التخلف بحيث يؤدي عملها بالضرورة، الى تحقيق تطور متناسق وموزون وذا روح شمولية راديكالية ، وتعترضنا في هذا المقام قضية لابد من ملاحظتها ، لانها تفرض نفسها بالبداهة ، ذلك ان التخلف ومحاربة التخلف ، يدوران في الواقع داخل حلقة مفرغة ، قد تحتار بعض المجتمعات المتخلفة طويلا في الخروج منها ، على وجه من الوجوه ! فحالة التخلف العام ، تعتبر ناشئة ـ كما اسلفنا ـ عن وجود حالة تخلف فكري ، تتجمد بسببها اندفاعية التقدم عند المجتمع، وتبقى الحياة هكذا متقوقعة ضمن حدود معينة لا تستجيب الا بقدر ضئيل ، لتزايد الحاجيات من تضخم سكاني وتشعب حياة عالية وغير ذلك لكن التخلف العادي ، الذي هو ناشيء عن هذه الحالة العقلية غير المتطورة ، يساهم هو نفسه في استمرار مثل هذه العقلية بل وتشعب مضاعفاتها في شتى الميادين ؛ ان هناك اذن مجالا واضحا لملاحظة هذه الظاهرة ، وهي انه بقدر ما يعمل على محاربة التخلف بقدر ما تقف الحواجز العقلية دون وصول عمل المحاربة ، هذا الى اقصى مداه ، بينما لا يستطاع الا بقدر محدود ، تقويم هذه العقليات المتحجرة ، في كثير من المجتمعات ، بسبب انها متخلفة ومتأثرة بعوامل التخلف العام الذي يحيط بهذه المجتمعات ! وهذه صورة الحلقة المفرغة التي يدور فيها التخلف العام ، والتخلف العقلي دورانا لا نقول انه حتمي ، ولكن على الاقل فهو دوران واقعي يفرض قدرا غير قليل من التعقيدات على مشاريع الانماء والتطوير في عدد من الاقطار كالهند مثلا ! والمسألة التي تلح على الاذهان كثيرا في شتى المجتمعات المتخلفة هي : كيف يمكن التخلص من هذه الحلقة المفرغة وذلك بالنجاح في تصفية مظاهر التأخر الاقتصادي والاجتماعي والسيطرة ـ في نفس الوقت ـ على حالة التخلف العقلي ، لكي لا تحول دون ذلك ؟ وعلى اساس النظر في نقطتي التواجه هذه ، نجد كثيرا من سياسات الانماء المتبعة اليوم ، تقوم على مراعاة عدد من الحقائق والمقتضيات في وضع الخطط المختلفة ، الرامية الى محاربة التخلف في شتى مجالاته ؛ ومن هذه الحقائق والمقتضيات التي تراعى ؛

1) اعتبار العملية التثقيفية داخلة في صلب مجموع الخطة العامة ، التي تحدد سياسة قطر من الاقطار في ميدان الانماء والتطوير الاقتصادي وما في نوعه ؛ ويفرض هذا الاعتبار بطبيعته ، النظر الى العملية التثقيفية بصفتها وسيلة لتربية المرء على صفات المواطنة لا من جانبها الفلسفي المثالي فحسب ، بل من جانبها الاقتصادي كضرورة ملحة اي توجيه الافراد ـ عن طريق التربية توجيها ، يجعل منهم ادوات انتاج اقتصادي ، واستهلاك اقتصادي ايضا ، ولكن يراد به الاستهلاك المنتج ، اي الاستهلاك الذي يساعد الافراد على زيادة الانتاج ، اما عن طريق تحسين مستوى صحتهم او توسيع افكارهم، او الترويح عنهم بما يجدد لهم نشاطاتهم ، او شيء من

هذا القبيل . (2) محاولة توعية سواد الناس الذين لا تشملهم عمليات التثقيف المنظمة في المعاهد والمختبرات والدورات التدريبية وغيرها ــ محاولة توعية مثل هؤلاء ، عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، التي تهيئها التقنية الحديثة لنشر الثقافة الشعبية ، كالسينما مثلا، لكن لا يجب ان يعزب عن الذهن ، ان التوعية على هذا الاساس قد تكون لها فوائدها المثمرة بعض الشيء ، لكن لا يمكن الاتكال عليها الى ما غير حد ، ولا يرجع هذا الى عدم جدوى التقنيات الاعلامية الحديثة في حد ذاتها، بل يرجع الامر فقط ، الى ان الامية الضاربة اطنابها على سواد الناس في الاقطار المتخلفة ، هذه الحالة من الامية، تجعل في الغالب على الاذهان غشاوات ، لا تسمح لهذه الاذهان ــ ان تربط بين المقدمة والنتيجة ، فيما يعرض عليها بواسطة وسائل الاعلام العادية ، وحتى اذا تمكنت قليلا من هذا الربط ، فانها لا تستطيع الا بقدر ضئيل ، هضم النتائج العملية في العمق ، والتشبع بها حتى تصبح جزءا من التفكير اليومي ، وحتى اذا استطاعت شيئا من هذا القبيل ، فلا يضمن ان تكون له نسبة من التغلغل في العقول تؤكد امكانية استمرار تاثيره لأمد طويل ، واكتساب الحصانة العقلية اللازمة التي تحول دون ان تؤثر على هذا الوعي المكتسب اية تاثيرات سلبية ، فتنال من جدواه بوجه او بآخر ، كالعقائد السحرية ، والطقوس الجامدة ، والتواكل والسطحية والايحاءات التي تخلقها البيئة الاجتماعية ، او تركزها فاعلية الوراثة ، او ما الى ذلك كثير ، ومن ثم يقع في كثير من الحالات ، ان تبقى نتائج التوعية من هذا القبيل طافية على السطح ، معرضة للتيارات السلبية من كل نوع ، لان الامر يبدو بالنسبة للرجل العادي البسيط نوعا من الوعظ المؤثر لبعض الوقت وما اكثر ما يتلقى هؤلاء من وعظ ، لا تكون له الا نتائج سطحية ومؤقتة اذا كانت له من نتائج ! ولا يعني هذا ضرورة الاستغناء عن وسائل الاعلام التقليدية ، بل هي اساس جوهري في مجال التوعية لا يغني غناءه شيء آخر ، وانما كل ما هناك ، هو ان يعزز عمل التوعية النظرية هكذا بنوع من التوعية العملية، وذلك بمساعدة هؤلاء الذين هم موضوع توعية ــ مساعدتهم على لمس الجانب العملي في المشاكل اليومية البسيطة التي يعيشون في اطارها باستمرار ، دون ان يدركوا دورهم الحقيقي في نشوئها وتعقيدها ، ومن ذلك ان يكون هناك موضوع واقعي ، تدور حوله التوعية العملية كالاسباب الموضوعية و « العقلية » التي سببت نقص المحصول في منطقة معينة ، او احدثت مرضا وبائيا معينا ، او حالت دون ارتفاع مستوى المعيشة او غير ذلك ــ والعامل الاساسي في الامر من

هذا القبيل هو احتكاك العامة فعلا بمشاكلهم عمليا ، وادراكهم التدريجي ــ ومع مرور الاجيال ــ بحقيقة دورهم في وجود هذه المشاكل من التخلف ، والمراد بالادراك هنا ــ كما قدمنا ــ الادراك العملي الناشيء عن الاحتكاك الواقعي بالمشكلة ، لا الادراك النظري المجرد ــ لانه ليس من المعقول ان يوخذ بالتجرد بالنسبة لافراد، هم كالاطفال في مدرسة ابتدائية يحتاجون الى التشخيص في كل ما يشرح لهم ، او يراد بهم ان يتشبعوا به تشبعا عقليا واعيا ينعكس على ملكاتهم وقدراتهم ! والملاحظ ان من الظواهر الايجابية في محاربة التخلف ، ما يبدون من اهتمام عدد من الاقطار بهذه المزاوجة الماهرة بين عمليات التوعية النظرية والعملية في نفس الوقت (3) وبين هذا وذاك يسير عدد من الدول المتخلفة ، على تنفيذ خطط مختلفة للتنمية ، تلاقي فيها ــ حقا ــ المصاعب الجمة ، التي يعود كثير منها الى التخلف العقلي حسب ما لاحظناه قبل ــ ودوران التخلف المادي والتخلف العقلي ــ في حلقة مفرغة وهائلة ــ نقول : رغم هذه المصاعب ، فان من الآمال التي تظهر من خلالها ان يستطيع تيار التنمية في الاخير ، اقحام نفسه على جميع عوالم التخلف ، بما فيها التخلف العقلي نفسه ، الذي هو عقبة اساسية ، ان هناك سباقا مع التخلف العقلي بالاخص ، والرهان القائم هو ان يقع التوصل في هذا القطر او الآخر ، الى اجتياز المرحلة ، التي يكون فيها التخلف العقلي شرسا وضاريا وبذلك يسهل تحديد اثره ، والسيطرة عليه في النهاية ، ومبدأ الانطلاق في هذه المسالة ، هو ان التنمية والتخلف العقلي ــ وان كان كل منهما عامل قوي ضد الآخر ، الا ان احدهما ايجابي الصفة ، والاخر سلبي ، ولا بد ان للايجابية من المكنات ، ما يجعلها في حلبة الصراع اوسع حولا ، واطول نفسا ، مما قد يمكنها ــ متمثلة في حالة التنمية مثلا ــ من مصاولة سلبية التخلف العقلي ، وتجاوزها في الاخير، بعد ان يضعف ــ تحت وطأة المصاولة ــ تاثيرها المضر بسير التنمية ، واذا سلمنا بمدلول هذه الفكرة على نحو ما ، فلا بد ان نسلم كذلك ، بان الامر يقتضي ــ في هذا المقام ــ الاعتماد على قوة الترويض والتعويد، وذلك على اساس الاعتقاد بان التعويد على شيء من الاشياء من شانه ان يؤدي الى تحقيق بعض النجاح في عمليات الاستبدال المنشودة ، اي استبدال احوال باخرى ، استبدال العادات التي خلقها ، ومكن لها عامل التخلف العقلي ــ بمرور الاجيال ــ بعادات اخرى اكثر استجابة لمنطق التطور الذي تفرضه التنمية الحديثة ، واشد قدرة على التفاعل مع الضرورات التي تفرضها طبيعة الحياة المتقدمة اليوم ، ان الفكرة لا غبار عليها من

جانب نظري ، فامكانية الاستعاضة عن عادات باخرى جائزة جدا ، سواء من زاوية علم النفس الفردي او الاجتماعي ، وان كان هذا الجواز ليس مطلقا دائما ، وقابل للتطبيق في جميع الاحوال ، غير ان القضية التي تاخذ ــ حول هذا الموضوع ــ بعناية مختلف الدول المتاخرة التي لها برامج انماء ــ هي هل ينجح ما تطبقه من برامج في غرس عادات جديدة ، على انقاض بعض العادات العقلية السيئة ام يخفق في ذلك ! والامر بهذا الشان يقتضي ــ كما تقدم ــ توفر رصيد هائل من التوفيق لاجتياز المرحلة الاولى ــ مرحلة الخروج من الحلقة المفرغة التي يدور فيها كل من التخلف المادي والعقلي ، والمرحلة هذه ، مرحلة الخروج من هذه الدائرة الفاسدة ، هي اهم ما يمكن ان تتوصل اليه الدول المتخلفة في سياساتها الانمائية المتبعة ، وبعد ذلك يسهل عليها ممارسة سياسات ناجحة في استبدال العادات العقلية والسلوكية باخرى .

وتعنى مصالح الامم المتحدة ببذل مساعدات تقنية في هذا المضمار حيث ينتشر خبراء المنظمة في المناطق الاكثر تخلفا في العالم ، يدلون على التقنيات الحديثة ، التي ترسخ بعض الوعي ضد التخلف عند الفلاحين وغيرهم ، عن طريق ارشادهم عمليا ومساعدتهم على اكتساب عادات جديدة ، ونظرة جديدة للامور والحلول المقترحة لها في شتى الميادين غير ان الجهود الدولية بهذا المضمار ، تعترضها عقبات كثيرة ، وينقصها التمويل الكافي ، بالاضافة الى محدودية المجال الذي تنشط فيه ، بالقياس الى ضخامة العالم المتخلف ، وضخامة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يتخبط فيها ، والتي هي ناشئة في كثير من عواملها عن التخلف العقلي السائد، ثم ياتي نقص الاطارات والامكانيات والتخطيطات كفروع عن ذلك ، او بالاقل مضاعفة لخطورته .

ان العقيدة السائدة اليوم ، هي ان مخرج العالم من مشاكله المعقدة ، رهين بنجاح سياسة انمائية عالمية متكاملة ومتوازنة لكن ذلك لا بد ان يفرض في نفس الوقت الاعتقاد بان سياسة من هذا القبيل ، لا يمكن ان تستنفد اهدافها الا بتدخل فعال في اعادة صياغة نظرة وعقلية هذه الكتل المتخلفة الهائلة ، ومساعدتها على التفكير حقا تفكيرا مضادا للتخلف ، وذلك شرف اساسي لا بد منه .

المهدي البرجالي

أدب وفكر:
مسرح اللامعقول بين العبثية والنقد

للأستاذ: مبارك ربيع

من احدث اعمال سارتر ، وهو الوافر الانتاج ، مقال كتبته صحيفة الفكارو (الادبية) بتاريخ 26 يناير 1967 ، والمقال في الاصل بعنوان اسطورة المسرح وحقيقته «Mythe et réalité du théâtre» وهو عنوان المحاضرة التي كان سارتر القاها حديثا في مدينة بون ، وسمح لصحيفة الطلبة البلجيكيين الشهرية « لوبوان » بنشرها في عددها الصادر بتاريخ 7 يناير 1967 وفي هذا المقال يوضح سارتر موقفه من مسرح اللامعقول ، وهذا هام جدا من عدة وجوه . فمسرح اللامعقول يرمى بالعبثية ، او يوصف بها على اقل تقدير ، وهو من هذه الوجهة قد يلتقي بالوجودية. ثم ان راي سارتر ، حتى وان لم يتفق معه الكثيرون يفتح مدخلا لفهم اعمال اللامعقول . وبامكاننا ان نمدد من هذا المدخل ، بحيث لا نقف به عند فهم اعمال كبار مسرح اللامعقول الذين ذكرهم سارتر فحسب ، امثال جيني ، وبيكيت ، وآداموف واونيسكو ، بل نفهم به بوادر هذا المسرح عندنا في الادب العربي وخاصة عند توفيق الحكيم في اعماله الاخيرة ، ابتداء من « ياطالع الشجرة » وذلك بالاعتماد على آراء النقاد في مسرح توفيق الحكيم ايضا .

والفكرة الرئيسية التي يصدر عنها سارتر ، في حديثه هي ان مسرح اللامعقول « لايعتبر الحياة البشرية ، والعالم ، ضربا من العبثية » ومن هنا فان سارتر يرفض ان يطلق على هذا المسرح ، كما الف الناس « مسرح اللامعقول » او « مسرح العبث » وهو يبرر ذلك ، ويعرض تسمية جديدة ، وقبل ان ناتي على رايه في الموضوع لابد من بسط بعض المقدمات الاولية التي قد تسلم الى ما انتهى اليه سارتر في هذا الموضوع. وهذه المقدمات تتصل بعلاقة الادب عموما بالظروف الحضارية التي تجتازها البشرية . والمسرح منذ نشاته في القديم مرآة تنعكس عليها حياة المجتمعات ، ولعل للاهتزازة الاولى ، التي عمت الادب والفن ، وحتى ظروف الحياة وقتنا الراهن ، تعود الى صيحة (كير كجارد) بعدم كفاية العقل ، والى تمرد (نتشه) وغيرهما . بيد ان ظروف الحربين العالميتين ، من مشاهد التدمير والحرق ، ومآسي المعتقلات ، والدعوات الزائفة الى السلم ؛ كل ذلك فتح عوالم جديدة امام الفكر البشري . عوالم ينظمها الياس واللامبالاة . واذا كان التساؤل حول المصير قديما ، فانه بفعل الحرب وويلاتها ، ارتد الى الداخل ، الى اعماق الانسان ، بعد ان كان صداه يتردد في خارجه . الم تظهر الحرب أن الانسان بيديه ، يهدم ما شيدت يداه ! فالمصير اذن واضح . وما جدوى العلم والثقافة ان كانت هذه ثمارها ؟ وقد دلت الحروب على اننا لا نتفاهم مطلقا ، وهذا يورث الحصر . وبالرغم من كل شيء ، فان مأساة البعض ، يسر عند الآخرين ، واغنياء الحروب ، افرادا وامما تجسيد لذلك . وهذا يشعر بتمزق الروابط الانسانية ، وتناقض القيم ، ونسبيتها على وجه اضيق . ولعل من اكبر مظاهر الازمة الحضارية في هذا القرن ، أن ينشأ عنها في نفس الوقت، وعقب الحرب العالمية الاولى مباشرة ، تياران كبيران

متناقضان احدهما يعمل على امحاء الفردي في الجماعي، والثاني على العكس من ذلك ، يهتـم بالانا ونظرتـه الذاتية ، الى احداث العالم . واذا كان الاتجاه الاول تبلور في اوضاع سياسية ، ونظـم مجتمعيـة ، كمـا يقضي بذلك منشؤه ، فان الثاني اختص بعالم الفكـر والادب والفن . لقد كان كل من الاتجاهين محاولـة للخروج بالانسانية من اسر الياس واللامبـالاة ، الى مستوى المسؤولية ، مسؤولية بناء عـالم جديـد ، بنظرات جديدة . ونشأت حركة «الدادية» اولا في الفن كتجسيد لفكرة الياس واللامبالاة ، فقد اشتق اسمهـا ايضا عبثا ، من اول لفظ صادف احدهم ، وهو يفتح قاموسا لغويا على الصدفة ؛ وما لبث كثير من الشعراء ان انضموا الى هذه الحركة امثال اراجون ... الا ان هذه الحركة ما لبثت ان وجدت الاساس الثقافي الذي كانت تفتقده ، كي ينظر اليها كحركـة جدية لها مـا يبررها . وكـان حامل هذا الاساس اليها هو طالب الطب اذ ذاك « اندري بروتن » وهكذا تحولت الدادية العبثية الى « سريالية » . اما هـذا الاساس الذي اعتمدت عليه فهو اللاشعور بمعناه الواضح عند فرويد. فقد اعتمدت هذه الحركة « الفوق ـ واقعية » على الانطلاقة التلقائية في الابداع ، دون تقيد بقواعد الفكـر المعتادة ، في صياغة الافكار والتعبير عنهـا . فالاثـر السريالي سواء كان في الادب او الفن اشبه ما يكـون برؤيا الحالم ، يبدو لمن ينظر بعين العقل لا معنى لـه . بينما هو في الحقيقة محاولة للتعبير عن خبايا الـذات واعمق اعماقها ، وكان للحرب ايضا اثر مباشر في بلورة كثير من الافكار الوجودية خاصة فكرة العبث بالشكل الحاد ، اليائس المتشائم ؛ والمتمرد في عجز مرير ؛ كمـا يفصح عن ذلك اشخاص كامـو « الغـرباء » ابـدا ، وربح « الطاعـون » ما تفتأ تعصف بهم ؛ الهائمون في حيرة بشان العدالة . وترددت فكرة العبث هذه عنـد « كافكا » بشكل اعمق وربما اشد قتامـة وعتمـة . فاشخاصه يعانون من تهمة غير محددة ، ولا يعرفـون عنها شيئا ؛ وهم يسيرون في ممرات ملتوية غريبـة، وراء « القضية » ليجدوا من بيده امرها نائما ، وامثالهم ينتظرون ... وتضغط العبثية على هؤلاء فيتحولـون « مسخـا » مبكيا مضحكا ، وفي حالة المسخ هـذه يبدو تصدع العلاقات البشرية هائلا مخيفا ، حتى في المحيط الضيق ، محيط الاسر . فالاسرة تضيق بالمسخ الذي هو احد افرادها وربما كان اعزهم عنـدها ... ففي هذه المشاهد كلها تعرية كاملة للواقـع البشري ، تعرية مريرة ، تزيح عنه كل ما يتلفف فيه ، من زائـف القيم . وهي تعرية لا تقل عن تلك التي انجلت عنهـا الحرب في واقعها . ففي هذا اللون الادبي ، لا جـدال في العبثية المسيطـرة .

على ان ما يلاحظ ان المسرح على شدة ارتباطـه بالحياة المجتمعية من جهة ، وعلى شدة ارتباطه بسائر الفنون الادبية من جهة اخرى ، فانه قد ظل خلوا مـن هذا اللون العبثي ، او انه لم يمسسه الا مسا عابـرا، حتى حوالي سنة 1950 حيث ظهرت اعمال مسرحية تعبر فيما يبـدو ، عن هذا العبـث L'absurde شكلا ومضمونا . وهذا ما يتجلى في اولـى مسرحيات اونيسكو « المغنية الصلعاء » التي ظهرت 1950 وكذلك « في انتظار جودو » سنـة 1952 لصموئيل بيكيت . وقد تتالت امثال هذه المسرحيات بسرعة فائقـة ، وبالرغم مما يقال من ان هذا الاتجاه لم يرض جمهـور المسرح ، فان الاقبال على مشاهداته ومطالعته ، كبير جـدا . اما المضمون الذي تتكشف عنه اعمال هـذا الاتجـاه ، فهـو صعوبـة التواصل او استحالتـه فالاشخاص لا يتوصلون الى ان يتفاهموا فيما بينهـم (مسرحية الدرس لاونيسكو والكراسي) كما ان المسخ يدب في مدينتهم (الخرتيت) ؛ وهم يحيون التناقض، تناقض القيم ، وتناقض افكار ، وهم لذلك في لعبـة او في « نهاية اللعبة » كما يصورهم بيكيت . واللعبة هنـا هي الحرب ، التي تركت الكثيرين ناقصي الخلقة ، بين الحياة والموت ، ولا احد يحفل بهم ، ولا هم يـدرون شيئا عما ينتظرهم . اما الزمان فقد تميع ، ولم يعـد لـه من موضوعية (في انتظار جودو ، والمغنية الصلعاء) فالساعات والايام ، لايتفق عليها اثنان ، كل يسمع مـن الدقات وبعد من الايـام ، حسب ما يتراءى لـه . ونتساءل الان : اذا تعذر التفاهم ، وكانت حياتنا امعانا في حالات التناقض ، وكنا نفتح أ عيننا لنجد اللعبـة قد تمت وأن ما علينا الا ان نقاسي مرارتها دون امـل، او في امل هو الياس ، نظل ننتظره وننتظر دون ان يعود؛ نتساءل : اليست هذه هي العبثية في اشنع صورهـا ؟ او لسنـا مبـاشـرة امـام مسـرح العبـث (Théâtre de l'absurde)

ان سارتر يرفض ان يطلق هذا الاسم على هـذا الاتجاه المسرحـي ، لانـه يراه غير مطابق لمضمـون مسرح اللامعقول فان اي واحد مـن مؤلفـي مسرح اللامعقول ـ حسب سارتـر ـ لا يرى في الوجـود البشري عبثية . ويرى سارتر ان هذا المسرح اجـدر به ان يطلق عليه «المسرح النقدي» Théâtre critique فهو يقول في حديثه هذا ، اننا في سائر الفنون الادبية ، عدا المسرح ، قد راينا الوانا نقدية ، راينا « الروايـة

النقدية عند « فلوبير » ، والشعر النقدي عند «مالارمي» . ولكن المسرح النقدي لم نصادفه قبل هذه السنوات الاخيرة ، وقد تضافرت عوامل فنية واخرى مجتمعية، على ظهوره . والمسؤول الاول المباشر – وسارتر هنا لايذهب وراء الاسباب البعيدة – هو السينما . فمنذ ظهور السينما نشب صراع بينها وبين المسرح ، وهي وان لم تستطع ان تجذب اليها كل جمهور المسرح ، وان لم تستطع ان تقضي على المسرح كل القضاء ؛ فانها استطاعت ان تجلب اليها الجمهور المسرحي ، بل وحتى الجمهور الذي حافظ على ولائه للمسرح ، فهو يتردد على السينما مرات عدة ، قبل ان يتردد على المسرح مرة واحدة . اما اساس التمييز بين المسرح والسينما، وربما تفضيل السينما على المسرح ، فهو ان مناظر السينما تؤخذ على انها طبيعية او يفترض ان تكون طبيعية ، بينما الامر غير ذلك في المسرح . فما « يعرضه المسرح يبقى تمثيلا بينما المشهد السينمائي حقيقي » الشجرة في المسرح انما هي تمثيل ، بينما هي في السينما شجرة طبيعية . ونحن هنا نقر هذه الامكانيات، التي تتوفر عليها السينما ، ويعجز عنها المسرح ، الا اننا نضيف بعض ملاحظات الى ما جاء في حديث سارتر ، وهي ان المسرح في احيان كثيرة ، يكون هو المشهد الحقيقي ؛ بينما ينتقل المشهد التمثيلي الى السينما . فالفاجعة التي تجري على الخشبة ، هي حقيقة من حيث انني التقي فيها بالممثل مباشرة ، اما في السينما فهذا متعذر والاتصال بالمشهد السينمائي ، لا يتم الا بعد القص ، والحذف ، والتكملة . . . فكان كل مايتبقى من واقعية تمتاز بها السينما على المسرح ، هو امكانية التقاطها للمشاهد الطبيعية على حقيقتها . وهنا نشير الى ظاهرتين متكاملتين احداهما تخص المسرح ، والثانية تختص بالسينما . فالمسرح اصبح بوسعه ان يستغني عن البناية الرسمية ، ليعرض في الهواء الطلق ؛ بل في مكان الاحداث الاصلي ، وهكذا اصبح الجمهور يشاهد مسرحيات ، في القصور والمعابد التي جرت فيها احداثها بالفعل ، كما ان الخشبة كثيرا ما تنقل الى الميدان الاصلي الذي دارت فيه المعارك الحربية ؛ طبعا كل هذا على نطاق محدود ، هذه هي الظاهرة الاولى ؛ اما الثانية فهي ان السينما كثيرا ، ما تعجز لاسباب مادية او فنية ، عن نقل المشاهد الطبيعية ، على حقيقتها ، فتعمد الى الديكور كالمسرح. فعلى ضوء هاتين الظاهرتين نجد ان المسرح والسينما يتساويان في كثير من الاحيان ، بل قد يمتاز المسرح عن السينما في اصالة الاداء ؛ ويبقى تفوق السينما منحصرا في التقنية التي تمتلكها ، وسرعة تنقل الافلام، وانتشارها .

على ان سارتر عندما يجعل من السينما المسؤول الاول ، عن الاتجاه المسرحي الجديد ، اتجاه « اللامعقول » ، فانه يقصد بالذات ان السينما جعلت المسرح « يفكر في امره » ويعي عجزه . فأصحاب هذا المسرح « يريدون ان يجعلوا من عدم كفاية المسرح نفسها ، ادوات للتواصل » ومن هنا فالمسرح «النقدي» كما يسميه سارتر « يقوم على ثلاثة ضروب من الرفض وهي : رفض السيكلوجيا ، ورفض العقدة ، ورفض الاتجاه الواقعي » واضح هنا ان السينما في اغلب اعمالها الناجحة تعتمد كل ما يرفضه هذا المسرح الحديث ، من سيكلوجيا ، وعقد ، وواقعية . والاسس الرفضية التي ينبني عليها هذا المسرح ، تجعلنا نفهم الى اي حد جعل من نقصانه شروط كماله . فهو بحكم نشأته لا يقبل السيكلوجيا باعتبارها تعقلا للمواقف والشخصيات ، وهو لايقبل الواقعية ، لان الواقعية ما هي الا اتباع خطة معينة في معالجة الموضوعات ، ثم هو بالطبع يرفض العقدة لان العقدة هي قمة التأليف العقلي . واذا امكن للسينما ان تجاري المسرح في نقطة من هذه الثلاث فهي عاجزة ، عن مجاراته فيها جميعا، دفعة واحدة ، وفي عرض واحد . والمسرح «النقدي» عندما يرفض الواقعية والعقدة والسيكلوجيا ، انما يشرك المتفرج او القارىء في العمل المسرحي . فالمتفرج « مؤلف بالقوة » ولكن المسرح النقدي يجعله مؤلفا بالفعل ، انه يدفعه ليقوم بدوره ، فتنتهي المسرحية ، وعليه ان يبحث لها عن عقدة ، ويربطها بالواقع الذي يشاء ، يصبها في السيكلوجيا الملائمة . ولعل هذا ما يثير قولة بيكيت عندما سئل عن « جودو » من هو؟ فاجاب بانه لو عرف ذلك لقاله في المسرحية . فبيكيت هنا يظهر نفسه – حتى وان لم يكن في حقيقته كذلك – كاي قارىء او متفرج عادي ، يستغلق عليه فهم الرموز التي تشير الى شخصياته ، وكان عليه بدوره ، اذا اراد ، ان يعرف من هو « جودو » الذي ينتظره الجميع ، ان يبذل الجهد اللازم ليخرج من مستوى المتفرج الذي هو مؤلف بالقوة ، الى مستوى مؤلف بالفعل . والتناقض الذي يعتمد عليه المسرح « النقدي » ، هو المظهر الذي تتجلى به ، جدة مسرح اليوم . سواء كان التناقض مرجعه اللغة ، ام نسبية الاحداث . والمتفرج عندما يشترك في معالجة هذا التناقض ، انما يقوم بأول ما يتطلبه المسرح الكامل

كمـا يقـول « ارتـو Artaud » ، او المسـرح الحـق .

موقف سارتر اذن واضح من مسرح اللامعقول، انه ينظر اليه من زاويـة وظيفيـة ، واذا هو مسرح نقدي . والنقدية تستلزم اعترافا مزدوجا بالواقـع . اعترافا بواقع منقود ، وقد يكون هذا اعترافا سلبيا . اما الجانب الايجابي من النقدية ، فهو الاعتراف بالواقع المنشود ، مهما يكن هذا الواقـع تصورا خياليا ، او مثاليا ، او مرتبطا بمعطيات عملية مباشـرة . على ان هذا الوجه الثاني من النقدية ، اي الجانب الايجابـي ليس من الضروري ان يكون جاهزا ، كمنوذج مجسد، وخاصة في الادب ، الا ان ما يكون واضحا في جميـع الاحوال ، هو تبرير الاحداث ، فهذا التبرير بقـدر ما يوضح العوامل التي تجعلنا ننتقد شيئا ما ، فهو اشارة الى ملامح الشيء الذي نود اعتباره بدلا مما هو منتقد، مهما يكن هذا الشيء غير واضح في تفاصيله . ويتضح من كل هذا ان النقدية ، تجري في كافة مراحلهـا على مستوى العقل اي انها عملية عقلية بالمعنى الشامـل للعقل ، المعنى الذي لايخرج من نطاق العقل ، ما مـن شانه ان يعتمد على اسس عاطفية او انفعالية . فهـل تتوفر النقدية بهذا المعنى في مسرح اللامعقول ؟ قـد راينا ان سارتر في حديثه عن هذا المسرح اثبت انـه ينبنـي على ثـلاث ضروب مـن الرفض فيرفض السيكلوجيا ، والعقدة ، والواقعية . ويقول سارتـر بأن هذه المستويات من الرفض ، رفض العالم ، توضح ان المسرح الحديث لا يحتوي على شيء مـن العبث L'absurde وانما هو ، بواسطة النقد ، يرجع الى المهمة الاساسية للعمل المسرحي ، والتي هي « الانسان كحدث ، الانسان كتاريخ في الحدث » ففكرة الحـدث هنا تسلمنا الى المجسد . الانسان حدث مجسد علـى الخشبة . لكن الحدث كما يقول « كلود برنار » ليـس شيئا في حد ذاته ، وقيمته تأتي من الفكرة التي ترتبط بـه . والفكرة الحدثية هنا هي التاريخ . وعندما يبرز الانسان على شكل حدث فهو فقط حلقة من التاريـخ المتصل . وهذا بالفعل ما تلح عليه كثير من اعمـال اللامعقول ، بحيث يشعر المتفرج او القاريء منذ الوهلة الاولى ، انه يحيا مع الشخصيات في التاريـخ ، انـه لا يشعر ببداية المسرحية ، ولكنه يجد في اغلبها ، تابعـا لتاريخ سابق . فهو منذ الوهلة الاولى ، امام انـاس « ينتظرون » بالفعل ؛ او هو امام نتيجة « اللعبـة » ، اناس او بقايا اناس ، تعمهم الحيرة والعمى والشلل . . ففكرة الانسـان ـ الحدث ـ واضحة جلية ؛ وهو حدث يحمل في ذاته تاريخا خاصة يغلفه التاريخ الكلي . ومن هنا تبدا معالم النقدية التي ينسبها سارتر الى مسرح اللامعقول : انها نقدية تاريخية . نقدية تقف عند كشف الاحداث ، وتمحيصها . والوقوف عند هذا الحد مـن الاحداث ، هو ما لا يرضي الذين ينسبون العبث الى هذا المسرح ، ما دام هذا المسرح في مبدئه ، لا يبـرر الاحداث ، وبالتالي لايستشف من نقديته ، شيء مـن معالم البديل ، التي يرمي اليه ، بعد الانتقاد . والواقع ان هذا المسرح لو حاول التبريـر ، لناقض مبادئـه الاولى ، وهي رفض الواقعية واظهار التناقض الـذي يغمر الانسـان . فموقفه اذن محدود منذ البدء ، وهـو الوقوف عند الجانب السلبي من النقدية ، اي الاكتفاء بالنقدية التاريخية ، التي ليست الا مرحلة ، من عملية النقد الكاملـة . فاذا اضيف الى هـذا ، ان مسرح اللامعقول ، حتى فيما يقف عنده ، يعتمد بدءا ، عجـز اللغة عن تحقيق التواصل ، ادركنا الى اي حد يبـدو موقف الذين يرمون هذا المسرح بالعبثية ، منسجمـا مع معطيات هذا المسرح ذاتـه . فالعبث في الفكـر الحديث ، والوجودي خاصة ، يعني الغربة المتبادلـة بين الانسان والكون ، والانـا والآخـر . هذا المعنـى هو الذي يتجلى عند كير كجارد ، وهيدجر ؛ وعنـد كامو بوجه اخص . اما عند سارتر فالعبث بصفة عامة يعني ما ليس له معنى او اللامعنى Le non-sens

من كل ما تقدم ، يبدو واضحا لماذا يعتبر سارتر مسـرح اللامعقول نقديا ، بينما يـرى فيه الآخـرون عملاعبثيا . فسارتر لا يجد في هذا المسرح «اللامعنى»، حتى وان كان معناه فقيرا من الوجهة النقدية ، يقـف عند اولى الدرجات ، بينما غيره لايقتنع بذلك ، ويشترط في النقدية ان تكون تامة مبررة هادفة ، او بعبارة اوضح: ان هؤلاء يريدون بدلا من النقدية التاريخية ، نقديـة واقعيـة .

لا نريد ان نتعسـف ، فنتحيز لسارتر او لخصومه فذلك يتطلب دراسة الكثير من اعمال اللامعقـول ، واحدا واحدا بعناية ، اذ من الصعب ، ان يحكم المـرء بانها جميعا تخضع لمفهوم واحد ، نقديا كان ام عبثيا . وهذا ما تدل عليه بعض اقوال كتاب اللامعقول انفسهم . فبيكيت نفسه عندما يسأله البعض عن « جـودو »

1) مؤلف مسرحي ، وممثل فرنسي توفي سنـة 1948 وقد قاد ثورة على المسرح التقليدي من اعتمـاد على اللغة والبيان ودعـا الى تجديد في اساليب الديكـور والاخـراج عمومـا .

من هو ؟ يجيب بانه لو عرف ذلك لذكره فى المسرحية! بينما فى احيان اخرى ينطلق فى الحديث عن بعض مسرحياته وكأنما ينظمها ناظم المنطق والنقد . ولا يمنع هذا من ان تكون ميالين مبدئيا الى اعتبار الجانب العبثي فى هذا المسرح ، وذلك بالنظر الى المباديء التي اعتمدها هذا المسرح ، وانطلق منها .

* * *

تدعونا هذه المناقشة لمسرح اللامعقول بين النقدية والعبثية ، الى القاء نظرة على هذا المسرح ، كما تجلى فى الادب العربي ، وعند توفيق الحكيم خاصة . فالمعروف ان مسرحيات توفيق الحكيم هي من النوع الذي يقرأ اكثر مما يمثل ، اي انها من المسرح الذهني فى اغلبها . وبالاضافة الى ما يمتاز به هذا النوع من التاليف من نظرة انسانية ، فانه يمتاز بانه يستقطب مشاكل متافزيقية واخلاقية . وقد اختار الحكيم لهذه المشاكل الاطر المناسبة لابرازها . فكان جل عمله ، يدور حول القصص الديني او الشعبي او التراجيدي اليوناني (اهل الكهف ، شهرزاد ، بيجما ليون ...) لان هذه الالوان تحفل بمعاني الاسطورة ، التي لا تضيق باي بعد انساني كما تضيق بذلك ، كثير من الحكايات المحلية . وكان الحكيم فى كل ذلك متأثرا بالموجة التي عمت الادب الغربي خاصة فى الفترة التي يدرس فيها ، فى فرنسا ، وتمتاز بالتفتح على كنوز الشرق الادبية والخلقية .

لن ندعي بان هذه الموجة وحدها هي التي جعلت الحكيم يتجه الى استلهام الفكر الشرقي ، فله من طبيعته الشرقية ، ما يغنيه عن ذلك . الا ان المؤكد انه تاثر بها ، فى الاتجاه الذي جعله يضفي على شخصيات الماضي ، رموزا تتصل بحياتنا الحاضرة . وهو لم يتاثر بالوسط الادبي ، اذ ذاك فى الشكل فحسب ، بل فى المضمون . فمسرحياته متماسكة ، مبنية على اسس منطقية صحيحة . وهذا ما يسمها بالعقلانية التي كانت تشكل النموذج المقبول فى الاعمال الادبية والمسرحية خاصة ؛ الا ان الحكيم ما لبث ان انحرف عن هذا الاتجاه العقلاني ، فى اعماله الاخيرة: (ياطالع الشجرة ، رحلة قطار ، الطعام لكل فم ...) ويقول توفيق الحكيم عن هذا الاتجاه الجديد « .. كان اتجاهي اليه مع المتجهين من عشاق المسرح الحديث، فى العالم يومئذ ، غير اني تحولت به التحول الذي يناسبطبيعتي وحالة المجتمع الذي نشأت فيه ... » فكيف امكن لتوفيق الحكيم أن يقفز من العقلانية المتطرفة الى اللامعقول ؟ هذا السؤال بالضبط ما يلقيه الاستاذ سعد الله ونوس (مجلة المعرفة عدد كانون الاول 1964) ويذهب كاتب المقال الى ان الخاصيتين اللتين تطبعان مسرحية الفترة الاولى عند الحكيم هي انها ذهنية ، وانها مستقاة من الفكر الشرقي والصراع بين الشخصيات ينشأ عن مواقف عقلية ... ويستخلص الاستاذ ونوس ان هاتين الخاصيتين ، وكذلك الجدل الفكري ، توجد بوضوح فيما يسمى باللامعقول عند توفيق الحكيم . والواقع ان توفيق الحكيم نفسه فى مقدمة « يا طالع الشجرة » ، يذكر انه فى مرحلته الجديدة ، لم يزد على ان استلهم الادب الشعبي كما سبق له ان فعل فى « شهرزاد » .. ويرى الحكيم ان الخلط الذي نجده لاول وهلة وحسب النظرة السطحية ، فى الادب الشعبي ، ليس الا وسيلة تلقائية من وسائل تعبير هذا الادب ، مشحونة بطاقات فنية صالحة للاستلهام . واذا كانت خصائص المرحلة العقلانية عند الحكيم ، توجد بتمامها فى المرحلة التي اطلق عليها اللامعقول عنده ، فان هذا المسرح عنده يختلف عن كتاب اللامعقول فى الغرب . فبينما لا تنبيء كثير من اعمال اللامعقول عند هؤلاء عن شيء من المعنى ، فان اعمال توفيق الحكيم – كما يرى الاستاذ ونوس بحق – لاتزال على النمط «العقلاني» غير انها هذه المرة تطهرت من التجريد ، ومن التقابل العاري الذي يسرق من العمل ظلاله وايحاءاته واعماقه » وهو شكل يغني كثيرا هذا المضمون ، ويملؤه بالايحاءات . والواقع ان الحكيم نفسه ، سجل تراجعا عن تسمية مسرحه الاخير باللامعقول فهو يقول: « ... فانا لست من هذه الطائفة ، ان ما يصدر عني، انما يصدر تحت سيطرة عقلي ، غير اني اعتقد ان عقلنا البشري ، له من سعة الافق ما يسمح لنا احيانا ، أن نخرج عليه لنتأمله ، وندرسه عن بعد . » وهكذا يكون بالامكان بعد اعمال الفكر ، وخاصة لمن نهل من مسرح الفترة الاولى للحكيم ، بالقدر الكافي ، ان يصل الى اعماق مرحلته الاخيرة فيجد فيها نفس الخصائص ، ونفس المتعة العقلية المعهودة او اكثر .

لنعد الآن الى ما اوردنا عند مناقشة العبثية والنقدية فى مسرح اللامعقول عند جيني ، وآداموف ، وبيكيت ، واونسكو ، وهم الذين ركز عليهم سارتر ، فنجد خصائص النقدية بمعناها العقلي الذي يعتمد التبرير ، والنظم المتماسك ، مهما يكن الشكل الذي يضم محتواها تتوفر بشكل واضح فى مسرح توفيق الحكيم ، وحينئذ اذا امكن ان تنسب العبثية الى مسرح اولئك ، فهي ابعد ما تكون عن مسرح الحكيم .

الرباط : ربيع مبارك

معرض الكتب :



حول كتاب :

صفحات مغربية للدكتور نقولا زيادة

(من منشورات دار الطليعة في بيروت غشت 1966 - 376 من القالب الكبير)

تقديم وتعليق الأستاذ محمد حجي

الدكتور نقولا زيادة من اخواننا علماء المشرق القليلين الذين يهتمون بقضايا الجناح الغربي لبلاد العروبة . وهو علم غني عن التقديم ، تعرفه من خريجي جامعة لندن ، يعمل استاذا للتاريخ العربي الحديث ، ورئيسا لدائرة التاريخ والآثار بالجامعة الامريكية في بيروت . لا يستأثر به كرسي الجامعة ولا يصرفه عن الانطلاق في اجواء فسيحة . يتجلى ذلك في محاضراته ، وبحوثه العديدة في مجلات الشرق والغرب ، ومؤلفاته التي بلغت لحد الآن خمسة وعشرين ، باللغتين العربية والانجليزية . عرفت السنة المنصرمة منها مؤلفين اثنين ، هما : **دمشق في عصر المماليك ، وصفحات مغربية .**

هذا الكتاب الاخير هو الذي سنحاول التعرف على بعض محتوياته . وهو كما قال المؤلف في كلمة التصدير « مجموعة مقالات ومحاضرات واذاعات اعدت في مناسبات متفاوتة في الزمن ، متباينة في الحاجة . فأولاها ترجع الى اواخر سنة 1951 ، وآخرها وضع في سنة 1965 ؛ بعضها نشر في دوريات علمية والبعض الآخر نشر في الصحف والمجلات ، ومنها ما لم ينشر وانما اذيع . ومن ثم فهي مختلفة في الحجم . وبسبب تباعد الزمن في كتابتها ، وتنوع الحاجة التي كتبت من أجلها ، فقد تفاوت الاسلوب فيها بشكل واضح ...»

نعم تضم **صفحات مغربية** 42 فصلا تتناول تاريخ المغرب العربي بأقطاره الاربعة : ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب . نال المغرب الاقصى منها 12 فصلا . نقرا في القسم الاول تراجم المنصور الذهبي ، والمولى اسماعيل ، والحسن اليوسي ، ومحمد بن زاكور ، وابي القاسم الزياني ، ومحمد أكنسوس . وفي القسم الثاني المخصص لرحلات حديثة نجد وصفا لاطلال وليلي الرومانية ومقارنتها بآثار بعلبك في الشام . وفي القسم الثالث المعنون بكتب من المغرب العربي ، نقف على طرف من ادب شنقيط ، فيه مقطعات لبعض ادباء هذا الاقليم المغربي ، ونصوص من كتابي **الوسيط في ادب شنقيط ، وشعراء موريطانيا .** ثم تعليق على كتابي الاستاذ عبد الله كنون : **النبوغ المغربي ، واحاديث عن الادب المغربي الحديث .** اما القسمان الاخيران من الكتاب ، المترجمان بقضايا مغربية ، وفي الحياة الفكرية والادبية المعاصرة ، فليس فيهما الا فصل واحد عن جامعة الرباط والتعليم بالمغرب .

هكذا نتبين — ولو من بعد — الغرض النبيل الذي قصد اليه الدكتور زيادة من تعريف مواطنيه عرب المشرق باخبار اخوانهم عرب المغرب ، محاولا ان يستقصي — في نتف يسيرة — تاريخ اربعة عشر قرنا لهذا القطر الشاسع الممتد من تخوم مصر حتى المحيط الاطلنطيقي .

« سهم أصاب وراميه بذي سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرماك »

اذن لابد من الاختصار والاختيار . واذا كان لاحق لاحد فى ان يحشر انفه فى هذه العملية التي تختص بالمؤلف وحده وتخضع لتفكيره وذوقه ، فان من حقنا نحن المعنيين بالامر — واظن الدكتور متفقا معي فى هذا — ان نحرص على ان يكون الحديث عنا فيما وقع عليه الاختيار سليما لا تشوبه شائبة . لذلك رايت ان اقف وقفة قصيرة امام بعض النقط التي استلفتت نظري اثناء قراءة **صفحات مغربية** دونما تصنيف او استقراء ...

فى ترجمة المنصور الذهبي ، وهي اطول واهم ترجمة فى الكتاب — نحو 20 صفحة — تعترضك هذه العبارة المشوشة : « ظلت شواطىء المغرب الشمالية والشمالية الغربية موضع نزاع ومنافسة بين الاسبان والعثمانيين (1) » . وكلنا يعلم ان شواطىء المغرب فى تلك الجهات لم تكن قط موضع نزاع بين الاسبان والعثمانيين . اذ لم يكن الاسبان يحتلون من شواطىء المغرب على عهد الملك البرتغالي سبستيان — وهو العهد الذي يتحدث عنه المؤلف — سوى مدينة مليلية . ولم يملك العثمانيون قط اي ثغر مغربي ، اللهم الا ما كان من التجاء الاخوين عروج وخير الدين اثناء اغارتهما على الاندلس الى حجر باديس . وهي — آنذاك — جزيرة صخرية صغيرة بالقرب من الشواطىء المغربية بين مليلية وسبتة . ولكي يؤمن الاسبان شواطئهم من اغارات الاتراك سعوا الى احتلال حجر باديس ، وقاموا ضدها باغارات بحرية متكررة لقيت مقاومة عنيفة من طرف السكان المغاربة — حسب المصادر الاوروبية نفسها — ولا ذكر اطلاقا لاشتراك الاتراك فى تلك المعارك من قريب او بعيد . وليس هناك الا تهمة باطلة — من جملة تهم كثيرة — رمى بها بعض المغرضين من المؤرخين الاوروبيين الملك السعدي ، ورددها مؤلفنا بقوله : « فقد استعدى الغالب الاسبان على الاتراك (2) » .

وفى الحديث عن مقدمات معركة وادي المخازن ذكر المؤلف « ان يوحنا الثالث ملك البرتغال (1521 — 1557) تخلى عن المناطق التي كانت بلاده قد احتلتها على شاطىء المغرب لانصرافه الى العمل البعيد .. وخلفه على العرش سبستيان (1557 — 1578) الذي اراد ان يعيد امجاد اسلافه فى المغرب ، فكان يرنو الى تلك البلاد بنظره ، دون ان يقوم باي عمل .. » (3) حتى استعان به محمد المتوكل فلبى النداء . والواقع ان البرتغاليين لم يتخلوا عن بعض الشواطىء المغربية زهدا فيها وانصرافا الى العمل البعيد ، وانما اضطروا الى ذلك اضطرارا بعد ان فتح السعديون ضدهم واجهتين حربيتين ، اولاهما فى بلادعبدة بقيادةاحمدالاعرج، والاخرى فىسوس برآسة محمد الشيخ . وجرت فى بلاد حاحة والشياظمة من عبدة معارك طاحنة طوال سنتين (923 — 924 / 1517 — 1518) بين الوطنيين المجاهدين ، والبرتغاليين ومن انضم اليهم من المارقين بقيادة يحيى بن تعففت . فكان الانكسار البرتغالي الاول بعد ان هلك كل من حاكم آسفي Lopez Barriga والقائد يحيى ابن تعففت ، واحتمى الباقون بالاسوار منتقلين بذلك من طور الهجوم الى طور الدفاع . وطال امد المعارك فىسوس 25 سنة (923—948/ 1517 — 1541) وتعددت الوقائع بين السعديين والبرتغاليين ، كانت الحرب فيها سجالا بين الفريقين ، الى ان تمكن البطل محمد الشيخ يوم 12 مارس 1541 من تحطيم قوى الاحتلال فى حصن فونتي (اكدير) والقاء من تخطته المنية من المنهزمين الى البحر ليتشبثوا بالمراكب البرتغالية المبحرة الى غير رجعة . فكانت الضربة القاضية على سياسة التوسع البرتغالي فى المغرب واصدرت لشبونة الامر بتجميع قواتها فى البريجة (الجديدة الحالية) ، وطنجة ، وسبتة . والانسحاب من آسفي ، وآزمور، والعرائش والمعمورة . وقد اعترف بتبخر احلام المستعمرين البرتغاليين وحبط سياستهم العدوانية فى المغرب حتى المتعصبون من مؤرخي الافرنج (4) . ثم ان سبستيان الطامع فى استعادة ما خسرت بلاده فى المغرب لم يبق (بدون عمل) ينتظر محمد المتوكل ان يستنجد به ، بل صرف همه الى اعادة الكرة على المغرب منذ ان امسك بيده زمام الامور . قبل ان يتصل به المتوكل باربع سنوات — بحملة تمهيدية فى المغرب حيث اقام بضعة اشهر فى سبتة وطنجة ، واشترك فى مناوشات حربية مع المجاهدين المغاربة ببلاد الهبط ، تكشف له عن شدة مراس هؤلاء واستماتتهم فى الدفاع عن حوزة الوطن . فاخذ

---

1) صفحات مغربية ، ص 56 .
2) المصدر السابق فى نفس الصفحة
3) المصدر السابق ، ص 57 .
4) انظر مثلا : H. Terrasse, Histoire du Maroc, 2 : 162-164

ـ منذ ذلك الوقت ـ بعد العدة ويجري الاتصالات السرية والعلنية مع امراء اوربا الصليبيين في ايطاليا وسويسرا والمانيا والبلاد المنخفضة ليزوده بالسلاح والمقاتلة . ثم رجع اليه سفيره Nuno-Alvares Pereira من بلجيكا بـ 4000 من اقوى الجنود المدربين و000 25 قنطار من مسحوق البارود ، و7000 بندقية من مختلف الانواع ، مع الاف مؤلفة اخرى من القذائف وفتائل المدافع ... و6000 برميل من الدقيق ، و3000 قنطار من الجبن ، و4500 قنطار من اللحم المملح (5) .

اما ما ورد بعد ذلك من ان سبستيان « خرج في صيف 1578/986 من البرتغال واحتل طنجة واصيلا دون صعوبة (6) » . فان الامر لايتعلق باحتلال جديد ، بل بانزال الجند فقط . واذا كانت طنجة في يد البرتغال منذ عام 1464/869 ، واصيلا منذ عام 1471/876 .

واذا انتقلنا الى عهد المنصور نفسه فاننا نجد المؤلف يذكر اثناء شرح سعة سلطانه ويفصل في فتوحاته باقطار السودان ، وما كان منها بطريقة الحرب اولا فيقول : « اما توات وتيكورارين وبورنو فقد كتب المنصور الى اصحابها فقبلوا طاعته (7) » وهنا اولا خلط بين توات وتيكورارين المنطقتين الصحراويتين المغربيتين ، التابعتين اليوم لحكومة الجزائر بعد ان اقتطعتها فرنسا في جملة ما اقتطعت من المغرب على عهد الاستعمار ، وبين بورنو المملكة السودانية القديمة الممتدة من حدود مملكة سونكاي غربا حتى بلاد النوبة بتخوم مصر شرقا . ويحمل حتى اليوم جزء منها هذا الاسم (بورنو ـ كانيم) ويكون اقليما في شمال جمهورية نيجيريا . على ان المنصور ـ حقيقة ـ لم يجلب على بورنو بخيل ولا ركاب ، وانما بايعه ملكها ادريس الوما عن طواعية واختيار ، بعكس الحال في بلاد توات وتيكورارين التي كانت قد انفت من الخضوع الى السلطة المركزية منذ ان فشلت ريح المرينيين والوطاسيين ، فجرد المنصور كتائب متعددة لارجاعهما الى الطاعة ولا ، ثم للقضاء على المتطعين من الرؤساء فيهما بعد ذلك(8).

واثناء الحديث على علاقات المنصور بالدول الاجنبية ، وبخاصة الاوربية منها ، ورد في **الصفحات** ان الانجليز نشطوا حينذاك في معاملاتهم التجارية مع المغرب « وكان المنصور قد ادخل قصب السكر وعصره الى البلاد بحيث صار المغرب من البلاد التي تزود اقطارا كثيرة بحاجتها من السكر .. (9) » . والحقيقة ان المغرب عرف ازدهار صناعة السكر وزراعة قصبه الجيد قبل المنصور ودولته ، بل وقبل الدول التي سبقتها من وطاسية ومرينية وموحدية . وهذا الجغرافي البكري يذكر في **المسالك والممالك** ماكان في القرن الخامس الهجري (11م) من توسع في زراعة قصب السكر باقليم سوس ، ووجود السكر بكثرة في مدينة ايغلي السوسية حيث يباع بسعر مثقالين للقنطار ، ويستطيع الانسان ان يحمل منه ما شاء مقابل ربع درهم فقط . وفي القرن التالي (6هـ/12م) يؤكد هذه الحقيقة الادريسي في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، ويقول عن قصب السكر المزروع آنذاك بسوس انه لا مثيل له في غير ذلك الاقليم ، سواء من جهة حجمه الغليظ او غزارة عصيره ، أو من جهة مذاقه المتميز بحلاوة فائقة . وحتى لو قصرنا الحديث عن الدولة السعدية ، فاننا نجد مؤسسها محمد الشيخ يعنى بمزارع السكر ومصانعه في السوس بمجرد استيلائه على حصن فونتي من يد البرتغال وتطهير الشواطىء الجنوبية من المحتل الدخيل . وقد احتكر هذه المادة الثمينة وجعل منها احدى ركائز نظامه الاقتصادي الجديد .

وبخصوص ما ورد في **الصفحات** من تهيب المنصور من الاسبان ، وارتيابه من مقام الناصر بن عبد الله الغالب عندهم ، فلم يستجب لرغبة بريطانيا في التحالف معه « الى ان كانت سنة 1588 اذ انكسر اسطول اسبانيا الارمادا في مهاجمته لانجلترا ، فاضعف ذلك نفوذ فيليب ، وجرب فيليب حظه باطلاق الناصر ففشل امره . عندئذ قبل المنصور بان يهاجم اسبانية مع انكلترا على ان يقتسما الغنيمة .. (10) » الواقع ان التحالف بين المنصور وايليزابيث تحقق قبل هذا التاريخ ، بل ان الفضل في انتصار الانكليز على

---

5) انظر في هذا الموضوع : H. de Castries, Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France, 1re Série, 1 : 407...
6) صفحات مغربية ، ص 57 .
7) المصدر السابق ، ص 62 .
8) انظر كتاب (مناهل الصفا) المطبوع في تطوان سنة 1964 ، ص 36 وما بعدها .
9) صفحات مغربية ، ص 65 .
10) المصدر السابق ، ص 66

اسطول الارمادا الاسباني يرجع الى المساعدات المادية المهمة التي تدمها الملك السعدي لحليفته ملكة انكلترا. وعلاوة على الرسائل الكثيرة في الموضوع التي تزخر به مجموعة **مصادر غير منشورة لتاريخ المغرب** — السلسلة الانكليزية — . فقد سجل هذه الحقيقة مؤرخ مغربي معاصر كان في نفس الوقت امين سر المنصور ووزيره ، وهو عبد العزيز الفشتالي في كتاب **مناهل الصفا** (11). على انه كان للمنصور في قضية ابن اخيه الناصر المقيم في اسبانيا تاكتيك سياسي آخر بالتشويش على فيليب بامكان اثارة المطالب بعرش البرتغال ضده (12) . وفعلا كان المطالب بالعرش الدون انطونيو ملتجأ الى البلاط الانكليزي ، وابنه كريستيان مقيما ببستان المنارة في مراكش طوال سنوات كانت الاتصالات السرية مستمرة بين المنصور واليزابيت في تحديد المبالغ المالية اللازمة لتهييء العدد والعدد من اجل الاجلاب على الملك الاسباني من الخارج والداخل . وحتى قضية الهند التي ظن المؤلف انها كانت السبب في صرف همة اليزابيث عن اسبانيا وجيرانها — المغرب ؟ — فان المنصور كان في الواقع مشاركا فيها مشاركة فعالة ، وتبادل في الموضوع مراسلات عديدة مع ايليزابيث ، لوضع الترتيبات الكفيلة بنجاح حملة مغربية — انجليزية لاحتلال الهندواقتسامها بين الامبراطوريتين البريطانية والسعدية . وقد املى هذا التعاون ضرورة ملحة باحتياج كل من العاملين الى الآخر في تلك العملية العسكرية العظيمة . فايليزابيث كانت بحاجة الى ذهب المنصور ، وهو لا غنى له عن اسطولها العتيد لقطع المحيطات . وطال الحوار بينهما في ذلك ، بسبب رغبة اليزابيت في الاستئثار بمباشرة الغزو على ان ينال العاهل المغربي حظه من الغنيمة بعد . ويأبى هو الا ان يشارك جنده جنبا الى جنب لمقاتلة الانجليز ، ويسند في احدى رسائله الاخيرة لملكة انكلترا وجهة نظره بان الجنود المغاربة اقوى على تحمل حرارة الهند من الجند الانكليز الناشئين في منطقة باردة ، وبان كثيرا من الهنود وجيرانهم يعتنقون الاسلام فلا ينفرون حينئذ من اخوان لهم في الدين . ويضيق المقام عن تعداد النصوص المعاصرة بخصوص مخطط المنصور في غزو اسبانيا واسترجاع الاندلس ، سواء من رسائل المنصور نفسه ، او من آثار المؤرخين والادباء الذين عاشوا في بلاطه ، ولم يكن ذلك وليد امنية عابرة (دغدغت) المنصور بعد ان مد اليه الخليفة العثماني يد السلم والصلح ، وسعت اليه الملكة الانكليزيةبالحلف والتعاون ، خلافا لما توهمه عبارة الصفحات .

ومع اعترافنا بان ترجمة ملك عظيم كالمنصور لا تفي بها صفحات معدودات ، فاننا نلاحظ غمطا بينا في جانب الرجل وفي جانب عصره الذهبي باختيار امثلة تافهة في بعض النواحي المهمة . فالطب بالمغرب آنئذ اجل من أن يستدل عليه بانقاذ محمد الطبيب حياة الملك المريض ، أو برسالة يشرح فيها المنصور لابنه طرق الوقاية من الوباء المنتشر . فلماذا لا يشار ولو في سطور الى وجود هيئة طبية عظيمة منظمة في مراكش ، يراسها ابو القاسم الوزير الغساني صاحب التآليف الخالدة ، **كالروض المكنون في** الحميات والاورام ، **وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار ، ومقتطف ريحانة الجيوب في العقاقير والعشوب** . والى جانبه عبد الغني بن مسعود الزموري مؤلف كتاب **الفائق المقيد في علاج الحصى بقول سديد** ، وابو القاسم الفشتالي صاحب **حافظ المزاج ولافظ الامشاج بالعلاج** ، وعلي بن ابراهيم الاندلسي صاحب الارجوزتين الطبيتين في خواص الخضر والفواكه ، وطبائع الاعشاب ومفعولها في مداواة مختلف الامراض ... وكذلك الشأن في علوم الفلك والهندسة والرياضيات التي اشار اليها المؤلف اشارة عابرة ، وكانها لم تعرف اذاك عشرات الجهابذة المتخصصين الذين غصت رحاب مجالسهم التعليمية في المساجد والمدارس ، وخلفوا مجموعة ضخمة من المؤلفات المفيدة ، امثال ابن حميدة المطرقي، واحمد بن التليتي ، والحسن المسفيوي ، وعبد الرحمن البعقيلي ، وعبد القادر الطليط وغيرهم . اما الادباء فما اكثرهم في ذلك العصر الزاهر . ونظرة خاطفة في **روضة الآس** التي اثبت فيها احمد المقري

(11) النسخة المخطوطة الموسعة ، ميكروفيلم المكتبة العامة بالرباط ، رقم 779 .

(12) من المعلوم ان فيليب ملك اسبانيا ضم اليه بلاد البرتغال وامبراطوريتها ، بعد هلاك سبستيان في معركة وادي المخازن بنحو ثلاث سنوات . وظلت البرتغال تابعة لاسبانيا زهاء 60 سنة .

اسماء الادباء الذين لقيهم فى مراكش وفاس ، وبعض آثارهم الادبية اثناء رحلته قبيل وفاة المنصور ، كافية للتعرف على مدى الثروة الادبية الضخمة فى المغرب آنذاك . وربما كان ابو الحسن الشامي الذي اختاره مؤلف الصفحات ثالث ثلاثة ، اقل ادباء ذلك العصر آثارا معروفة لدينا اليوم — ولو ان المقري ردد ذكره فى **نفح الطيب وأزهار الرياض** — . ونحن نعتز به (وبأصله الشامي) اعتزازنا بابن ميمون الغماري دفين جبل لبنان ، ونشير الى ان الاسرة الشامية عاشت فى المغرب قبل عهد المنصور بمدة غير قصيرة وما تزال حتى اليوم متفرعة فى فاس وغيرها من مدن المغرب ..

نجتزىء بهذا القدر لتعذر تتبع كل موضوعات الكتاب فى هذه العجالة ، ونود قبل ان نطوي الصفحات الى ان ننبه الى هفوات حول اعلام حرفت — ربما كانت المطبعة مسؤولة عن بعضها — مثل البريجة (كتبت البريغة) وابن عسكر (حذفت كافه) وعلى ابن محمد التمكروتي (كتب التامغروتي) وابو العباس ابن القاضي (اسقطت منه كلمة ابن) وخلفون (كتبت بالحاء المهملة) ... ونشير الى طريقة المؤلف فى الاتيان بنقول طويلة يضعها بين قوسين ولا ينسبها الى اصحابها (13) ، او يستعمل فى ذلك عبارات مبهمة كالنسبة الى احد المؤرخين (14) . او احد كبار المؤرخين الغربيين (15) . واذا كان ذلك من ضرورة المحاضرات الاذاعية — مثلا — فان الانسب أن تراجع قبل دفعها الى المطبعة لتخرج فى كتاب ، وتزود بهوامش تبين مصادر وأرقام صفحات النصوص المقتبسة ، ويعاد النظر فى الفصول المكتوبة قبل سنوات لتصحح على ضوء ما جد فى موضوعها : فاليوسي لم يحج مع (المعتصم ابن السلطان) وانما رافقه ابنه محمد اليوسي الذى كتب الرحلة الحجازية واتى فيها بنص اجازة والده الحسن اليوسي لاشهر علماء الازهر اذاك محمد الخرشي صاحب الشرح المشهور لمختصر خليل (16) . ولم يؤلف اليوسي كتابا فى الهيئة ، وانما وهم الاستاذ ببرك فى قراءة ترجمة اليوسي المكتوبة فى الصفحة الاولى من **القانون** المطبوع على الحجر بفاس فحرف **كتاب فى الهيللة** الى كتاب فى الهيئة (17) ، وتبعه مؤلفنا فى ذلك . كما تبعه فى عد **القصيدة الرائية** من الحكم الصوفية ، وهي رثاء الزاوية الدلائية (18) ، واعتبر ككتب فقهية **التعليق على شرح كبرى السنوسي ، ومشرب العام والخاص** ، مع أن موضوعهما علم التوحيد (19) ... ولعل اهم فصل كان من المؤكد مراجعته — بالنسبة الينا — هو المتعلق بجامعة الرباط والتعليم العالي فى المغرب . اذ هو يحتوي على أرقام لم تعد تعبر عن واقع التعليم العالي ببلادنا ، لاعتماده على احصائيات سنتي 1958 — 1959 . وكان بامكان المؤلف — وقد قضى شطرا من عطلة الصيف الماضي بالرباط — أن يحصل بسهولة على احصائيات جديدة ، وفيها يجد ان كلية الآداب وحدها تضم 2.581 طالبا وطالبة .

وبعد ، فهذه ملاحظات عابرة أوحت بها قراءة **صفحات مغربية** لا ترمي الى التعريف والتعقيب بقدر ما تستهدف اثارة همة الدكتور زيادة ، حتى يولي بلادنا اهتماما اكثر فى نشاطه العلمي ويخرج لنا كتبا أخرى عن المغرب لا تقل عمقا وطرافة عن مؤلفاته فى الموضوعات المشرقية .

الرباط — **محمد حجي**

---

(13) انظر مثلا صفحات 13 — 19 — 20 — 23 — 43 — 59 — 62 — 67 .
(14) ص 47 .
(15) ص 21
(16) ارجع الى كتاب **الزاوية الدلائية** ، ص 105 .
(17) المصدر السابق ، ص 102 . — هامش — .
(18) نفس المصدر ، ص 104 . هامش رقم 89 .
(19) **صفحات مغربية** ، ص 100 . والزاوية الدلائية ص 102 .



ذلكم هو عنوان الكتاب القيم الذي دبجته يراعة الاستاذ شفيق طباره ليسد به فى المكتبة العربية فراغا ملحوظ طالما احس به المعنيون بالدراسات الاسلامية ولا سيما اولئك الذين يتتبعون منهم سير العظماء من افذاذ العلماء واهل الفكر الذين كان لهم نصيب في حقل التشريع والنظم الدينية في العصور الاسلامية الاولى ، والكتاب الذي اتحفنا به الاستاذ طباره صدر مؤخرا عن مطابع بيروت ، ونحن في زمن تتوافر فيه المحاولات لجلاء الاصول التاريخية للمذاهب الفقهية التي تركت ظلالها العميقة على المجتمع الاسلامي في مختلف ادواره وعصوره

وان مثل هذه الدراسة المركزة لواحد من ابرز ائمة الفكر في الاسلام ، جديرة بان تلفت الانظار في زمن يتطلع به الناس الى الطريقة التي عالج بها هذا الامام العظيم المشكلات التي واجهت معاصريه فى القرن الثاني للهجرة ، وهي مشكلات تكاد تتكرر في كل زمان ومكان على نحو واحد وان اختلفت مظاهرها العابرة بين عصر وآخر .

فالجيل الذي عايش الامام الاوزاعي منذ حوالي اثنى عشر قرنا من الزمان يكاد لا يبتعد فى ظروفه واوضاعه عن الجيل الذي نعيش معه اليوم ، لان الانسان هو الانسان ، قد يتغير اطاره الاجتماعي ولكن نظرته الى الحياة والوجود تبقى دائما تابعة من تطلعه النهم الى اعتماد نظم يرتاح اليها ويطمئن الى جدواها فى تامين قاعدة منطقية تصلح للاستقرار والازدهار والسعادة .

وعلى هذا فان كتاب الامام الاوزاعي لمؤلفه الاستاذ شفيق طباره ليس غريبا عن الزمن الذي ظهر فيه بل هو متصل به اشد اتصال مما يجعله بحق احد كتب الموسم الفكرية التي تساعد الناس على ايجاد الحلول التي تمكنهم من تلمس افضل الوسائل في تنظيم شؤونهم الاجتماعية فى حياتهم ، والتغلب على ما يعترضهم من صعوبات ومتاعب وارتباكات

وليس من شك في ان الامام الاوزاعي ، كما يتفق اكثر النقاد الاجتماعيون ، ترك من الاثار والاراء ما هو جدير بان يتخذ منه المصلحون مبادىء معقولة لارساء المجتمع الراهن على قواعد مكينة من العدالة والتعاون

والانتماء الروحي ، بحيث يتاح له الانطلاق نحو الاحمد والافضل ولا سيما في حدود العلاقة التي يجب ان تقوم بين المواطن العادي والمؤسسات العامة وبين هذا المواطن نفسه وزميله في الارض والوطن والرابطة القومية بل والانسانية الشاملة .

ولنا في هذه العجالة المتواضعة في معرض الحديث عن سيرة الامام الاوزاعي وشخصيته وتعاليمه وءارائه ، فمثل هذا الحديث قد فصله المؤلف وتناوله في كتابه الموفق على نحو لا يترك مجالاً للطمع في زيادة او ايضاح ، اذ ان في صفحاته التي قاربت الاربعمائة من القطع الوسط ما يفي بالغرض ويحقق المقصود ، وانما الذي يعنينا الان ، هو تقديم الكتاب من خلال القيمة العلمية التي تحلى بها والروح البناءة التي رافقت جهود الاستاذ طباره فيما اخذ نفسه به وهو يؤلف كتابه . فلقد اعطى المؤلف الكريم موضوعه الطريف جاذبية خاصة جعلت القارىء يقبل عليه بشوق اكيد ورغبة كبيرة وهو على ثقة مما تقع عليه عينه واطمئنان الى ما يجد فيه من معلومات وحقائق ووقائع دون ان يراوده الملل او السأم او تطرف عينه رغبة ظاهرة او باطنة تدل على ان المؤلف يريد ان يتحول به الى غير الهدف العلمي الصريح الذي عبر عنه الكتاب نفسه من اول سطوره الى آخر كلمة فيه !

ولا يسعنا ونحن نتحدث عن الكتاب وصاحبه الا ان نربط بينهما وبين المحيط الانساني والاقليمي الذي يكتنفهما ونعني بهذا المحيط الواقع اللبناني بما له وما عليه من ملابسات تتدافع فيها التناقضات من كل حدب وصوب . وان هذه التناقضات هي من الكثرة والتداخل جعلت كثيرا من المراقبين يصرون على ان يدمغوا لبنان بما تواضعوا على تسميته بالطابع الخاص ، واني وان كنت لا اقر هؤلاء المراقبين على ما دمغوا به بلدي بصبغة مطلقة فانه يبدو لي ان هذا البلد لا يخلو بالفعل ، من سمات نفسية تجعله غير متكامل الشخصية الروحية فهو من هذه الناحية يفرض على الاقلام التي تعالج الموضوعات المتصلة بطبيعة تكوينه البشري الحذر ويجعلها مضطرة لان تاخذ بحسابها المضاعفات الانفعالية التي تتركها كل كلمة تقال او كل سطر يكتب

ومن هنا تبدو لنا حساسية الموضوع الذي تولى الاستاذ شفيق طباره كبره ولباقته في معالجة هذه الحساسية ، والتوفيق البعيد الذي اصابه المؤلف في هذا الصدد يحملنا على اعطائه قدره من التنويه والثناء واكبار الجهود المشكورة التي بذلها في كل فصل من فصول الكتاب وفي كل موضوع من موضوعاته ليأتي محققا للغرض منه لا في الاتجاه التاريخي فقط ، بل في الاتجاه الانساني والوطني كذلك !

اجل ، ان الاستاذ شفيق طباره الذي اضطربت جوانحه بالاعجاب العميق بعبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي كان حريصا على ان يقدمه لمواطنيه في بلده لبنان ، على انه بمواقفه من السلطان الحاكم ، وءارائه في النظام القائم ، مدرسة قائمة بذاتها شعارها الشجاعة والصراحة والكرامة وان الحق يعلو ولا يعلى عليه ليكون الامام اليوم كما كان في الامس البعيد اسوة حسنة لابناء الجيل الحاضر والاجيال الاتية فتكون الاوزاعية التي وسم بها مذهبه وصدر عنها في كتبه مرة اخرى في المكان الذي اباح لها من قبل ناصية البقاء والخلود على تقلب الايام والاحداث ، وتفرض نفسها من جديد عبر لبنان الى دنيا العروبة والاسلام ، ليس بقوة الحديد والنار ، ولا الارهاب والاكراه ، بل عن طريق المنطق السوي والحجة الدامغة والاسلوب الذي لا يشوبه زيف الرعاية الباطلة ولا بهتان التضليل الخادع ! ..

لقد كان الاوزاعي ، كما عرفناه من خلال كتاب الاستاذ طباره امة في رجل وهذا ما جعله في قومه وزمانه (امره اعز من امر السلطان) وناهيك بها من مكانة لا يرقى اليها الا العظيم الذي تكاملت في نفسه ثقة العالم وجراءة الرائد وزهد المومن . ولسوف تتعاقب على الارض دورة الافلاك قرنا بعد قرن والاوزاعي ثابت في مكانه من قمة الخلود . كرمز شاهق على الصلابة الراسخة في اعلان كلمة الحق في وجه الحاكم النافذ ايا ما كانت نتائج هذه الكلمة في شخصه او ماله ! ..

(يا امير المومنين ، رض نفسك لنفسك ، وخذ لها الامان من ربك ، ان الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقي الملك لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك من بعدك . واعلم يا امير

المومنين ان السلطان اربعة ، امير يظلف نفسه وعماله ، فذاك له اجر المجاهدين في سبيل الله ويد الله باسطة عليه بالرحمة . وامير رتع ورتع عماله ، فذاك يحمل اثقاله واثقالا مع اثقاله . وامير يظلف نفسه،ويرتع عماله، فذاك الذي باع آخرته بدنيا غيره . وامير يرتع ويظلف عماله ، فذاك شر الاكياس (يعني الاربعة) (... واعلم يا امير المومنين انك قد ابتليت بامر عظيم لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه ، فاعيذك بالله ان يخيل اليك ان قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لامره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا نفسيكما من الله ، اني لا اغني عنكما من الله شيئا ، وقد سال جدك العباس النبي امارة على مكة والطائف فقال له : يا عباس ، يا عم النبي ، نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها ، هي نصيحة منه لعمه ، وشفقة منه عليه.

ويتابع الاوزاعي عظته البالغة ويقول : ... (ان اشد الشدة القيام بالله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى ان من طلب العز بطاعة الله رفعه ، ومن طلبه بمعصية الله اذله ووضعه . هذه نصيحتي يا امير المومنين . ان قبلتها فلنفسك عملت ، وان رددتها فنفسك بخست ، . والله الموفق والمعين عليه .

... كلمات كأنها قدت من جبهة الاسد لا رياء فيها ولا ملق ، ولا زلفى ولا خور ، وانما هي الجرأة تضيق عن روعتها الحروف التي نظمتها في معانيها ، بها واجه امامنا الفحل ، خليفة عصره ابا جعفر المنصور الذي وطد بهيبته الاساس لملك بني العباس ، وهي كلمات لا يتطاول الى حمل تبعاتها الجسام في وجه ملك الانام الا من كان مثل الاوزاعي الامام في الانتصار للحق على الخلق كافة ، ولو كان فيهم ابو جعفر المنصور الذي خضب سيفه بدم قرن الطغاة في دولته ، ابي مسلم الخرساني الذي لولاه لما كانت لابي جعفر دولة تنمى الى جده العباس بن عبد المطلب في التاريخ ! ..

ويبقى الكتاب ، ما استمسكت في ايديهم قوائم الاقلام ، يتوهون بالموقف البطولي الحاسم ، الذي تصدى له الامام الاوزاعي في بلاط عامل العباسيين على الشام حينما استبدت بهذا الاخير ثورة الغضب على عملاء الاجنبي ممن دسهم البيزنطيون على اهل لبنان وكاد يصدر امره القاطع بطرد هؤلاء العملاء ومعهم من يمت اليهم بنسب القربى في العشيرة او الولاء بالمذهب لولا ان تداركه الاوزاعي امامنا الكبير باي من الذكر الحكيم كانت فيصلا بين قصاص المجرمين والعفو عن باقي الابرياء من المتهمين بذنب لم يقترفوه ! ..

فقد روى الواقدي عن سعد في طبقاته انه : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل الخراج في بعلبك ، فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قتل مقاتلهم واقر من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم .. واجلى قوما من اهل لبنان ..

وان محمد بن كثير حدث : ان الاوزاعي كتب الى صالح المذكور رسالة طويلة حفظ منها :

« .. وقد كان اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ، ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى . ان لا تزر وازرة وزر اخرى . وهو احق ما وقفت عنده واقتديت به . واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه ! .. »

مقالة اطلقها الامام الاوزاعي من وحي القرآن لتكون شرعة انسانية على اسسها قامت مؤسسات العدل في كل مكان .. العقوبة لنفس المذنب فلا يجوز ان تنقل منه الى غيره ، ولو كان ذا قربى او قرين الايمان والدين . ولكل عقوبة سبب ، فلا يقبل من حاكم ان يلتوي مع نزوة الهوى او ينزلق في ثورة الغضب ليدين قوما بسبب ما اقترفه سواهم الا اذا كانوا مظنة للاذى او ذريعة الى الفساد . هذا هو حكم الاسلام ، وما كان الامام الاوزاعي ليحض من حكم دينه في سبيل مرضاة اميره .

ولقد كان لدفاع الامام الاوزاعي عن ذمة المسلمين من نصارى لبنان ما بعده . اذ لولا هذا الدفاع الجريء عما شرعه الاسلام في علاقة المسلمين بمن يساكنهم من

اهل الكتاب ، هودا كانوا ام نصارى ، لولا هذا الدفاع لما بقي في هذه الرقعة من بلاد الشام ولا في غيرها من دار الاسلام تلك الاقليات التي يحاول الاجنبي ان يعيث في اوساطها فسادا وافسادا نكاية بالمسلمين وطمعا في بلادهم واموالهم ! ..

وبعد ان وقفنا على جرأة الامام الاوزاعي في اعلان حكم الدين مع غير المذنبين ولو كانوا ذميين كما وقفنا على انتصار صالح بن علي الوالي العباسي على نفسه التي عصفت بها شهوة الانتقام من الذين وضعوا سيوفهم في خدمة اعداء الامة والوطن ، وطأطأ راسه خاضعا لما شرعه الله من نظام لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

بعد ان وقفنا على هذا كله ، فانه لا تثريب علينا اذ نحن سرنا مع قافلة الزمن بضعة قرون من السنين لنرى ما ذا حدث في جبل لبنان بالذات على عهد الاحتلال الصليبي ، هذا الاحتلال الذي اتخذ من صليب الفداء ، عاصفة هوجاء ، دكت جميع ما صادفته امامها من معالم الحضارة والرحمة والانسانية باسم الرسول الذي كانت حياته كلها معالم حضارة ورحمة وانسانية ..

ان الصليبيين ما كادوا يطأون بيروت بعدوانهم الاثم سنة (1291م) وسيوفهم لما تستقر بعد في اغمادها، لم يجدوا في انكفاء امرائها البحتريين الى المشارف المحيطة بالمدينة من الجبال القريبة ، ما يبعث فيهم الثقة بالاستقرار اوضاعهم في البلاد العريقة ولم يطل تفكيرهم بحثا عن الوسيلة التي تبعد عنهم اسباب الخوف والقلق وتردهم الى روعهم لا يخافون ثورة المغلوبين ولا يتوقعون انتفاضهم ، وما كانت هذه الوسيلة لتختلف عما الف الغربيون من الوقيعة بالخصم عن طريق استدراجه الى حيث لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا المقاومة ، ثم البطش به والقضاء عليه حتى لا تقوم له من بعد قائمة تخشى او يحسب له حساب ، وهكذا كان !

وهنا اترك الاب (لا منس اليسوعي) يروي لنا الاسلوب الذي اختاره الصليبيون للتخلص من اصدقائهم (الالداء) بطريقتهم الخاصة ، حتى تاتي الرواية التاريخية من شخص لا ترقى الى عاطفته الصليبية شبهة ولا شك ! .. قال (لامنس) :

« تخيل الصليبيون طريقة موافقة اثرت دون شك في الشرقيين .. اعرف الناس بتقدير القوة .. ان امير باروت (2) (بيروت) كان يهم بتزويج احد ابنائه ، فدعا جميع الامراء المجاورين (كآل لمباربياك) سادة جبل (جبيل) وسادة (سايت) (صيدا) وذوي اقطاعاتهم ولم يكن من اللائق ان ينسى امراء الغرب (البحتريين) ولا يخفى ان اعراس الصليبيين كانت غاية من الابهة والفخامة . وقد لبت رجالات البلاد الدعوة وفي جملتهم امراء الغرب وكان لديهم السلاح الفاخر والخيول المطهمة ولم يكونوا ليتراجعوا عن التفاخر بها امام سادة (باروت) وسكانها فيتنافسون واولئك الفرسان لابسي الخوذ الفولاذية وحاملي الريش ، ملوك الفرنج .

فلما كان وقت العرس ، نزل الثلاثة (امراء ال بحتر) الى بيروت فانزلهم صاحبها في بستان بظاهر البلد واعتذر لهم عن ايوائهم خارج البلدة لكثرة ما اجتمع فيه من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم

ولما دخل الليل سالهم الحضور ، الى مجلس خاص قد هيء لهم ولملوك الفرنج فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفر قليل .. فكان اخر العهد بهم ... وركب صاحبها (باروت) بمن عنده من جموع الفرنج في صبحة تلك الليلة وطلعوا الى الحصن وكان خاليا من الرجال ، فهرب من كان به من النساء ، فنهبت الفرنج الحصن وهدموه والقوا حجارته في الوادي ولم يبقوا له على اثر واحرقوا القرى واسروا من تخلف .. اه »

هاتان واقعتان شهدت احداثهما ارض لبنان في عهدين متناقضين وجد في احدهما امام صادق الايمان بدينه فحال بين الحاكم وظلم اهل ذمته بينما لم يوجد في العهد الثاني من يتجرأ على الطغاة السفاحين فيردعهم عن الغدر بالامراء البحتريين الذين ذهبوا ضحية لباقتهم في تلبية دعوة ذلك الصليبي الذي لم يرع للضيافة حرمة وخفر بذمة اشخاص جاءوا يشاركونه افراحه ويزيدون من مقامه امام ابناء بلدته وعترة دينه ، بحضورهم زواج ابنه !

حكمنا فكان العدل منا سجية
فلما حكمتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما
كنا على الاسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل اناء بالذي فيه ينضح

ويكفي الامام الاوزاعي فخرا ان يكون اسمه اليوم في القرن الرابع عشر من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والقرن العشرين لميلاد المسيح عليه السلام ، ولعله سيبقى الى الابد عنوانا لا لبس فيه ولا غموض ، على ان الاسلام قدم للانسانية الفاضلة رجالا لايرتضون ان يجعل الحاكم من دينه مطية لاهوائه ، ولا يهولهم ان يجابهوا الظلم انتصافا لخصمهم حتى لا يؤخذ بما لم تقرف يداه نزولا عند حكم الله في شرعه وقرءانه ، لا يفرقون في ذلك بين ابناء دينهم او ابناء ذمتهم لان العدل والاحسان لايختلفان بين انسان وانسان . على اساس من لون او مذهب او جنس او لسان !

ولقد احسن الاستاذ طباره حين تناول سيرة الامام الاوزاعي من خلال المفاهيم الاخلاقية والشرعية التي تميزت بها حياة هذا العالم الكبير ، فلقد كانت هذه المفاهيم قاسما مشتركا اعظم في كل اقواله وتصرفاته واحكامه وبصورة اوضح كانت المثل الاعلى الذي يلازمه سواء بينه وبين نفسه او بينه وبين سائر الناس من حاكم او محكوم . وانه ليس من اليسير على المؤلف ان يقدم الشخصية التي يترجمها ، داخل اطار محكم من التوجيه الوطني السليم بحيث يتمكن من النفاذ الى اعماق هذه الشخصية حتى يخرج بها من مجرد تاريخ عادي الى ان تكون مدرسة قائمة بذاتها تاخذ بلب القاريء وتشد الى التأثر بها والانطباع بلونها حتى تجعله متجاوبا معها ومستجيبا لها وخاضعا لمعايشتها ، فلا ينتهي من قراءتها الا وهو سائر في تيارها السحري وقد التصقت روحه بروحها واصبح في عقله واحساسه الوجداني صورة واقعية عنها لا يكاد يتحرك الا بوحي من المعاني التي فرضتها عليه .

ومن يقرأ الفصل السابع من الكتاب الذي يتحدث فيه المؤلف عن ولاء المسلمين والمسيحيين عبر المسيحية والاسلام في لبنان ، من يقرا هذا الفصل الممتع ، فانه لا يستطيع الا ان يعترف للمؤلف البارع بالمقدرة العجيبة على اهتبال الفرصة لبث افكاره التقدمية القائمة على التقاء المسيحية والاسلام على صعيد الاخوة الصريحة والتعاون المتقابل والمصير المشترك ! ..

« وان مظاهر تلاقي المسيحية والاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصى ، وقد اكد الاسلام تبادل المنافع والمصالح بين الناس ودعا اليها فقال تعالى في كتابه الكريم : (انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..) وقال الرسول الكريم : (الناس بخير ما تعاونوا) ! ..

ويتابع المؤلف كلامه قائلا : ثم ان الاسلام قد اصطفى المسيحية صنوا ودعا الى تعاون وثيق بين المسلمين واخوانهم النصارى ، وفي القرءان ءايات بينات تشهد بحسن ايمان النصارى وجميل مودتهم ، يقول تعالى : « لتجدن اشد الناس عداوة ، للذين آمنوا ، اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ! .. »

الى ان يقول : « ولا ريب ان التعاون الاسلامي المسيحي في التاريخ العربي كان ظاهرة بارزة فاقت كل ظاهرة حضارية في غيره من الشعوب ، فاذا تعطلت في بعض احوال والعصور المبادي السامية التي كانت سائدة بين اهل الكتب السماوية وتبع ذلك قهر واضطهاد فان ذلك لا يعيب الأديان المنزلة بل يعيب اولئك الذين اساءوا الى روح الدين وقلب عليهم الجهل والتعصب فانصرفوا عن مكارم الاخلاق ناسين ان التعصب ليس من خلق الاديان . ان شعار الاديان السماوية كلها : الاخوة الانسانية ، فالمسيحية محبة والاسلام رحمة ... وقد كان الامام الاوزاعي في طليعة اولئك الهداة البررة الذين نشروا الفضائل وبشروا بالتآلف والمحبة والاتحاد بين فئات الناس المختلفة ... والتاريخ قد ذكر باعجاب واكبار فضائل الامام ومواقفه الباهرة في مثل هذه المجالات .

وهكذا يمضي الاستاذ شفيق طباره في كتابه «الامام الاوزاعي» في تصميم واصرار نحو قبس رسالة الحق الذي آمن بها الاوزاعي نفسه ، حتى ليخيل للقاريء ان

المؤلف قد استغرقته هذه الرسالة بفيضها الالهي حتى اصبح لا يعنيه من موضوعه الناحية التاريخية التقليدية المألوفة ، وانما هو معنى بالعقل بفرض اخلاقي اسمى وابعد ذلكم هي الوحدة الوطنية في قومه وعشيرته الاقربين بلبنان مع رغبة صادقة وامل مخلص في ان تتسع هذه الوحدة وتنتشر حتى تبسط ظلالها الوارفة ليس فقط على ابناء وطنه المعدودين بل على سائر البشر من كل جنس ومن كل لون ومن كل مذهب ليعيشوا جميعا في رحاب وحدة انسانية شاملة ، تصدر عن الخير وتسعى اليه ، لا تقفها النزعات الفردية والاقليمية بآفات الاثرة والعداوة والتحديات القومية . ولا تشدها الى التنافر والتخلف رواسب البهيمية الغشوم التي كانت تمسك بتلابيب وجود الانسان يوم كان اسير الخوف والطمع بين الصخور العاتية والادغال المظلمة ...

ويزكي المؤلف رغبته في تاليف القلوب واشاعة المحبة بين الانسان واخيه الانسان ، بكلمة رئيس احبار النصارى الكاثوليك في العالم البابا (بولس) السادس التي نشرها في صحيفة الفاتيكان (ديلو سير فاتوري رومانو) بتاريخ 3 كانون اول 1965 والذي يقول فيها هذا الحبر المسيحي الكبير :

« يجب ان لا يتجه اهتمامنا نحو التناقضات القديمة ان الحاضر والمستقبل يواجهاننا بمهمة وهدف رفيعين جدا ، وهما يستوجبان التخلي عن كل تنافر عقيم لبناء عالم اكثر عدالة وسلاما واخوة ... »

ويعقب الاستاذ طباره على ما ختم به البابا رسالته التاريخية بقوله :

1) « ان هذه الكلمات البليغة المقتطفة من رسالة قداسة البابا (بولس) السادس تستوقف كل انسان يفكر باخلاص ومحبة في تآخي الشعوب واقرار السلام العالمي ، وهي تدل دلالة واضحة على ان العلاقات بين الدين الاسلامي والدين المسيحي قد دخلت من باب النصوص الى عهد يذكرنا بالتسامح الذي كان سائدا بينهما في صدر الاسلام ، فليس على المؤمنين بهما بعد الآن الا الاتقاء في تصرفاتهم الى مستوى الرسالات السماوية القائمة على الهدى والمحبة والسلام ! .

اما بعــــد

فلست ازعم ان هذه السطور المحدودة جاءت كفاء ما يستحقه الجهد الكبير الذي انفقه الاستاذ شفيق طباره في وفاء الدين التاريخي الذي بقي عالقا بذمة اهل بيروت نحو الذي اتخذ من تراب بلدهم مثوى كريما يوم اختاره الله الى جواره . اجل ، ان للامام الأوزاعي في رقاب اهل بيروت فضلا عن بقية المسلمين ، حقا بقي معلقا الى ان ندب استاذنا نفسه ليحمل عن اهل بلده عبء هذا الواجب المقدس وجعل من المعلومات المتفرقة هنا وهناك في بطون الاوراق والاسفار كتابا كاملا قشيب الحلة موفور المادة تدعمه المصادر الموثوقة فيما يرويه من خبر او اثر ، ويزينه اسلوب انيق لا تنقصه العبارة السليمة ولا تعوزه الفكرة الجميلة ، وانه لكتاب تضافرت بين جنباته اسباب النجاح والتوفيق وقد ضم بين دفتيه اللتين تفصلهما ثلاثمائة وسبع وستون صفحة من متوسط القطع تفاصيل حياة الامام الاوزاعي ومذهبه التشريعي الذي قر به نظم الاسلام واهدافه كما شرح مواقف هذا الامام الاخلاقية والانسانية تحت ظلال السيوف التي كانت ما تزال بعد تشخب بدم الصراع المميت بين بيتين عريقين يتنازعان الملك والسلطان .

وخلاصة القول ان الاستاذ شفيق طباره قد استطاع ان يجعل من كتابه الذي نحن بصدده ، مرجعا لا يستغنى عنه في دراسة التشريع الاسلامي من خلال « الاوزاعية » التي استطاعت ان تفرض نفسها عبر المشرق العربي ومغربه حتى اقاصي الاندلس في عصر امامها نفسه . واستطاعت كذلك ان تثير فضول المفكرين اليها وان تكون حديث الناس في هذا العصر الذي صدر فيه كتاب الاستاذ طباره بعد فترة من الزمان طوت من تاريخ البشرية الفا ومائتين من السنين المضطربة بين التقدم والتخلف في حياة الانسانية .

ان الاستاذ شفيق طباره جعلنا نعيش معه في كتابه القيم « الامام الاوزاعي » برفقة امام عظيم ما تزال اراؤه في الكون والحياة والدين تشع بالجدة والطرافة كأنها احدى ظواهر الفكر الحديث في العالم المتمدن ، وانها لتراود اذهان رواد الاصلاح في دنيا العروبة والاسلام كلما حاولوا تنظيم المجتمع على اساس متين من الادراك والمنطق والواقع والامل في مستقبل افضل .

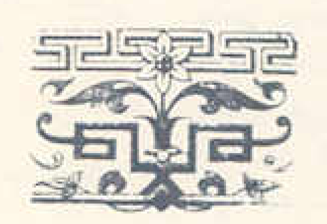
ولعلني استطيع ان اهتبل هذه الفرصة لاطمع في ان تحفز بادرة الاستاذ طباره اهل بيروت لان يساهموا في تخليد امام اهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي بما يبذلونه من عمل في احياء تراثه عن طريق مؤسسة فكرية راقية تكون منابة لاهل العلم من المسلمين وغيرهم ، كلما ارادوا معرفة الاسلام على حقيقته. والامل كبير في ان يعطي البيروتيون المثل الصالح في الوفاء لذكرى رجل منحهم دنيا وأثرهم في آخرته.

واذا كانت آثار الحجارة تدل على عراقة الامم التي شادتها على مر العصور والدهور فان آثار المعرفة والعلم والثقافة اجدر بان تكون علامة على مكانة من تركها ونبراسا تضيء للانسانية سبلها الى الخير والحق والجمال ، وها هي امكانات العمل تتوافر امام مدينتنا الخالدة لكي تستعيد سمعتها التاريخية التي جعلت منها: « ثغر الاسلام ومرابط اهل الشام » كما قال عنها الامام الاوزاعي نفسه رضي الله عنه وارضاه.

واذا كان لي ما اختم به هذه العجالة المتواضعة التي فرضها علي واجب الشكر للاستاذ شفيق طباره على ما بذله للمكتبة العربية في كتابه المرجع فاني اختم ما كتبته بالاعراب عن تقديري العميق لعلم هذا المحقق والروح العالية التي اتصف بها وهو في صدد موضوعه. واني لادعو الله عز وجل بان يتقبل منه هذا الجهد المبارك الذي بذله في خدمة المثل الاسلامي الاعلى ، الذي كان الامام الاوزاعي نفسه ، احد اعلامه البارزين في التاريخ.

لبنان : الشيخ طه الوالي

سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية



أبو العلاء عفيفي

أديب التصوف والمتصوفين

للأستاذ محمد أحمد البوسرغيني

عالم جليل عظيم ، ودعناه بوداع سنة 1966 عالم من العلماء الافذاذ الاخيار فقدناه الى الابد ، كما فقدنا غيره من الادباء والعلماء . عالم من خيرة العلماء اختطفته منا الموت كما اختطفت منا الدكتور مندور (1) وامين الخولي ، والدكتور يوسف مراد ، وغيرهم ممن كان لهم اثر كبير فى توجيه الحركات الادبية والفلسفية نحو التقدم والازدهار فى كل انحاء العالم العربي .

ابو العلا عفيفي ودعناه الى الابد ، وسنه لا يتجاوز 69 سنة وان تجاوزها فبقليل ، ودعناه والعالم العربي من محيطه الاطلسي الشامخ الى خليجه العربي الثائر ، ينظر الى هذا الرجل نظرة اكبار واحترام ، لانه اديب ، وبحاثة ، وفيلسوف ، ولانه زيادة على هذا اختص بلون واحد فى ابحاثه ، واوقف كل جهوده على المضي فيه ، حتى يحقق ذاته ووجوده ، ويكون عند الباحثين واهل التخصيص الاهتمام البالغ ، والقدوة الحسنة ، والعمل الطيب الذي ينتج نتاجا طيبا كريما ، هذا اللون الذي اختص به الدكتور ابو العلا عفيفي هو التصوف ، الذي يعتبر فى نظره الثورة الروحية فى الاسلام .

ولعل آخر ما قرات للدكتور ابو العلا عفيفي هو كتاب « التصوف ، والثورة الروحية فى الاسلام » الذى جمع فيه البحث الرزين والاصالة العميقة ، والقوة الهائلة ، وغزارة الافكار والمعلومات .

ففي مقدمة هذا الكتاب ، يعطينا رايه فى التصوف فيقول : « ان التصوف هو اروع صفحة تتجلى فيها روحانية الاسلام ، وتفسير عميق لهذا الدين ، فيها اشباع للعاطفة وتغذية للقلب ، فى مقابلة التفسير العقلي الجاف الذي وضعه المتكلمون والفلاسفة والتفسير الصوري القاصر الذي وضعه الفقهاء » .

وعنده كذلك أن التصوف « هو الثورة الروحية فى الاسلام ، لانه كان انقلابا عارما على الاوضاع والمفاهيم الاسلامية كما حددها الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة ، وهو الذي بث فى تعاليم الاسلام روحا جديدة ادرك مغزاها من ادركه ، واساء فهمها من اساءه » (2) .

وعلاوة على الكتاب الضخم ، ترك الدكتور ابو العلا عفيفي ، آثارا كثيرة معظمها فى المجلات . وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بجمع واحصاء آثار ابي العلا عفيفي ، فكان الناتج ما يلي :

1 — « من اين استقى محيي الدين بن عربي فلسفته الصوفية » بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1922 .

2 — « نظريات الاسلاميين فى الكلمة (Lagos) » بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1924 .

3 — « جواهر الاسلام » لعضد الدين الايجي ، نشر وتحقيق وتعليق — بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1925 .

(1) لقد قمنا بكتابة بحث واف عن الدكتور مندور ، راجع مجلة دعوة الحق المغربية نوفمبر 1965 ، السنة 9 .

(2) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ص : 6

4 ـــ « المنطق التوجيهي » كتاب مدرسي ، سنة 1928 .

5 ـــ The mystical philosophy of Muhyid Din - Ibn Arabi - Cambridge, 1939.

وهو الرسالة التي احرز بها على الدكتوراه .

6 ـــ « الملامتية » بحث في مجلة كلية آداب القاهرة سنة 1942 .

7 ـــ « الملامتية والصوفية واهل الفتوة » بحث في مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية سنة 1942 .

8 ـــ « الاثر الفلسفي الاسكندري في رسالة حي ابن يقظان لابن سينا » بحث في مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1944 .

9 ـــ « نصوص الحكم لابن عربي » طبع للنص ، وتعليقات مستفيضة عليه ، في جزئين سنة 1947 .

10 ـــ « تاثير الكتب المنسوبة الى هرمس في التفكير الاسلامي » بحث بالانجليزية نشر في لندن سنة 1951 .

11 ـــ « الناحية الصوفية في فلسفة ابن سينا » بحث نشر في الكتاب الذهبي الذي نشر بمناسبة العيد الالفي لميلاد ابن سينا ، سنة 1952 .

12 ـــ « الحب والخير والجمال في فلسفة ابن سينا » مقال بمجلة الثقافة سنة 1952 .

13 ـــ « فهرست مؤلفات ابن عربي : تحقيق النص مع تعليقات وافية ، مقال نشر في مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1955 .

14 ـــ « بحث عن مؤلفات ابن عربي » القي بالانجليزية في مؤتمر المستشرقين الثالث والعشرين الذي عقد في كمبردج سنة 1954 .

15 ـــ بحث بالانجليزية عن « التصوف بوصفه نظرية في المعرفة وضبط النفس » بتكليف من الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

16 ـــ « تحقيق كتاب البرهان من منطق الشفا لابن سينا » .

17 ـــ فصل بالانجليزية عن « محيي الدين ابن عربي ، من كتاب « تاريخ الفلسفة الاسلامية الذي اصدره م. م. شريف في باكستان .

18 ـــ « ابو القاسم بن قسي وكتاب خلع النعلين » بحث نشر في مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1958 .

19 ـــ مقالات عن القشيري والملامتية وابن عربي بالانجليزية ، نشرت في دائرة المعارف الاوردية بالباكستان .

20 ـــ « اثر الغزالي في توجيه الحياة العقلية والروحية في الاسلام » ـــ بحث نشر في اعمال مهرجان الغزالي المنعقد بدمشق سنة 1961 .

21 ـــ «موقف ابن خلدون من الفلسفة والتصوف» بحث القي في مهرجان ابن خلدون بالقاهرة في ديسمبر سنة 1961 .

22 ـــ « شارح مجهول من شراح الرسالة القشيرية » ـــ بحث نشر بمجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1960 .

23 ـــ « الرسالة القشيرية » مقال في مجلة « تراث الانسانية » المجلد الاول العدد السادس .

24 ـــ «كتاب الفتوحات المكية لابن عربي» مقال نشر في مجلة « تراث الانسانية » المجلد الاول ، العدد الثاني .

25 ـــ « تحقيق كتاب اللطف » احد اجزاء كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي سنة 1962 .

26 ـــ تحقيق كتاب « مشكاة الانوار » للغزالي .

كما قام رحمه الله بترجمة المقالات والابحاث الاتية :

1 ـــ « كتاب مجمل المعرفة الحديثة » تاليف ا. وولف .

2 ـــ « مقالة اعلام من كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو في مجلة كلية آداب القاهرة .

3 ـــ « كتاب المدخل لدراسة الفلسفة لاوزفيلد كولبه » .

4 « مقالات لينكلسون في التصوف » وقد جمعهم في كتاب بعنوان « في التصوف الاسلامي وتاريخه » .

5 ــ الفصل الثاني والعشرين من كتاب تاريخ العلم لسارتــون .

6 ــ كما ترجم من العربية الى الانجليزية كتاب «فصوص الحكم لابن عربي مع تعليقات عليه (1) .

*

وبعد جهاد طويل عاصف زاخر في دنيــا التأمـل والبحث ، يودعنا استاذنا الدكتــور ابو العلا عفيفي ، وتأتيه المنية الخاطفة الجبارة في ليلة يوم 17 اكتوبــر 1966 عن سن يناهز التاسعة والستين ربيعا ، قضى اكثر من نصفها في التحقيق والتاليـف عن التصوف ، وتاريخه ، واشهر المتصوفيــن وفي مقدمتهم ابن عربي الذي اولاه النصيب الاوفـر من عنايته واهتمامه .

و خير ما نختم به هذا البحث الصغير عن استاذنا، القاء نظرة سريعة وموجزة على حياته ، وفيهــا سنلمس انها كانت كلها تثقيف وتدريس .

ولد في الجيزة سنة 1897 ، وتابع دراستـــه الابتدائية والثانوية في احدى مدارسها القريبة مــن منزله، حتى حصل علــى البكالوريا ، ودخل كليــة دار العلوم التي بقي بها الى سنــة 1961 ، فأوفـــد عقب تخرجه الى بريطانيا لدراسة التربية وعلم النفس ، وفي سنـــة 1924 حصل على دبلوم الدولة فيهما .

وفي سنـــة 1927 ، نال درجة الباكالوريـــوس في الفلسفة من جامعة كمبردج الشهيرة ، وبقي بهــا حتـى سنـــة 1930 حيث حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفــة برسالـــة عن « فلسفة ابن عربـــي الصوفيـــة » .

وفي هذه السنة بالذات عاد الى وطنه مصــر ، استاذا في كلية الاداب بجامعة القاهرة ، مدرســـا للفلسفة والمنطق والتصوف بجانب اساتذة عظـــام امثال : بربيه الذي له مؤلفات في الفلسفة وتاريخهــا ، وروجيبه ، وكواربيه ، والشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي جمع بين الثقافتين العربية والغربية ، والدكتــور منصور فهمي الذي له مؤلفات في الفلسفة والاخلاق وعلم الجمال ، وغيرهــا .

وفي سنـــة 1946 عين رئيسا لقسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة حتـى احيل على التقاعد في سنة 1957 .

ونظرا للشهرة العالمية التي كان يحظى بهـــا الدكتور عفيفي انتدب للتدريس في جامعـــة لنـدن ، وكذلك في كلية هاملتون بالولايات المتحـدة الامريكية ، حيث قام بالتدريس فيهما الفلسفة الاسلامية والمنطـق والتصـــوف .

كما عين عضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، الذي بقي به الى ان انتقل الى عفو اللـــه يـوم 17 اكتوبر عـــام 1966 .

*

وهكذا ما كدنا نتاهب لوداع سنة 66 ، حتـــى ودعنـــا معهـــا عالمـــا جليـــلا ، واديبـــا عظيما ، وانســـانـــا معـــززا مكـــرمـــا سيبقـــى اسمه واثره في سجل الخالدين مقرونا باسم ابـــن عربـــي ، وتصوف ابن عربـــي ، لانـــه الرجل الذي اعجب به دكتورنا ابـــو العلا عفيفي وتأثر ، فحاز كل وقته ، وماله ، وجهده ، كاتبا وشارحـــا ومحققـــا ، ومعلقـــا .

فبعـــد وفـــاة الدكتـــور محمد مندور .
وبعـــد وفـــاة اميـــن الخولـــي
والشاعـــر السيـــاب .
وكامـــل الشنـــاوي
ودرينـــي خشبـــة .

والدكتور يوسف مراد ، وغيرهم من اقطـــاب الادب والفلسفة والفـــن .

نفـــاجـــا بوفاة صديقهم الدكتور ابو العـــلا عفيفـــي .

فلينما ابو العلا عفيفي ، وليرقد آمنا مطمئنـــا في الفردوس الحبيب ، ان اسمه سيقترن دائمـــا باسماء العباقرة والعظماء ، وانه سيذكر كلما ذكر ابن عربي ، وانه زيادة على هذا ، سيبقى دائما وابدا من الخالدين.

مراكش ــ محمد احمد البوسرغيني

---

1) « ابو العلا عفيفي » مقال كتبه د. عبد الرحمـــان بدوي ، راجع المجلـــة ، عدد 120 .



كنا قد نشرنا في عددي 6 ـ 7 من السنة التاسعة مقالا للاستاذ محمد ابن تاويت شرح فيه وجهةنظره عما صدر في مجلة « الآفاق » عن فضيحة ادبية تحت عنوان « السماء لاتخشى » وعقب عليه عن اسرة الآفاق الاستاذ محمدعزيز الحبابي في العدد الثامن من السنة نفسها .

ثم ورد علينا في حينه تذنيب على تعقيب الاستاذ الحبابي من الاستاذ ابن تاويت كنا آثرنا ارجاءه لوفرةالمواد التي تضيق عنها المجلة .

واننا اذ ننشر هذا التذنيب نرجو من الاستاذ السيد محمد بن تاويت عدم المواخذة على هذا التاخير ومعذرة ...

قرات تعقيب الصديق الدكتور محمد عزيز الحبابي ، فتاثرت كثيرا لموقفه ، وشكرته في نفسي على حسن ظنه بي ، وشهادته التي هي في الحقيقة خير من شهادتي انا ، لنفسي انا : ابن تاويت ، الذي تردد ذكره في المقال ، ونسبت اليه الصواعق ، واني اذ اشكره على « تزكيته » ، واعترف بفضله في شهادته والدفاع عن شخصي الضعيف ، لا يفوتني أن اعلق على بعض القضايا التي اشار اليها في تعقيبه المذكور .

ذكر الصديق اني كنت ضيفه في منزله العامر ، وانه بعد ما اخبرني بعزم المجلة وعدته بتحرير كلمة في الموضوع « ارجع فيها الحق الى نصابه » ، وان الموعد كان بعد العشاء ، ثم بعد الفطور في الصباح الخ.

والواقع انني وعدت الصديق بهذه الكلمة ، فتوجهت الى ادارة « دعوة الحق » وسحبت منها الكلمة التي كانت ستنشرها في القضية ، واتيت بها اليه ، لكني لما قراتها عليه ، صار يقترح علي حذف بعض الفقرات منها ، وتحوير بعضها الاخر بل انه اقترح علي أن اتملص من الكتاب نهائيا وان ادعي انه مزور علي كله .. فقلت له : لا ، ان الكتاب ليس مزورا علي ، والحقيقة فيه ما نشرته بصحيفة العلم ، وهو ان الكتاب في صلبه ومادته لي ، وان المقدمة والتصميم ليس لي فيهما شيء ..

فرايته غير مقتنع بذلك ، بل لاحظت عليه حرصه على ادعاء التزوير (وهو ما اشار اليه في تعقيبه حيث قال عن الزميل انه « المؤلف الحقيقي .. » ولم يكفه ذلك بل قال ، اتحسب ان الناس يصدقونك في قسمك ..؟ وانه لقسم لم يكن له لزوم في الحقيقة لكني تورطت تورطا شعبيا ، بعد التورط الادبي ، فلم يكن مني الا ان اتدرع بكل درع ، تسبغها الحقيقة ، ولعنة الله على الكاذبين ..

لما رايت ذلك من الصديق ، وسمعت منه مـــا سمعت وتقل علي ان اكـــون مســـيرا فيمـــا اكتب ، صممت على عدم الكتابـــة فى (الافاق) ، بالرغم مـــن تكـــرار السؤال .. وبقيت انتظر ما تاتي به المجلة ..

لهذا ليس ما قاله الصديق الجبابي واقعا كمـــا صور ، بل الواقع ما قلت ، الا ان الشيطان ينسيه ، فيقول ما لم يقل أو لا يقول ما قيل ، كما قيل .. وهو من الصدق بمكان عند الجماعة ، ومخالفيهم : الجاحظ والراغب والنظـــام ...

وذكـــر اني قلت فى هيئة كتاب المغرب العربي ، انهم يشعرون بفجوات فى شخصيتهم ...الخ. والواقـــع اني ما عنيت فى ذلك هذه الهيئة ، التي لا أعرف منها ، الا الصديق الجبابي ، والا سيدا آخـــر « رسميـــا » فيها ، اما الذين كانوا يجتمعون فى جلسات تاسيسها فاعتقد انهم انسحبوا فى صمت منها ، كمـــا انسحبت انا فى صمت كذلك ، بعد ما انتخبت فيها (شيئـــا) نسيته ونسيه الدكتور ، لا محالة ، وبعد ما رايـــت تداخلا وتفاعلا عجيبا ، لم يعجبني انا ، فقلت عليكـــم السلام ، واعتقدت ـــ وربما كنت غير محـــق ـــ أن الجماهير التي تحضر فى المناسبات ، وفيها شخصيات محترمة ، تحضر على سبيل الدعوة الى الحضـــور والمشاهدة لا على سبيل العضوية فيها ، لهذا كنـــت صادقا ، لما وسمت الهيئة ، بما يدعي .. لاني كما قلت لا اعرف منها الا الفاضلين .. فلم اعن هذه الهيئـــة بتلك الصفة ، ولم اعنها ، كما قال الصديـــق ، ولا لعنت احدا سواها ، بل عممت « بالنـــاس » والمراد الخصوص ، فهو استعمال يعرف عند الاصولييـــن بالعموم الذي اريد به الخصوص ، كما فى قوله تعالى : « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »؛ فالهيئة انكانت هناك هيئةعلىالحقيقة، غيرمعنيةمني، ولا انا من اعدائهـــا أو ضحاياها ، حفظني الله ووقاني.

اما المثل « اللي فيه الفز تيقفز » ، فاني أرجو من الصديق ان يعفينـــي من عبارات « البحطيين » ، لاني لا استطيع مجاراتهم ، وان كان الغد القريـــب كفيلا بالقضاء على « البحطية » ، فى كل مظهر مـــن مظاهرهـــا ...

17 غشت 1966
تطوان : **محمد بن تاويت**

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشيـن مسجـد جامـع بطنطـان

في يوم السبت 25 محرم 1387 ؛ 6 – 5 – 1967 توجه السادة الوزراء المعينون من طرف صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الى طنطان المركز الصحراوي الهام في ميدان المقاومة الصحراوية ، لحضور الموسم السنوي الذي يقام تخليدا لذكرى وفاة المرحوم السيد محمد الاغضف ابن الشيخ ماء العينين .

وقد تميزت الحفلات برفع العلم ، واقامة حفلات دينية ، ومهرجانات تذكارية ، وعرض عسكري ، وحضور ابناء الصحراء من المناطق المغتصبة ليشاركوا في هذا الموسم مع اخوانهم ابناء الوطن المحرر

وبهذه المناسبة توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش نيابة عن صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني الى هذا الاقليم الصحراوي لتاسيس مسجد جامع عظيم بطانطان . وقد حمل هذا المسجد الجامع اسم صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الذي يولي لشؤون الدين الحنيف الاهتمام البالغ ، والعناية الفائقة التي يخص بها حفظه الله المناطق الصحراوية ، وسكانها الابطال الاشاوس

والقى معاليه – الذي كان مرفوقا بمن صحبوه من العلماء والوعاظ واعيان الصحراء وعلمائها ، وجبهة التحرير ، واهل الخير والصلاح – خطابا حافلا في جو مليء بالتسبيح والتهليل والتكبير والدعوات لمولانا امير المومنين قال فيه :

الحمد لله الذي ارسل خاتم انبيائه سيدنا محمدا رحمة للعالمين « بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

انزل عليه القرآن الذي يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين ، وجعل امته خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتومن بالله ؛ فقد نشرت دعوته ، وبلغت رسالته ، حتى اشرقت الارض بنور ربها ، واهتدت جميع الامم التي دانت بالاسلام باتباع سيرة نبيها ، فعاشت في ظل هذه الشريعة الغراء حاملة لواء العلم والفضل ، قاضية بالقسطاس والعدل ، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي العظيم وجميع اخوانه من الانبياء والمرسلين

معالي الوزراء ، سعادة العامل ، ايها السادة الافاضل السلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ، فقد اوفدني امير المومنين صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله للنيابة عن جلالته في وضع الحجر الاساسي لهذا المسجد المبارك في هذه المدينة السعيدة الذي سيحمل اسمه الكريم، ولا يخفى عليكم ان الاسلام يربي نفوس اهله على اداء حقوق الله على عباده ، المتمثلة في قواعد الاسلام الخمس التي اهمها الصلاة بعد عقيدة التوحيد وان الامامة الاسلامية في مختلف بقاع الارض لتهتم الاهتمام المتزايد باماكن هذه العبادة ، حتى كتب الخليفة الراشد العادل سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى عماله بقوله : (ان اهم امركم عندي الصلاة ، من حفظ وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع) . وان امير المومنين جلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ليسير في هذه الخطة الرشيدة على نهج اسلافه الملوك العلويين المنعمين في السهر على توفير اماكن العبادة لرعيته المسلمين ، التي تدين لامامته بالطاعة والولاء ، فكم اصدر من تعليماته السامية ببناء المساجد في مختلف انحاء هذه المملكة المغربية راغبا في نيل الثواب الموعود به في حديث جده المصطفى عليه السلام حيث قال : « من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة » ، وان هذه المدينة السعيدة لها من عناية مولانا الحظ الاوفر لذلك .

واني باسم الله العلي القدير اتشرف بتنفيذ امره بوضع اول لبنة في بناء هذا المسجد ، راجيا من المولى سبحانه ان يجعله من المساجد التي اسست على التقوى من اول يوم ، وان يطيل عمرمولانا امير المومنين حتى

يبني امثاله وامثال امثاله ، وينال من الله شرف من يبني مساجد لله ويعمرها ، وان يقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد وجميع افراد اسرته ويجعل عهده عصر سعادة ورفعة وعزة لرعيته ، ولله العزة ولرسوله والمومنين . والسلام عليكم ورحمة الله .

تدشين مسجد بقبيلة زعير

توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش يوم الجمعة 26 ماي 1967 الى ناحية الرماني بقبيلة زعير بقصد تدشين المسجد الذي بناه ابناء المرحوم السيد الحاج امحمد الفنيري تنفيذا لوصية والدهم .

وقد ادى معاليه صلاة الجمعة صحبة معالي نائب كاتب الدولة بوزارة الداخلية الاستاذ محمد بن العالم وسعادة عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المواطنين .

والقى معالي الوزير خطبة بهذه المناسبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المخلوقين وعلى ءاله وصحبه

معالي الوزير

سعادة العامل ، حضرات السادة المحترمين

ان من اكبر دواعي الغبطة والسرور ، وبواعث البهجة والحبور أن احضر اليوم هنا لادشن هذا المسجد المبارك الذي شيده ابناء المرحوم بكرم الله الاريحي الفاضل الحاج محمد الفنيري تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته تنفيذا لرغبة والدهم وعملا بوصيته .

وان هذه الظاهرة المباركة والعمل الجليل الذي جادت به اريحية هذا المحسن ليبرهن مرة اخرى على مدى تمكن العقيدة الاسلامية فى قلوب ابناء هذا الوطن العزيز ورسوخ ايمانهم وقوة تمسكهم بدينهم الحنيف، وان الخلف لايزال ولله الحمد يسير على نهج السلف الصالح يسارع فى الخيرات ، ويتنافس فى المبرات ، يريد بذلك ثواب الله الجزيل وما اعده سبحانه من اجر عظيم للمحسنين العاملين ، ويريد كذلك من وراء هذه المبرات ان تبقى كلمة الله عالية مدوية فى جميع الارجاء ، وتبقى شريعة الله قائمة ، ورسالة الاسلام خالدة تالدة فى هذا البلد المسلم الذي لم تتحصن سيادته ، ولم تكتمل عزته الا فى ظلال القرآن ، وسنة خير ولد عدنان

وان في المحافظة على هذه الشريعة ايها الاخوة ، والتمسك بهذا الدين الحنيف ، محافظة على شخصيتنا، وصيانة لعزتنا ، واعتصاما باخوتنا ، هذه الاخوة التي نسجتها يد الله سبحانه ، وباركتها عنايته الكريمة عندما قال سبحانه : « انما المومنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

واذا كان الناس على دين ملوكهم ، فان مولانا الامام امير المومنين ، وحامي حمى الملة والدين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده قد سكب من روحه المومنة ونفسه المطمئنة بتعاليم الاسلام على ابناء رعيته الاوفياء ، فراحوا يتنافسون فى بناء بيوت الله يذكر فيها اسمه ، وتقام فيها شعائره ، ويحبسون عليها من اعز اموالهم واحب ثرواتهم ، وما هذا المسجد الذي ندشنه اليوم وغيره من المساجد التي تشيد هنا وهناك فى جميع انحاء المملكة الا حسنة من حسناته ، وثمرة من ثمرات غرسه المبارك .

واذا كان لكل عصر طابعه البارز ، وميزته الخاصة ، فان التاريخ سجل باحرف من ذهب ان عهد جلالة الحسن الثاني نصره الله هو عهد يمن وبركات ، واحسان ومبرات ، وعهد عمل من اجل سعادة الدنيا والدين ، والسعي المتواصل لتحصيل الحسنيين: عملا بقول الرسول الاكرم (ص) « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخراك كانك تموت غدا » .

واننا اليوم ، فى هذا اليوم المبارك وفي هذا المكان الطاهر ، نستمطر الرحمة والمغفرة لهذا المحسن الغيور واسأل الله العلي القدير ان يحقق له وعد نبيه الكريم : (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له به قصرا فى الجنة) .

كما اشكر ابناءه البررة على الوفاء بوصية والدهم المرحوم ، واساله سبحانه ان يجعل البركة فيهم ويثيبهم على حسن صنيعهم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فى الميدان الفلاحي

ان سنة 1966 – رغم كونها اتسمت بعدم تكثير عدد من الاشجار بسبب الجفاف الذي طرا عليها – قد عرفت نشاطا هاما فيما يخص صيانة الاشجار التي غرست سابقا فوصلت حد الاطعام ثم بدات تغل، ولا ريب ان المرحلة التي وصل اليها الغرس الى حد الان

تعتبر اهم خطوة اجتازتها الاحباس في تاريخ تنميـة مداخيلها الفلاحية اذ سيبتدىء بكيفية محسوسة رفع دخلها من بيع الغلال الراجعة للاشجار الحديثة العهد بالغرس .

ولكي تضمن النتيجة المرجوة اخـذت الاوقـاف تبذل مجهودات جبارة فيما يرجع للحرث بين الاشجار بالآلات الفلاحية الحديثة واستعمال الاسمدة اللازمـة وبناء الخزانات لجمع الماء في السواقي لتوزيعه ودور للسكان العملة الجدد الذين صار من المتعين تشغيلهم في نطاق عمليات الصيانة الواجب القيام بها لحفظ الثروة الهائلة التي حصلت عليها الاوقاف في سائر نواحـي المملكة المغربية .

كما ان انجاز هذه الاعمال يتطلب نفقات باهظـة تؤخذ الآن بصفة موقتة من مداخيل كراء الاراضي وبيع غلال الاشجار القديمة ، وعن قريب سيمكن اخذها من مداخيل الغرس الجديد .

ومن جهة اخرى فان سنة 1967 ستعرف بداية استغلال الاراضي التي استصلحت لم غرست باشجار البرتقال في ناحيتي مكناس ووزان ، وكذلك الاراضي التي شملها غرس المشمش في كل من ناحيـة مكنـاس وزرهون ، وتافيلالت ، واللوز في ناحيـة بني مـلال ، والصويرة ، والزيتون في نواحي فاس ، مكناس ، صفرو ، تازة ، زرهون ، وزان ، مراكش ، بني ملال ، الصويرة ، كما ان في آخر هذه السنة ان شاء الله سيشرع في بيع اشجار الكليبتوس التي غرست في سنة 1958 في ناحية آسفي وفاس ، اما السنوات المقبلة فستعرف ازدهارا فلاحيا لا نظير له في حظيرة الاوقاف حيث سيغرس عدد كبير من الاشجار نظرا على الخصوص لتوفر بعض النظارات على كثير من النقلات الموجودة في المطاريح ، كما ان الوزارة عازمة على الشروع ابتداء من السنـة المقبلة في غرس اشجار النخيل المثمرة ، وذلك في نواحي ورزازات زكورة وتافيلالت .

وفي حالة ما اذا تكاثر انتاج احدى الغلال المذكورة كالزيتون والمشمش مثلا ستصبح الوزارة ، مضطـرة الى انشاء معامل لاستخـراج الزيتـون وتصفيتـه ، وتربيب الفواكه .

في الميدان الثقافي

مجلـة : الارشـــاد

عزمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من امير المومنين وحامي حمى الوطن والدين الساهـر على مصالح المسلمين على انشاء مجلة دينيـة ثقافيـة ادبية متوسطة الحجم مبسطة ومشكولة تقـرب الـى الاذهان معنى الدعوة الاسلامية ، وتلقـي اضـواء على اصول الاسلام ومآثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والشخصيات الاسلاميـة ، وامجاد ملوكنا العلوييـن ، وشمول الاسلام واحاطته ، وكيف انتشر ديننا الحنيف في جميع الاصقاع ، وكيف ينظر الاسلام الى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والصناعيـة ، وغير ذلـك من المواضيع الهامة التي يمكن ان تطرق وتفيـد جميـع الطبقات ، وفي شمتها العمال والصناع ورجال الجيش واعوان الادارات ، كما انه يمكن ان تصدر منها كمية الى الاقطار الافريقية لسد الحاجة الملحة التي يبديها الزوار الوافدون من هذه الاقطار ، كما ستكون بعض المقالات فيها بلغة اجنبية حتى يعم النفع بها ، ويتم تعريف غير المسلمين بمزايا الاسلام .

وستصدر هذه المجلة تحت اسم الارشـاد مـرة في كل شهر .

اما موضوعات مجلة « الارشــاد » فتدور حول :

1) قسم الدعـوة :

يكون خاصا بالدعوة الى الاسلام ، والتعريف بـه وباهدافه ومواقفه من القضايا الانسانية عموما .

2) اضواء على اصول الاسلام :

يختص هذا القسم من المجلة بالتعريف في كـلام مبسط واضح بالاصول العامة للشريعة الاسلامية .

3) مـن مآثـر الرســول :

يكون خاصا بمواقف صاحب النبـوة في تبليـغ رسالته ، ويدخل في هذا النطـاق موضوع السيـرة النبويـة الشريفـة .

4) شخصيـات اسلاميـة :

يكون خاصا بتراجم وخدمات رجال الاسلام في مختلـف العصـور .

5) الاسـلام بيـن الامس واليـوم :

يكون خاصا بالقضايا الاسلاميـة التي تخـص الجانب الاجتماعي والروحي كالمعاملة في الاسلام وموقف الاسلام من الجوانب الخلقية وما الى ذلك) .

6) الفتـاوي الاسلاميـة :

يطرق فيه في الاعداد الاولى بعض المسائل الدينية في انتظار ورود الاسئلة من القراء مع التنبيه على قبول الاجابـة عـن الاسئلـة الدينيـة .

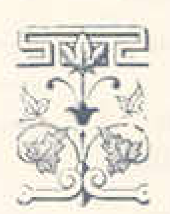
كتاب التمهيـد ، لابن عبد البـر

«كتاب التمهيد لما فى الموطا من المعاني والاسانيد»

وهذا كتاب قدمته الوزارة للطبع وسيكون بين يـدي القراء فى الشهور القريبة جدا .

وكتاب « التمهيـد لما فى الموطـا من المعانـي والاسـانيد » لمؤلفه الحافظ الحجة ابن عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد الشهيـر بابن عبد البـر النمري القرطبي المتوفى سنة 463 ﻫ ، مؤلف لا نظير له فى الفقه والحديث ، وهو من المخطوطات النادرة التـي لا تكـاد توجد منه نسخة كاملة فى مكتبة ما .

وقد بذلت الوزارة مجهودات فى جمع ما يمكن من اجزاء هذا الكتاب البالغ عددها احـد عشر سفـرا ، استوردت الوزارة تسعة منها مصورة على افـلام من مكتبة اسطنبول ، وبالخزانة العامة ستة اسفار متفرقة وبالخزانة الملكية سفرا ، واهدى للوزارة فلم مصور لسفر يوجد باحدى المكتبات ببغداد ، وبترتيب هاتـه الاجزاء تكاد تكون نسختان لمجموع الكتاب اعتمدتا في التصحيح والاخراج .





* صدر للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ، ديوان بعنوان « **لوحات شعرية** » يجمع بين دفتيه قصائد وطنية وغنائية ، تتخللها مجموعة من الاناشيد القومية . نتمنى لهذا الديوان الانتشار ، والنجاح ، وبعد الصدى .

* عقدت جمعية تاريخ المغرب ، التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، ندوة بالمدرسة العليا للاساتذة في موضوع « الامة والقومية المغربية » شارك فيها كثير من الاساتذة الجامعيين المختصين وذلك بتاريخ 14 ماي ، وستخصص مجلة « البحث العلمي » عددا لنشر الابحاث والدراسات والمناقشات التي القيت في هذه الندوة .

* صدر في الدار البيضاء العدد الاول من مجلة « الرائد » ، وهي مجلة فكرية ، اجتماعية ، ثقافية شهرية ، يديرها السيد محمد حبيب ناصر .

* يصدر للشاعر محمد صبري ديوان بعنوان « اهداني خوخة ومات » كما سيصدر ديوان آخر بعنوان « اشعار الناس الطيبين » يتضمن مجموعة من القصائد لمجموعة من الشعراء .

* نظمت جمعية « رواد الفكر » بالدار البيضاء، ندوة تحت عنوان « نحو مجتمع بلا تسول » بتاريخ 4 ماي ، من جملة من شارك فيها الاساتذة : عبد الكريم غلاب ، عبد السلام بورقيبة ، احمد المجاطي .

* ستترجم الى اللغة المجرية رواية « دفنا الماضي » للاستاذ عبد الكريم غلاب التي صدرت مؤخرا في بيروت .

* افتتح بتطوان معرض الكتاب العلمي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وذلك في المكتبة العامة بها من 2 الى 5 ماي الماضي .

* في اطار ابعاد دار الفكر القى الاستاذ سيف الدين الكيلاني سفير الاردن بالمغرب ، مجموعة من قصائده ، كما تحدث عن الادب الاردني ، وذلك بتاريخ 3 ماي الماضي .

* نظمت بتونس مناظرة طبية بعنوان المغرب العربي .

* زارت المغرب مجموعة من الصحفيين الامريكيين استغرقت اسبوعا كاملا .

* زار المغرب بدعوة رسمية كاتب الدولة التونسي في الثقافة والانباء الاستاذ الشاذلي القليبي لتمتين العلاقات الثقافية بين البلدين . وقد قام الاستاذ القليبي بزيارة لعدة مدن مغربية ، وابرم اتفاقيات ثقافية .

* كما قام بزيارة الى المغرب مدير المنظمة العالمية للصحة ، واجرى سلسلة من المحادثات مع المسؤولين .

* نظم المكتب الدائم للتعريب معرضا للكتاب العسكري بدار الفكر بالرباط .

* شارك الاستاذ ابو بكر القادري في الندوة التي نظمها مؤتمر العالم الاسلامي في لاهور بالباكستان الغربية .

* اعلن المكتب الدائم لتنسيق التعريب انه ما زال يتلقى يوميا عددا كبيرا من الاجوبة حول الاستفتاء الذي اجراه في العالم العربي في شان فعالية اللغة العربية في الحقل الجامعي .

※ وفد الى المغرب احد علماء الدين فى لبنان ، هو الشيخ جعفر بدر الصائغ ، رئيس جمعية الامام علي الثقافية ، ومؤسس كلية الامام علي فى تانا .

※ نظمت دار الشباب بطنجة سهرات مسرحية وادبية وفنية .

※ القى الاستاذ اقبال علي شاه ، محاضرة بطنجة تحت عنوان : « ثقافة المسلمين بالهند » .

※ « عالم همنغواي » عنوان المحاضرة التي القاها بمكناس الاستاذ محمد ابن كيران .

※ المكتب الدائم لتنسيق التعريب سيصدر قاموسا عربيا يتضمن المصطلحات الرياضية .

※ نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب موسما علميا استمر من يوم 15 ابريل الى 16 ماي ، وقد شاركت فيه وفود عربية .

※ بمناسبة عيد ميلاد الاميرة آمنة ، نظمت العصبة المغربية لرعاية الطفولة ، اسبوعا وطنيا احتفالا بهذه المناسبة ، كما قامت الاميرة الصغيرة بوضع الحجر الاساسي لحديقة الاطفال بحي يعقوب المنصور .

※ صدر للاستاذ محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الآداب بالرباط ، رواية بعنوان « جيل الظمأ » .

※ مثل المغرب فى مؤتمر وزارة التربية ، الذي عقد بالجزائر ، الاستاذ السيد الناصر الفاسي ، نائب كاتب الدولة فى وزارة التعليم .

※ صدر مؤخرا عدد خاص من مجلة « البحث العلمي » التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي عن « تاريخ المغرب » مشتملا على الابحاث التي القيت فى ندوة جمعية تاريخ المغرب التي نظمت فى مدرج كلية الآداب بالرباط فى شهر ماي من السنة المنصرمة .

※ نشرت دار الثقافة فى بيروت بطريقة الاوفسيت كتاب : (البيان المغرب) على طبعة ليدن ، التي نشرها المستشرق دوزي بثلاثة اجزاء ، وقام بتحقيقه الدكتور احسان عباس .

※ سيصدر للدكتور عبد الكبير الخطيبي ، مدير معهد العلوم الاجتماعية بالرباط ، كتاب بعنوان « القصة المغربية » ، وهي الاطروحة التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة السربون ، وينوي الاستاذ الخطيبي ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية .

※ فى نطاق التعاون بين الباحثين فى المغرب العربي ، قام الدكتور عبد الكبير الخطيبي برحلة الى تونس لتنسيق العمل مع الباحثين هناك ، ولاستدعاء بعض الاساتذة ليقوموا بالقاء محاضرات علمية في المغرب ، ولتحضير مؤتمر فى موضوع مشاكل البحث فى المغرب العربي .

※ ستصدر جمعية « رواد القلم » بالدار البيضاء ديوانا شعريا يضم قصائد لهناوي احمد واسروت الصغير ، وادريس الملياني .

※ شارك الدكتور محمد عزيز الحبابي فى جلسات مؤتمر كتاب افريقيا وآسيا الذي انعقد فى بيروت .

※ ينظم فى المغرب مهرجان ثقافي بولوني .

※ افتتحت بعاصمة الجمهورية الملغاشية اشغال المؤرخين والجغرافيين بالدول الافريقية الناطقة بالفرنسية تحت رئاسة وزير الثقافة الملغاشي .

ويهدف المؤتمر الى وضع برامج موحدة لتدريس التاريخ والجغرافيا بالمدارس الافريقية الناطقة بالفرنسية . ومن المحتمل ان تنفذ هذه البرامج ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

※ القى الشاعر السوري نزار قباني مجموعة من قصائده فى اندية ليبيا الادبية ، وذلك بدعوة من حكومتها .

※ ديوان الشاعر العراقي الفقيد ابراهيم ادهم الزهاوي تحقيق عبد الله الجبوري انتهى طبعه فى القاهرة ، وقد قدم له الدكتور شوقي ضيف .

※ مجلس الفنون والآداب سيترجم الشوقيات لامير الشعراء احمد شوقي الى اللغة الفرنسية .

※ وافق الدكتور طه حسين على تسجيل احاديثه فى اسطوانات لذا فانه خلال الايام القليلة القادمة سيتم تسجيل اهم عمل ادبي فى تاريخنا المعاصر .

※ مسرحية شعرية جديدة انتهى عزيز اباظة من تاليفها ، اسماها « زهرة » تصدر قريبا فى القاهرة .

※ حصل كتاب « 16 شهرا فى فنلندا » على الجائزة الاولى فى مسابقة الكتاب الوصفي التي

ينظمها مجلس الفنون والآداب بالقاهرة . الكتاب من تاليف عصام الدين حواس السكرتير الثاني في وزارة الخارجية .

* فاز الشاعر احمد رامي بجائزة الدولة التقديرية للاداب بالقاهرة، وهي عبارة عن ميدالية ذهبية و2500 جنيه . كما اهدى الرئيس عبد الناصر عدة اوسمة الاستحقاق من الدرجة الاولى . ونال وسام العلوم والفنون الشاعر محمود ابو الوفا والكاتب الدكتور يوسف ادريس .

* توفى في القاهرة الدكتور محمد نجيب حشاد، مدير جامعة القاهرة السابق ، وكان المجلس الاعلى للبحث العلمي قرر منحه جائزة الدولة التقديرية في العلوم ، ولم يتح له أن يتسلمها .

* توفي الشيخ طه الديناري عميد كلية الشريعة الاسلامية والقانون في جامعة الازهر عن ستين سنة كان الشيخ الديناري يراجع رسالة دكتوراه تقدم بها احد الخريجين الى الكلية عن «الحياة بعد الموت » حين فاجأته السكتة القلبية . وكان سيغادر القاهرة في ثاني يوم الى الكويت ليشترك في تنظيم كلية الشريعة هناك .

* اقام المجلس الاعلى للفنون مشتركا مع المجمع اللغوي بالقاهرة احتفالا بقاعة الاجتماعات في جامعة الدول العربية بمناسبة مرور مائة عام على مولد ثلاثة من اعلام البحث اللغوي ، وهم احمد زكي باشا الاب انستاس الكرملي ، الشيخ عبد القادر المغربي . وقد تحدث احمد حسن الزيات عن احمد زكي باشا ، ومصطفى جواد عن الاب انستاس ، ومحمد عبد الغني حسن ، عن الشيخ المغربي .

* الدكتور عبد الرحمن بدوي اتم ترجمة الجزء الثاني من « مصادر وتيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة » تاليف روبي ، وسيصدر قريبا في القاهرة.

* خالد محمد خالد له كتاب جديد اسمه (انسانيات محمد) .. والكتاب يركز على الجوانب الانسانية للرسول عليه السلام .

* قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، اعادة ترشيح الدكتور طه حسين لنيل جائزة نوبل تقديرا لمآثره على الفكر العربي والعالمي في العصر الحديث .

* يعد للنشر المجلد 25 من كتاب (مسالك الابصار) لابن فضل الله العمري تحقيق الاستاذ سعد محمد حسين بتكليف من وزارة الثقافة التي اهتمت بنشر هذا الاثر الخالد بعد ان وزعت مجلداته على كثير من المحققين المشهورين بمصر . وقد نشر المجلد الاول من هذا الكتاب سنة 1918 تحقيق احمد زكي باشا وطبعة دار الكتب المصرية .

* صدرت قريبا في كتاب عن دار الآداب في بيروت ، مذكرات الدكتور طه حسين . تبدا المذكرات بدخول طه حسين الازهر . وتنتهي بعودته من باريس، وبذلك تكون قد تابعت سرد وقائع حياته الحافلة التي وقف عندها في كتابه « الايام » .

* اتفقت دار الكتاب العربي ، مع ورثة الدكتور احمد امين لنشر جميع كتبه لمدة عشر سنوات . التعاقد تم بين الدكتور محمد امين نجل المؤلف والدكتور عبد العزيز عتيق زوج كريمة المؤلف .

* عمر ابو ريشة يصدر دفعة واحدة عددا من مجموعاته الشعرية ومسرحياته .

* الدكتور فخر الدين قباوة في كلية الآداب بجامعة حلب يعد للطبع كتابه الجديد « الممتع في الصرف لابن عصفور . »

* تسلم الاديب المفكر اديب اللجمي رئاسة تحرير مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة بدمشق . فؤاد الشايب رئيس تحرير « المعرفة » السابق غادر دمشق الى بونس ايريس ، حيث عين مديرا لمكتب الجامعة العربية في الارجنتين .

* صدرت في بيروت مذكرات ساطع الحصري، سجل فيها تطورات الوطن العربي خلال حقبة طويلة من الزمن .

* « العصفور الاحدب » مسرحية شعرية لمحمد الماغوط صدرت في بيروت .

* بمناسبة الذكرى التاسعة والاربعين لوعد بلفور اصدر في بيروت المجاهد الاستاذ على نصر الدين كراسا في 16 صفحة عنوانه « ايمان ساعة » .

* « ملامح العصر » مجموعة مقالات ادبية لمحيي الدين اسماعيل الملحق الصحفي العراقي ببيروت ، تصدر قريبا عن المكتبة العصرية ببيروت.

* صدر فى منشورات دار الانوار ببيروت كتاب « جغرافية العالم الزراعية لبيار جورج وكتاب « مدخل الى علم السياسة » لجان مينو وهما من ترجمة فايزكم نقش .

* « ملحمة فلسطين » عنوان قصيدة باللغة العامية فى 16 صفحة اصدرها فى بيروت خليل ايوب حتى ، صاحب مجلة « ارزة لبنان » الزجلية . وقدم لها الشاعر المحامي فوزي عطري .

* صدرت فى لبنان مسرحية جديدة للاستاذ ميخائيل نعيمة ، بعنوان « ايوب » .

* صدرت فى النجف الاشرف بالعراق مجلة « الكلمة » وهي حلقات ادبية تضم مختلف الموضوعات والابحاث ، ويشرف عليها حميد المطبعي .

* تمكن المركز الوطني لحفظ الوثائق فى بغداد، من اكتشاف بعض الرسائل للكولونيل البريطاني ا. ت لورانس بين الوثائق والاوراق التي كانت محفوظة فى البلاط الملكي العراقي السابق .

* قدم المجمع العلمي العراقي مساعدة للدكتور عبد الله درويش لطبع كتابه « الفن » للخليل بن احمد الفراهيدي .

* الشاعرة الدكتور عاتكة الخزرجي ، الاستاذة فى جامعة بغداد ، انتهت من اعداد دراسة عن الاديبة الفقيدة « مي » .

* «حبر وعطر» يصدر قريبا فى بغداد لعبد الحميد العلوجي ، ويضم طائفة من المقالات والبحوث فى التراث الشعبي العراقي .

* فرغ عبد الله الجبوري من تحقيق « اشعار ابي الشيص الخزاعي » وسيصدر له قريبا فى بغداد « فهارس مخطوطات حسن الاتكري » .

* من مطبوعات المجمع العلمي العراقي التي صدرت مؤخرا (رسالة فى الاحجار الكريمة) تاليف ابيفانيوس المتوفى سنة 402 او 403 م قدم لها وحققها الاستاذ كوركيس عواد ، عضو المجمع العلمي العلمي العراقي .

* يصدر قريبا كتاب « تخطيط مدينة الكوفة » الذي اعده الدكتور كاظم الجنابي ، وساعده المجمع العلمي العراقي ، وهو رسالة الماجستير الحائزة على الدرجة الممتازة من جامعة الاسكندرية ، وقدمها الدكتور احمد فكري .

* صدر عن دار الطليعة فى بيروت ، الجزء الاول من مذكرات ساطع الحصري بعنوان (مذكراتي فى العراق) خلال فترة (1921—1927) تناول فيها حوادث وشخصيات زاملها فى فترة توظيفه فى العراق ، وما صادفه من مفارقات وملابسات من الحاكمين ، خلال هذه المرحلة الهامة من حياته وحياة العراق الثقافية .

* صدر فى بيروت كتاب جديد للاستاذ محمود شيت خطاب ، عضو المجمع العلمي العراقي والكتاب يحمل اسم « المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم»

* يقوم « معهد الدراسات الشرقية » فى المانيا الديمقراطية الآن باعداد مؤلف جامع لذكرى الدكتور كرل بروكلمان ، بمناسبة مرور مائة عام على مولده حيث ولد عام 1868 وسيشترك فى كتابة بحوث هذا الكتاب التذكاري بعض المستشرقين من دول اخرى .
ومن المنتظر ان تعد « جامعة هالة » مؤتمرا علميا فى عام 1968 احتفالا بذكرى هذا العالم الجليل

* اتفقت احدى دور النشر فى بغداد مع نازك الملائكة لطبع ديوانها « شجرة القمر » .

* ظهر فى لندن العدد الاول من مطبوعة جديدة تعنى بشؤون العالم العربي . ويصدر هذه المطبوعة واسمها « العربي » مكتب الجامعة العربية فى لندن . وهي من اربع صفحات وستظهر شهريا من الآن فصاعدا، وتوزع مجانا على حوالي 3000شخص

* وقعت الحكومة الاردنية واليونسكو مذكرة مشتركة عن نتائج محادثات المسيو رينه ماهو ، المدير العام للمنظمة مع المسؤولين الاردنيين حول التعاون فى ميادين التعليم والعلوم والثقافة والاعلام .

* الاديب الاردني عيسى الناعوري انتهى من ترجمة مسرحية شعرية لشاعر المجر فى القرن الماضي ايمري موادتش وعنوانها « مأساة الانسان » الترجمة نثرا لا شعرا ، ترجمت المسرحية الى سائر اللغات الحية ، وحولت الى اوبرا ثم الى فيلم سينمائي . وهي لا تقل قيمة عن « فاوست » لغوته وعن الفردوس المفقود لملتون كما فرغ الناعوري من ترجمة كتاب « الثقافة العربية فى صقلية » للمستشرق الايطالي اومبرتو ويتسانو .

* بدات الجامعة الكويتية موسمها الثقافي بتقديم سلسلة من المحاضرات فى مختلف المجالات . كما ستصدر مجلة ناطقة باسم الجامعة يشترك الاساتذة والطلبة فى تحريرها .

* صدر الجزء الاول من كتاب « محاضرات في التاريخ العربي الاسلامي » للدكتور علي عبد الرحمن ابا حسين ، رئيس قسم التاريخ الموحد في كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة .

* توفي في السعودية فضيلة العلامة الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ، وهو احد العلماء الاعلام ، واحد حملة امانة العلم والدين في السعودية .

* اكتشف في السعودية الدكتور محمود علي الغول مدينة اثرية كاملة في المنطقة الشمالية على بعد 30 كيلومترا من مدينة « عرعر » و12 كيلومترا جنوب وادي بدنه . وقد عثر على قسم كبير من سطح هذه المدينة من منحوتات ضخمة دقيقة الصنع ، ويكثر فيها تماثيل حيوانات مائية كالسلحفاة والسمك وغير ذلك ويقول الدكتور الغول بأن هذا الموقع ربما كان مدينة « بدنه » التي ورد ذكرها في كتب المؤلفين اليونان والرومان باسم « ميدانتا » .

* الباحث السعودي احمد عبد الغفور عطار ، سيصدر قريبا مجلة بعنوان « كلمة الحق » وستصدر في حلة قشيبة واخراج رائع ، وانتاج ممتع مفيد .

* صدر عن « دار اليمامة » نبذة تاريخية عن نجد املاها الامير ضاري بن فهيد الرشيد المتوفى في 1331هـ .

* اعلنت بعثة آثار ايرانية بلجيكية عثورها على تحف آثرية يعود عهودها الى سنة 750 قبل المسيح ، وذلك في منطقة عيلام الغربية قرب الحدود العراقية الايرانية .

وتتألف هذه التحف الآثرية من كؤوس من البرونز واقراط من الفضة ، وسيوف برونزية وقيل ان هذا اول اكتشاف من نوعه في هذه المنطقة .

* في نبأ من روما ان كتاب « تأريخ العرب » لمؤلفه المؤرخ اللبناني فيليب حتى ، قد صدر اخيرا باللغة الايطالية ضمن سلسلة تصدرها « دار ايطاليا الجديدة للنشر » بعنوان : « الحضارات الكبرى » .

* ستقام مدينة للشعراء في احدى ضواحي مدريد باسبانيا . تحتوي على 8 آلاف مسكن ، تخصص جميعها للكتاب والشعراء ، كما ستطلق اسماء الشعراء على شوارع هذه المدينة الجديدة .

* احدث مؤلفات الدكتور حسين مؤنس « الجغرافيون في الاندلس » يصدر قريبا عن معهد الدراسات الاسلامية في مدريد . وكان قد نشر في في مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد .

